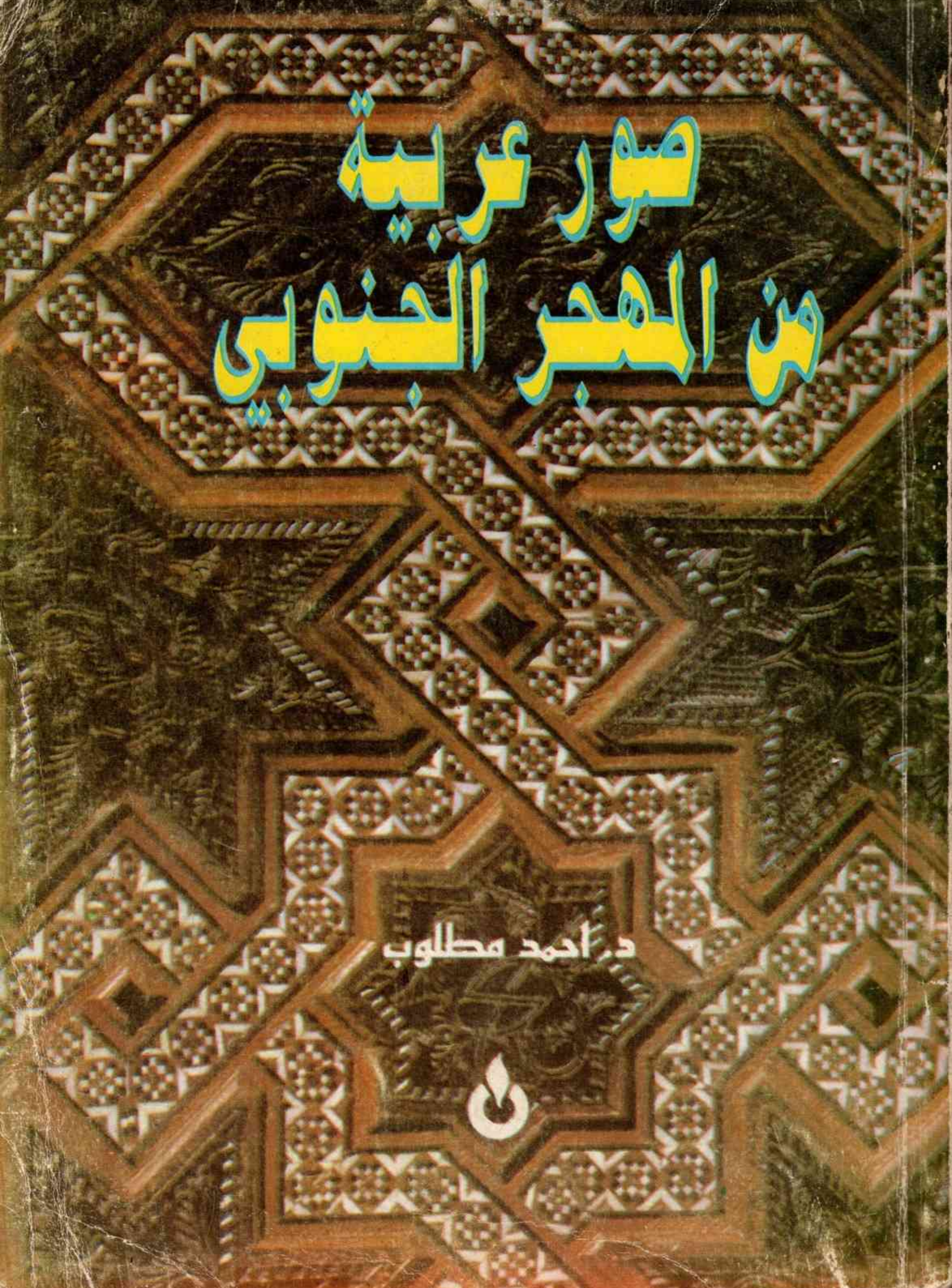


صور عربية
من المهجر الجنوبي
د. احمد مطلوب





دار الشؤون الثقافية العامة
وزارة الثقافة والاعلام

١٩٨٦





طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

تعنون جميع المراسلات
لرئيس مجلس ادارة دار الشؤون الثقافية العامة

العنوان
العراق - بغداد اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

الدكتور أحمد مطلوب

صور عربية من المهجر الجنوبي

الطبعة الاولى بغداد ـ ١٩٨٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

هاجر بعض العرب الى الامريكتين ، وكانوا بين أمل يفتح لهم طريق الرخاء ويأس يحيل الحيـاة عذابا • ونجح قليل منهم وخـاب الكثيرون ولكنهم بقوا يَشْقَوْن في ديـار الغربة من أجل لقمة العيش ولم يعودوا خشية أن يشمت بهم أهـلوهم وأصدقاؤهم إن عادوا خائبين • وسـارت الحياة بهم وجذبتهم اليها ، ولكنهم لم ينسوا وطنهم ولم يذوبوا في البيئة الجديدة ، وكانت في قلوبهم مشاعر أصيلة وفي ألسنتهم سحر ينفث الكلام العذب ، فتغنوا ببلادهم وأبدعـوا في تصوير آمالهم وأحلامهم ، فاذا بهم صور حيّة للأمة العربية في الديار الغريبة النائية •

هاجر أكثرهم في سن مبكرة ولم يأخذوا من العلم إلاّ طرفاً يسيراً ، ومضى بعضهم وهو لا يفكّ إلاّ الخط ولا يقرأ إلاّ بعض كلمـات في الانجيل ، وعكفوا على الدرس ساعات اقتطعوها من وقت راحتهم حينما يفيئون بعد عناء النهـار • وفي هذا الكتاب صور لتلك الحيـاة من خلال ثلاثة شعراء هاجروا وفي قلوبهم أمل عظيم وعزم أعظم ، وتنقلـوا من مكان الى آخر وكانوا رسل خير للأمة العربية في تلك الديار • انهم توفيق بربر من البرازيل ، وجورج صيدح من فنزويلا ، وجورج كعـدي من بوليفيا ، وهم صورة للكفاح والاصرار على الصـراع مع الحياة وقد جمعهم طريق واحد هو طريق الوطنية والقومية إذ أحبوا بلادهم وعشقوا أمتهم ولم تثنهم الحياة القاسية في غربتهم عن التغني بأمجاد الوطن الغالي

والأمة الحبيبة • إنهم صورة تمثل المهجر الجنوبي حيث ارتفعت رايات العروبة في أنحائه فاذا بفنزويلا والارجنتين وشيلي وبوليفيا والبرازيل تموج بالكلمة العربية العذبة ويرفرف عليها ايمان المهاجرين العرب •

يجمع هؤلاء الشعراء أكثر من ملمح فهم من المهجر الجنوبي الذي عُرف أبناؤه بارتباطهم بالوطن والأمة ، وهم مسيحيون قدسوا محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ لانه النبي العربي الأمين ، وتأثروا بالاسلام ومبادئه السامية ، ونهلوا من القرآن ، وتأثروا باسلوبه المعجز البديع ، وهم قد عبروا عن عواطفهم تعبيراً واحداً : حنّوا الى الوطن وتغنوا بأمجاده ، عشقوا العروبة وعملوا من أجلها ، بلَوا الحياة وتحدثوا عنها ، سحرتهم الكلمة العربية الاصيلة والعبارة البليغة والاسلوب الرفيع ، فمضوا يعزفون على أوتارها ألحانا عربية • انهم كانوا أوفياء للوطن مخلصين للأمة مما جعلهم في طليعة المؤمنين بالأمة العربية وأهدافها في الوحدة والحياة الحرة الكريمة •

إن تقديم « صور عربية من المهجر الجنوبي » تكريمٌ للذين ضحّوا من أجل أمتهم وهم يَشْقَون في ديار الغربة وينحتون الجبال بعزم من حديد ، وبعثٌ للروح الوطنية والقومية في هذه الأيام التي ازدادت فيها هجمة الاستعمار شراسةً وأخذ العدوان على العراق والامة العربية يشتد ضراوةً وجنونا ، وهي بعد ذلك تقديم لشعر عربي عزف عنه النشء الجديد بعد أن ضاع في لجة الشعر الذي يَطلُعُ عليه • وقد انعكس هذا الهدف في منهج هذه الصور فاذا هي : الذات ، الوطن ، العروبة ، الوجدان ، الاضاءة ، لتجيء تعبيراً عن حياة الشعراء الثلاثة ، ورسماً لمواقفهم الوطنية والقومية ، وتصويراً لمشاعرهم الوجدانية • ولو قصد غير ذلك لأخذت الصور ألوانا غير هذه الالوان وظلالا غير هذه الظلال •

إن « صور عربية من المهجر الجنوبي » تروي كفاح الشعراء الثلاثة من خلال شعرهم ، ولولا أن لجورج صيدح ديوان « حكاية مغترب » لسَمَّيتُ « حكاية المغتربين » لانها حقا تحكي بأشعارهم وكلماتهم قصة كفاحهم في الحياة ونضالهم في سبيل الأمة والوطن .

وبعد : فهذه ثلاث مقالات كُتبت في أربعة أشهر مَنَّ الله فيها بالراحة النفسية ولا سيما « شهرُ رَمَضَانَ الذي أُنزل فيه القرآن هُدىً للناس وبيّناتٍ من الهُدَى والفرقان » .

الدكتور أحمد مطلوب
عضو المجمع العلمي العراقي
الامين العام للهيئة العليا
للعناية باللغة العربية

بغداد ــ الأحد
أول حزيران ١٩٨٦م
٢٣ رمضان ١٤٠٦هـ

■١■

توفيق بربر

١ ـ الذات

كان رشيد سليم الخوري المعروف بالقروي ، آخر شاعر كبير في المهجر الجنوبي • وقد عاد قبل أن يموت بسنوات ، وظل يذكر من بقي هناك ويتذكر مجالسهم التي كان الشعر يعطرها بدفقاته ، وكانت الأخوة تعقدها بأواصرها • وفي قصيدته « ذهب الرفاق »[1] المهداة الى روح الشاعر ميشال مغربي ، ذكر القروي أخاه الشاعر المدني الذي كان آخر درّة في عقد المغتربين ، وتحدث عن العصبة الاندلسية فقال :

من للتراث العصبويّ وقد مضى ريب المنون بعهده الميمونِ
لولا سنابل بربر لم يبقَ في صَنْبول منه خميرة لعجين
لوددت موتي بينهم لو لم أقفْ للارز كلَّ صبابتي وحنيني

وبربر هو الشاعر توفيق بربر الذي نبغ في المهجر وإن لم يشتهر كاشتهار غيره لانصرافه الى هموم الحياة أكثر من انصراف القروي وغيره اليها •

وكانت في النفس أمنية أن أرى موطن هؤلاء الشعراء بعد أن أصدرت كتاب « القروي شاعر العروبة في المهجر » في ربيع عام ١٩٨٥م • وما هي إلا أشهر حتى شاء الله أن أزور البرازيل وأن أحظى بلقاء من بقي من شعراء المهجر الجنوبي • ووصلت الى سان باولو وبدأت أبحث عن الشاعر المدني فقيل لي : إنه قد مات ، ولم يبق من رفاق القروي

---

(١) ديوان القروي ج١ ص١٧٢ •

إلاّ توفيق بربر • وفي مساء يوم الخميس[٢] زارني الشـاعر في فندق هلتون فسررت بسقدمه أيما سرور ، وما أن تمت التحايا بيننا حتى بـدأ ينشـد :

وسلّمْ على صدّام ليث العرينةِ وكل بني تكريـت حتى الأجنـةِ
فمطلع أنـوار النبـوغ مبـارك وأحرى مكـان في الدنى بالتجلة

وقدّم لي ديوانيه المطبوعين في بغـداد : « ديوان الشلال » و « ديـوان الرافدين » • وكنت قد قرأتهما قراءة مطلـع لا باحث حينما صـدرا ، وقلت لنفسي : ها هو الشاعر الذي كان أعزّ صـديق للقروي وأخلص حبيب له ، وها هما هديتاه بيدي فلمَ لا أجري حواراً معه ؟ وبدأ الحوار أخويا عذبا ترفرف عليه نسمات العروبة القادمة من بغداد وتطوف حوله نفحات العروبة المقيمة في البرازيل •

قال : إنه ولد سنة ١٩٢١م في قرية الحاكور (الحاقور) ـ قضاء عكار من أعالي لبنان الشمالي ـ وأبوه الياس بربر ، وأمه رفقة خوري • تعلم القراءة والكتابة في المدرسة الانجيلية في لبنان ولم يدرس بعدها في مدرسة أو في معهد ، وهاجر يافعا سنة ١٩٣٧م الى البرازيل التي احتضنت أحلامه وآمال المهاجرين ، واتخذها وطنا ثانيا :

حَضَنَت برازيل العلى أحلامنـا فترعرعت في آكـرم الاحضـانِ
سـبحان مجترح العجائب جاعلا هذي البـلاد عجيبـة البلـدانِ
أقرأتَ عن عَـدْنٍ فهذي أختها لكـن بلا أفعـى ولا شـيطان
جمعت الى بَحْبوحةٍ فضفاضة حرّيّة الأطيـار في الافنـان
أحضانها مأوى الغريب وصدرُها ينبـوع حب دائم الفيضـان

---

(٢) كان ذلك في ٢٢ آب ١٩٨٥م الموافق ٦ من ذي القعدة ١٤٠٥هـ •

أرْبت على الأم الرؤوم غريبـة" قد عاملتـك بمنتهى التحنـان
وطن" لنا ثانٍ وما من أوّلٍ في الحب للولهـان أو من ثانِ[3]

ووصل الى ولاية القديسة كاترين ـ ساناتا كترينا ـ في جنوب البلاد وعمل بالتجارة ، وكان عمه قد سبقه الى تلك البقاع النائية . واستقر في سان باولو سنة ١٩٤٠ ، وعمل تاجرا متجولا ، وبعد ست سـنوات افتتح محلا لبيع الحرير ، ومعملا للمطاط فاحترق ولم يكن التأمين معروفا في تلك الأيام فخسر كل شيء وعاد الى نقطة الصفر عام ١٩٦٥ . ونظم قصيـدة « من وحي كارثة »[4] أظهر فيها شجاعة وأبدى عزة وإباءً على الرغم مما أصـابه :

فلتسكب الدنيا سـيولَ همومها فوقي فلستُ بشـاتم أو شـاكِ
الأرض موطىءُ أخمصيَّ وهمتي بين النجومِ تجـول في الأفـلاك
سيّان عندي أقبَلَتْ أم أمْحلَت ما دام لي حظٌّ من الادراك
إنَّ الشـدائد للرجال رياضـة روحية ، لا تشـْكُ من إنهـاك
واستقبل البلـوى بوجه ضاحك فالدهر يضحك للفتى الضّحـاك
والهـمّ ليل ينجلي بصباحـه والعسْرُ أسْرٌ ينتهي لفكـاك
ما أقبَح الأيـامَ صَحْوٌ كلّها وأمَرَّ طعْمَ العيش دون عـراك

وأنشأ معملا صغـيراً للاحذية الخفيفة[5] ، وفتح معمـلا آخر للمطـاط وأغلقه . وقد اشتهر ببيع هذه المادة وعُرف بها في أوساط تجـار المطاط على أثر انتشار قصيدته التي يقول فيها :

وشاعرهم يعيش على القـوافي وشـاعركم يعيش على الصـرام

---

(٣) قصيدة « نحن والبرازيل » ، ديوان الشلال ص٢٩٢ .
(٤) ديوان الشلال ص٢٤١ .
(٥) ينظر هامش ص٢٢٧ في ديوان الشلال .

وكان كلما التقى بالتجار والباعة قرأوا له البيت وكرروا الشطر الثاني • فبربر تاجر ، وقد عبّر عن ذلك في قصيدته « بين التجارة والشعر »[٦]:

أنا شـاعر في فطـرتي ودمي   لكنني في مهنتـي تاجـرْ
لو كان لي في الشعر بعض غِنىً   لغنّيت بالتغريـد كالطـائر
وقنعت بالعيش الخلـيّ فلا   أهتـمّ بالآتي ولا الحاضر
لم أسْعَ خلف المـال مجتهـداً   إلاّ بداعـي الواجب القاهر
في البيـت لي زُغلولتـان ولي   ورقاء ملء العـين والخاطـر
ما حيلتي بمكبلـي عَضُدي   فغـدوت عـن نيل المنى قاصـر
فكـأن بي ابليـس جـاوره   جبريـل ذا مُغْرٍ وذا زاجـر
ضـدان ما أنْفـك بينهمـا   في موقف المتـردد الحـائر
فاذا عَقَقْتُ نهـاني التاجـر   وإذا شَرِهتُ نهـاني الشاعر

وبعد أن استقرت به الحال وتحسنت الاوضاع دعا إخوته الى البرازيـل فوصلوا عام ١٩٤٨ ووصل أبواه سنة ١٩٦١ ، وماتا في المهجر قبل عـام ١٩٧٤ بقليل •

تزوج عـام ١٩٤٩ من عربية لبنانيـة مولودة في سـان باولو وهي جيزالا ، وكان الشاعر القروي قد أغراه بالزواج وهو الذي لم يفعل ذلك حتى توفاه الله • وأنجبت له جيزالا بنتين : ليلى وجيزالا التي يدعـوها زيزا للتحبب ، وقد سماها باسم أمها حباً لها واكراما • وكان يأمـل أن يرزق بولد ليسميه « عمر » اعتزازاً بثاني الخلفاء الراشدين • وبنتاه الآن في البرازيل وقد أنجبت ليلى ولدين هما : ايفان واسكندر ـ الشندري ـ وأنجبت جيزالا بنتين هما : فابيانا وتثيانا •

(٦) ديوان الرافدين ص٢٤١ .

لقد قرأ بربر الشعر بنفسه ، وكانت له مكتبة عامرة زارهـا يعقوب عودات ـ البـدوي الملثم ـ سنة ١٩٥١[٧] ، ومن هذه المكتبة اسـتقى ثقافته وبها عرف الشـعراء الكبار كالمتنبي وشـوقي اللذين كان شـديد الاعجاب بهما • ونظم الشعر بدافع قومي وكتب بعض المقالات الاجتماعية ونشرها في صحافة سان باولو •

ولبربر ديوانان مطبوعان :

الاول : ديوان الشـلال الذي صدرت طبعته الاولى في سان باولو سنة ١٩٧٤م ، وقام بطبعه أحد الحمصيين وهو عبده شـاهين الذي توفي قبل صدور الديوان بأسبوع واحد ورثاه بربر بقصيدة قال فيها :

من كان يُجزل في العطاء ولم يكن ... يبغي الظهـور ولم يكـن متمننا
سـأظل أذكـر غيرةً منه على ... أدبي كما ذكر الغريـب الموطنـا
من شاء فليأخـذ كتابي شـاهداً ... بفعاله وليتـلُ آيـات الثنـا
فهو الصديق أخو الصديق وحبذا ... كنز الصـداقة فهو نعـم المقتنى
قد حققـا أمنيتي كرمـاً ومـن ... غيرُ الكـرام لنا لتحقيق المنى[٨]

وكانت علاقة بربر بنادي حمص في سان باولو قوية ، وقطع صلته به بعد ظهور خميني ووقوف سـورية الى جانب ايـران في عدوانها الآثـم على العـراق •

وأعادت طبع الديوان وزارة الثقافة والاعـلام العراقية سنة ١٩٨١ ، قال بربر عن ديوانه :

---

(٧) ينظر الناطقون بالضاد في امريكا الجنوبية ج١ ص٢٦٣ • ولم يكن عندي وقت لازورهـا بعد لقائي بالشاعر في آب عام ١٩٨٥م في مدينة سان باولو •

(٨) قصيدة « رثاء عبده شاهين » • ديوان الرافدين ص٢٧ •

اليكمْ شـلالا من الشـعر جامعاً ... بحـور القوافي من تليـد وطارف
فما كل شـلالاتكم وبحوركم ... كشـلال شـعر زاخر بالمعـارف
أولئك ماء من حشا الصخر نابع ... وهذا لظى فجرته من عواطفي[٩]

الثاني : ديوان الرافدين الذي طبعته وزارة الثقافة والاعـلام العراقية سنة ١٩٨١م ، قال بربر : « هذا ديوان شعر ثانٍ أقدمه الى اخواني قراء العربية في كل مكان ، يجيء عقب ديواني الاول المعروف بالشلال والذي صدرت منه الطبعة الاولى في حاضرة سان باولو من أعمال البرازيـل منذ ست سنوات ونيف »[١٠] ثم قال : « لقد أطلقت على ديواني الجديد هذه التسمية الموفقة « ديوان الرافـدين » ، وهي تسمية قد اخترتها لسـببين أعتبرهما وجيهـين :

أولهما : فرض واجب اعترافي بفضل وجميل وزارة الاعـلام العراقية الجليلـة لتكرمها عليّ بعفويتها المعهودة بطبع هـذا الديـوان على نفقتها الخاصة مع تقديم كل التسهيلات اللازمـة لذلك . وثانيهما : وهو السبب المعنوي لهذه التسمية المباركة ، ألا وهو تأثري الفكري والروحي وتيمني الرمزي والعاطفي بهذين النهرين العظيمين ـ دجلة والفرات ـ الشـهيرين في تأريخ البشرية » .

وأهدى الديوان الى الرئيس صدام حسين ـ حفظه الله ـ :

حبيب الرافـدين اليك أهدي ... كتابي وهو باسـم الرافـدين
كدجلـة والفرات يمـوج مما ... تدفّق فيه من قلبـي وعينـي
ومـا اهـداؤه إلا اعتـراف ... بفضلك محسنا يا ابن الحسين

(٩) ديوان الشـلال ص٥ .
(١٠) ديوان الرافدين ص٧ .

تفضـل بالقبول فأنت أولـى به وأحـقّ مَنْ في الخـافقين
لعـلك واجـدٌ فيه قريضـا كخلقك خالصا من كل شَيْنِ (١١)

ولبربر مجموعة شعرية لم تطبع في ديوان ثالث •

وكان بربر معجبا بالشاعر القروي وله مداعبات معه ، وهو الذي شجعه على الشعر والزواج ، وكان ينتقد شعره ويرجع بعضه الى تأثره بالمتنبي شـاعر العربية الأكبر •

أحب بربر العراق ووقف الى جانب ثورته ، وقد زاره عدة مرات بين ١٩٧٧ و١٩٨١ ، وألقى عدة قصائد في اذاعة بغداد المرئية والمسـموعة • تجلت فيها روحه العربيـة الأصيلة ومواقفه الشـريفة الى جانب الثورات التحررية • وبربر عربي الثقافة على الرغم من انه عاش سنوات كثيرة في البرازيل ، وهو يجيد اللغة البرتغالية ــ لغة أهل البرازيل ــ وقد قرأ بعض أدبها ولم يتأثر به ، وقد تمنّت زوجه جيزالا أن يكتب المقالات وينظـم الشعر بالبرتغالية ، وكان يرفض[١٢] ذلك قائلا : « أريد أن أخـدم أمتي العربيـة بلغتها » • وسبّبَ له هـذا الموقفُ القومي الصلب كثـيرا من المصاعب ، ففي سنة ١٩٧٩م أقام له حزب القوميين السوريين مأدبة عشـاء في بيروت وألقى قصيدته « تلك الملايين »[١٣] ومطلعها :

لا الناب تفعل في قومي ولا النوب تُرى نسوا أم تناسوا أنهم عرب

فانزعج الحاضرون لما فيها من نزعة عربية صادقة ، وقال له الدكتور عبدالله القبرصي أحد أركان الحزب : « انك شاعر فحل ولكنك وقح » •

---

(١١) ديوان الرافدين ص٥ •
(١٢) لبربر قصيدة « عيد استقلال البرازيل » وهي عن الشاعر البرازيلي كازيميرو دي ابراو بتصرف (ديوان الشلال ص٣٢٧) •
(١٣) ديوان الرافدين ص١٣٥ . وكان قد القاها في تلفزيون بغداد ٢٢ تموز ١٩٧٨م •

وألقى سنة ١٩٨١م قصيدة « الى جيش العراق المظفر »[١٤] وفيها قال:

في حرب تشرين له ... الفضل الذي لا يُنكَرُ
أفمدرك" ليس يعي ... أم حافظ" لا يذكر ؟
فليحيَ جيش الرا ... فدين وشعبه المتحرر
ولينصر الله الألى ... من حقهم أن يُنْصروا

وغضب سفير النظام السوري ورفع تقريرا وقع عليه قوم اتضح أن بعضهم قد مات منذ عهد بعيد .

هذا ما حدثني به الشاعر توفيق بربر في جلسة عامرة امتدت ساعات، وهو حديث الصادقين . وليس فيما كتب عنه إلا أسطر قليلة لا ترقى الى هذا الحديث المسهب ولا تشفي الغلة لانها لا تقدم تبيانا لهذا الشاعر المحب لأمته ووطنه .

قال جورج صيدح : « لبناني من قرية الحاكور قضاء عكار ، تاجر محسان ، وشاعر أصيل ، وراوية ممتاز يشار اليه بالبنان في سان باولو. لا نعرف من سيرته وآثاره إلا ما تنشره المجلات الأدبية »[١٥] .

وقال البدوي الملثم : « ولد في الحاكور قضاء عكار ونزح الى سان باولو ، وزاول التجارة التي لم تلهه عن الأدب ، وقرض الشعر في جو من الكتمان ، وقد امتاز بحفظ شعر القروي وفرحات وشفيق معلوف وأبي ريشة وأبي ماضي »[١٦] .

---

(١٤) ديوان الرافدين ص٢١٤ .
(١٥) أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية ص٤١٨ .
(١٦) الناطقون بالضاد في اميركا الجنوبية ج١ ص٣٢٩ .

ولعل قلة المعلومات ترجع الى أن الشاعر قليل الكلام على نفسه بعيد" عن الدعاية ، وقد حدثني بأنه كثيراً ما أهمل رسائل من يطلب شعره أو ترجمة لسيرته . ولولا هذا التواضع ما هزّتني نشوة البحث في ديار الغربة لأصغي اليه وهو يتحدث عن العراق وثورته والحرب العدوانية التي فرضت عليه منذ أيلول ١٩٨٠ ، ويبث نجواه وأشواقه الى أمته ويدعو الى الوحدة العربية بايمان عميق يبدو في بريق عينيه وفي كلماته وهي تخرج من أعماق قلبه الصافي .

والشاعر يحيا اليوم في سان باولو حياة رغيدة بين زوج أخلصت له وبنتين تعلقتا به وأحفاد سعدوا بمحياه الوسيم وأصدقاء حملوا العروبة في تلك الديار النائية وأخلصوا لها قولا وفعلا . وبربر الآن ذو منزلة كبيرة بين العرب المغتربين في البرازيل ، وقد كرّموه في السنوات الاخيرة وأقاموا له الحفلات . وشكر لهم ذلك التقدير بقصائده التي تغنى بها في تلك المناسبات ، وهي قصائد تنمّ على احترامهم له وتشير الى اخلاصه لهم ، وتظهر روحه السامية وعزته القعساء وشممه العظيم . وفي قصائد « شاكر وشاك » و « لولا ضميري » و « صنو النبوة »[17] تصوير لتلك المنزلة والعزة والاباء ، وردّ للجميل واعتراف بالصداقة المتينة والود المقيم ، ولا سيما في هذا العهد الذي كاد المهجر فيه يصهر بقايا العرب وينسيهم لغتهم ويفقدهم ارتباطهم بأمتهم بعد أن تتالت الاجيال ونشأت في بيئة تعدها بيئتها ولغة تعدها لغتها . ولعل الحركة العربية الجديدة في المهجر تعيد زاهر أيام العرب في تلك الديار البعيدة .

---

(١٧) تنظر في ديوان الرافدين ص١٥٤ ، ١٧٣ ، ٢٣٦ .

٢ - الوطـن

الشاعر توفيق بربر من أولئك الشـعراء الذين ظلوا مرتبطين بأمتهم ، متمسكين بمبادئها وأهدافها في الوحـدة والحرية ، لم يثنهم عن ذلك بعد وغربة أو يرهبهم سـلطان جائر •

هاجر بربر الى البرازيل ، وهناك كدح وشقي بعد أن ظن أن الحيـاة ستجري رخاءاً • وبدأ يحس بالغربة تدب في عروقه وأخذت الوحشة تلفّه من كل جانب في تلك الديار النائية :

آنا الغريب الذي جَفّتْ مباهجه ... وَجْداً وشوك الأسى في صدره نام
أقضي الحياة بأرض لا حيـاة بها ... أقول شـعراً فصيحـا بين أعجـام
أسعى الى المال محموماً فيزجرني ... عنه ضمير وقى عرضي من الـذام
وطالب المال والاخـلاق عـدّته ... راع يصـول على ذئبٍ بأغنـام
وهكذا تـذهب الأيـام تاركـة ... رغـائبي بين إقـدامٍ وإحجـام
والله لولا بصيص منعش أملـي ... يلـوح كالآل في بيـداء أوهامي
لما صبرت على الهجـران ثانيـة ... وكنت أختـم آمالي وآلامي[18]

وتمثل قصيدة « الشموس الغاربة »[19] حرقة كل مهاجـر وهو يودع وطنه وأهلـه :

هجـر الطودَ واستقلّ البحارا ... تاركاً للأسـى حبيبا ودارا
ودمـوع الفراق تعصب عينيـــه ، فلا يبصـر النهـار نهارا

(١٨) ديوان الشلال ص١٢٥ ، قصيدة « سفينة الاحلام » .
(١٩) ديوان الشلال ص٢١ .

لا يبالي والصدر في غليانٍ أن يرى الموج زاخراً هدّارا
كلما مالت السفينة نحو الغرب ، فاضت دموعه تذكارا
يافعٌ هام بالعظائم كالنّسْر ، وكالنّسْر شاءهنّ كبارا
فمضى ينهب البحار لأرضٍ تُنْبتُ العز والعلى والنضارا

ويتوجه الى لبنان معاتباً لانه ترك أبناءه يهجرونه اضطراراً بعد أن ضاقت بهم سبل العيش :

إيه لبنان كم فتى عبقري عنك ولّى الى سواك اضطرارا
لا تلمه فأنت باللوم أولى بانَ قَسْراً وأنت تنأى اختيارا

ولكن هل استقرّ ونزع رداء الهمّ ؟ انه يتنزّى :

يتنزّى خلف البحار كليث وهو كالليث لا يطيق الأسارا
حكمة الدهر أن يظل غريبا لا يرى من ذويه إلاّ ازورارا
سامه العيش أن يساوم قسراً لابساً للحياة ثوبا معارا

وظل أبناؤه أوفياء يحملونه على شفاههم صلاةً طاهرة ونغماً عذبا :

حملوه على الشفاه صلاةً وأذابوا قلوبهم أشعارا
وأذاعوه في الملا فتحدّى جبهة الشمس عزةً وفخارا
غادروه والعيش فيه عسير فأصيبوا وما أصابوا يسارا
هكذا يسقط الأديب بعيداً عن حماه ولم ينل أوطارا

وفي قصيدة « عربدة غريب »[20] يتنزى الشاعر حرقة وألماً ويحسّ بالوحشة تأخذ به من كل جانب في الديار النائية الغريبة :

أشرب الكأس عسى أسلو النوى أو عسى أدنو قليلا للحمى
أستحي من ضحكة الكأس ومن مرح الندمان أن أبكي دما

---

(٢٠) ديوان الشلال ص٩٧ .

عَلْقَمَتْ أمسي ويومي وغدي غربة طالت فحالت علقما
إنَّ من أظماه شوق للحمى يشرب الماء سراباً في الظما

ويذكر الوطن وحسنه الفتّان :

أين من عيني لبنان الذي حسنه الفتان أنساني السما
أشتهي جرّ الخطى في أرضه ولكم عانقتُ فيه الأنجما
وطن زان الهدى مفرقَه وعلى أقدامه المجدُ ارتمى

ويعود الى غربته ، ويودّ لو أنه لم يهجر وطنه :

ليت عيني لم تفارق نورَها فالنوى كانت لعيني كالعمى

وكان البين بلاءً لم يصب منه شيئا ، وقد أمسى بين نارين : يأس العودة واشراق شمسه في الغرب :

بليت ببين لم أصب في خلاله صبيحة يوم واحد غير معسر
وعشت شبابي لم أمتع بلحظة وما نابها أو شابها من مكدر
تنافر حظي في الجهاد وهمتي فكان جزائي منهما حظ عبقري
وها أنا في نارين من يأس عودتي واشراق شمس العز في غرب مهجري(٢١)

وما كان للمهاجر وهو يحس بالغربة القاتلة إلاّ أن يفكر بالعودة الى وطنه وأن يظل يحلم بها ، ولكن هيهات ، فقد ارتبط بالارض الجديدة ودارت به الأيام :

أعدني الى أحضان أمي ووالدي وجيرة إخوان أشدّ بهم أزري
أعدني الى دار الطفولة والصبا هنالك في لبنان معجزة الدهر
فان حمى الانسان خير من السما وان هوى الاوطان مجلبة الفخر(٢٢)

---

(٢١) ديوان الشلال ص١٦٦ ، قصيدة « الم وشمم » .
(٢٢) ديوان الشلال ص١٢١ ، قصيدة « من وحي سنطوس » .

انه يريد العودة ولو بالذاكرة بعد أن تكشفت له الحياة الجديدة :

يا نفس في دار النوى دارت علينا الدائره
لم نجن في صحرائها إلاّ الهموم الزاخره
قومي نعود الى الحمى النائي ولو بالذاكره
نستعرض الماضي الدفين[٢٣]

وتنثال عليه الذكريات في قصيدة « هل تذكرين »[٢٤] ، فيتذكر طفولته في لبنان ومرحه بين الكروم وأهله والبيت السعيد والنهر الذي يمر بقريته مصفقاً ، ويتحسر على حبيبته الاولى :

هل تذكرين صغيرة أحببتها حبّ الجنون
ورأيت في أخلاقها وجمالها كل الفتون
لكنها واحسرتاه قضت ووارتها المنون

وذاق طعم الموت في مأساة حبه الاول ، ولفّه هول المصاب ، وها هو يتذكر يوم ركوبه الباخرة مهاجرا :

هل تذكرين فراقنا وركوبنا متن البحار
ووداعنا الأحباب بالزفرات والدمع المثار
نبكي ويبكي حولنا أمّ وأتراب وجار

ويندم على الهجرة :

يا ليتنا لم نبتعد عن عشنا الهادي الطروب
أو ليتنا عفنا النوى كالعار أو بعض الذنوب
كم من قلوب حطمت وجْداً كحسناء لعوب

---

(٢٣) ديوان الشلال ص٤٨ ، قصيدة « هل تذكرين » .
(٢٤) ديوان الشلال ص٤٨ .

وييأس من العودة :

ومتى قضيت ولـم تكـن　　بتراب أرضي الخاتمـه
فالى ثـرى تلك الربـوع وفي سـماها الحالمـه
أبـداً تحـنّ جوارحي　　وتظل روحـي حائمـه

ولماذا تحن جوانحه الى لبنان ؟

لولا محبـة أوطـان مقدسـة　　ما أنزل الله انجيـلا وقـرآنا
فَصِلِ بلاداً بها عيناك أبصـرتا　　نور الحياة تطبْ نفسا ووجدانا

ثم مـاذا ؟

لما رأى الله أن الناس لم يجدوا　　في الارض شيئاً جميلا صاغ لبنانا[25]

ويذكر نهر « عرقا »[26] الذي يمر بالقرب من قريته الحاكور :

صفا ماؤه كالدمع في صفحة الخلد　　وطاب ففي الاحشاء أحلى من الشهد

ويتحدث عن شبابه الذي نثره فوقه :

نثرت شـبابي فوقه كفراشـة　　على زهرة باللهو تغري وبالرغد
فيا طالما بـرّدت جسـمي بمائه　　كصبيّين حتى غار من مائه بُردي
وشنفت سمعي من خرير مياهه　　وما زال في سمعي صداه على البعد

وظل يحمله في قلبه :

فيا أيها النهـر الطـروب كأنه　　بإنشاده قيثارة الحب والوجـد
حملتك في وجدي وسمعي وخاطري　　الى آخر الدنيا وذا منتهى الودِ
خريرك يوحي الحب والشعر والعلى　　ثلاثة أحمال أنوءُ بها وحـدي
أنا زهرة الصحراء إيماضة الدجى　　نشرت على الحاكور باكورة المجد

(٢٥) تنظر قصيدة « أسطورة لبنان » في ديوان الشلال ص٥٦ .
(٢٦) ديوان الشلال ص١٢٩ .

ويصف فرحته بلقاء الوطن بقصيدة « بين سماءَين »(٢٧) :

وصلتُ الى الحمى والصبح سافر   كمرآة جلت أبهى مناظر
فيا رباه أغنى الناس شاعر   قضى وطراً وأسعدهم مهاجر
رأى لبنان عن كثب فحيّا

وطئت ترابه فوطئت تبرا   وخلت العالمين لديه صفرا
وأعجب كيف من ولاه ظهرا   الى أرض سواه يطيق صبرا
ويحسب نفسه يوما هنيّا

ويظل الحلم يراود المغترب بالعودة ، ويتصور بربر أنه عائد وتجيش شاعريته فاذا بقصيدة (العودة)(٢٨) إسقاط لما في نفسه ، واذا به يعبر عن ذلك أروع تعبير :

عاد الغريب الى الحمى   فشفى الوصال متيَّما
الله أكبر ما رأت   عين أجلّ وأكرما
من عائد بيمينه   حمل الفؤاد مسلّما
عيناه تبتدران من   طرب ويحكي بالومَا
عقل السرور لسانه   فبكى الفؤاد مترجما
واذا السعادة فاجأت   قلبَ الشقيّ تلعثما
طوباك يا قلبي لقد   أصبحت في قلب الحمى
فاطرح عناءك والتمس   فيه لجرحك بلسما
حققت ما لا تشتهي   من بعده أن تحلما
نلت المرام فلا تقف   دون السعادة أبكما

---

(٢٧) ديوان الرافدين ص١١٩ .
(٢٨) ديوان الشلال ص١٦٧ .

ويصل المغترب الى أهله فيصرخ من فرحة اللقاء :

لبنان يا جبلي الأشمَّ ويا حبيبتي الملهما
صلّى الالهُ عليك يا وطن الجمال وسلّما

ويودع زميلا له عاد الى الوطن ويرى أنَّ تلك العودة عودته :

عُدْ يا أخيَّ الى دنياك بعد نوى كادت تسيتك لولا بارق الأمل
عود الغريب يضاهي في نهايته عود الشباب الى أيامه الأول
أعدَّ عَوْدَكَ عَوْدي للحسىوأرى فيقَدْرِ قَدْرِكقَدْراً للقريضولي
قرابة الروح هذي ليس يفصلها شيء ومن لا يصل بالروح ينفصل(٢٩)

لقد كان لبنان في قلب الشاعر عرقا ينبض وفي روحه أملا يرف . وظل يتحدث عن وطنه بزهو واعتزاز . ويذكره في كل مناسبة . ويصف رباه وسحره وجماله . ويتحدث عن مدنه وقراه . ويجسّده في كل شيء ؛ ففيروز لهاة لبنان وبلبله الصداح :

يا لهاة الأرز يا فيروزَه غرّدي ما شئت فيه واسجعي
ربَّ ورقاء من الحب ارتوت أثلجت بالسجع قلب البلقع(٣٠)

وملكة الجمال العالمي اللبنانية ذرة من شمس لبنان وبانة في غابة أرزه وصورة من ريحان جناته :

ويا ذرة من شمس لبنان أشرقت بهاءً فكاد الكون بالنور يسكر
ويا بانة في غابة الارز أمرعت هنالكحيثالصخر كالنور يزهر
ويا غادة تحوي المفاتن كلها كأني بها لبنان وهو مصغر(٣١)

---

(٢٩) ديوان الرافدين ص١٠٢ ، مقطوعة « عود الغريب » .
(٣٠) ديوان الشلال ص١٢٢، قصيدة « فيروز » .
(٣١) ديوان الشلال ص٢٩٧ ، قصيدة « ملكة الجمال العالمي اللبنانية » .

والحديث عن لبنان شهي :

لله ما أشهى الحديث عن الحمى عن مصدر الاشعاع عن لبنان
عن موطن الأرز الذي زان الورى أبناؤه بالعلم والعرفان[٣٢]

ولم يمنعه حبه للوطن من أن يؤنب شعبه:

يا شعب ويحك مثلما أسلمت للاقدار أمْرَكْ
تنقاد للجاني الأثيم ولو الى الهيجاء جرّك
شلّت يديك يدُ الهوان وقلّم الطغيانُ ظفرك
كم تستثار وما تثور وكم تُهزّ وما تَحَرَّك

ثم يقول :

فارْقُدْ بقبرك آمناً وليُحْسِنِ الرحمن أجرك
لو كنت من أهل الحياة لثُرْتَ واسترجعت حقك[٣٣]

وكان يدعو الى « دفن الاحقاد »[٣٤] في إبان الثورة اللبنانية عام ١٩٥٨ ، ويدعو الى وحدة المسلمين والنصارى لتصان وحدة لبنان الذي كان قبل الحرب دار سلام :

يا مسلمون ويا نصارى في الحمى يا مدّعون عبادة الرحمن
حلّفتكم بالأنبياء جميعهم وبحرمة الانجيل والقرآن
جرّبتم عهد الشقاق فجربوا عهد الوفاق بوجهه النوراني

إن لبنان عربي وسع الجميع ، وهو وطن حُبُّه واجب :

فاجعل شعارك حبّ لبنان وخذ من أرزه حِرْزاً لدى الحدثان
واقرن عروبته بحبل ولائه فكلاهما بالعرق متصلان

---

(٣٢) ديوان الرافدين ص١٢٧ .
(٣٣) ديوان الشلال ص١٤٣-١٤٤ ، قصيدة « يا شعب » .
(٣٤) ديوان الشلال ص١٧٠ .

ولا بدّ من أن يهون كل شيء من أجله :

النار بَرْدٌ في سبيلك والردى أمنية والخلد شيء فانِ
بالحب نمسح عنك آخر دمعة في جفنك المقروح بالاحزان

وأحزن الشاعر ما مرّ به وطنه ، وهالته الحرب التي دمرّت لبنان ، وأفزعه الصراع بين الطوائف وما لقي الوطن من عقوق أبنائه • ففي مذبحة تموز ١٩٧٥ نظم قصيدة « ويح لبنان »(٣٥) :

ويح لبنان ما أعقّ بنيه كافأوه بالهدم والتشويه
غاب صوت الأجراس في البيَعِ الغرّ وغار الاذان في منشديه
لم يعد يملأ المسامع إلاّ لعلعات الرصاص في ناديه
كلما نامت الضغائن فيه شمّر المغرضون للتنبيه

ولكن لبنان على الرغم من ذلك تحلو الاقامة فيه :

يا لقطر تحلو الاقامة فيه رغم هذا الشذوذ في ساكنيه
إن ورد الجمال في وجنتيه أنبت الشوك في لها حاسديه
وابن لبنان بدعة الخلق لكن زجّه التيه في مهاوي التيه

وفي نيسان ١٩٧٦ ينظم قصيدة « لبنان الدامي أو فردوس الأوابد »(٣٦) وهي قصيدة دامية كلبنان الذي دمرته الحرب وأصبح القتل فيه كقنص الغابات :

تبدل الحال في لبنان وانقلبت فيه الامور وساء العيش واضطربا
فلا الأهلة والصلبان ماثلة مثل التعاويذ فيه حققت أربا
ولا المآذن والاجراس داعية الى الصلاح صداها يغمر الهضبا

---

(٣٥) ديوان الرافدين ص٣٦ •
(٣٦) ديوان الرافدين ص٤٥ •

وتمضي القصيدة مصورةً الدمار الذي شمل لبنان كله ، فلا العصافير مرتلة آيات الحب والشكران ، ولا الجداول جارية في الوديان ، ولا الازاهر باسمة في الرياض ، ولا الشواطىء حالية ، ولا فيروز تصدح بالأغـاني ، ولا المتنبي ينشد غرّ قصائده ، ويلتفت الشاعر الى بيروت متسائلا :

أتلك بيروت أم غاب أوابدها ... تستمرىء اللحم حتى زادها سغبا

وظل يندب لبنان ويبكيه ، وينظـم في عام ١٩٧٦ قصيدة « ما يقول التأريخ ؟ »[٣٧] ، وينشدها في حفلة تكريم بطـريرك السريان مار يعقوب الثالث :

هو لبنـان في اللظى يتلاشـى ... كدخان ولا يرى شبْه راحـم
ما يقول التأريـخ يا قـوم عنا ... إن حكم التاريخ كالسيف صارم

ويموت الشـاعر شفيق معلوف ويقام له تأبين في الخامس عشـر من شهر حزيران ١٩٧٧م ، ويلقي توفيق بربر قصيدة[٣٨] يبكي فيها لبنان :

يا بلبـل الأرزِ هل غالتك رؤيته ... كالجمر تحت نوازي الحقد والضرم
مأساة لبنان حزّت في مشـاعرنا ... من فاته الموت لم يسلم من السـقم
كم طيَّر البرق أنبـاءً مروّعـة ... قلبَ الغريب فودّ العودَ للعدم
وَهَبْ سددنا عن الجلى مسامعنا ... فهل يُسَدّ طريقُ القلب بالصمم

وللشاعر قصيدة « لبنان »[٣٩] التي نظمها قبل نشوب الحرب الاهلية ببضعة أشهر ، وهي في ثلاثة أناشيد تعبّر عن حبه لوطنه لبنـان واعتزازه الكبير به . يبدأ النشيد الاول بقوله :

---

(٣٧) ديوان الرافدين ص٦١ .
(٣٨) قصيدة « رثاء الشاعر شفيق معلوف » . ديوان الرافدين ص٨٢ .
(٣٩) ديوان الرافدين ص٢١ .

أتســأل عنــي و ُقيت العمــى وقــومي بدور" وأرضي ســما
وجوهر نفســي على محتــدي دليــل لمــن جــاء مســتفهما

ويمضي متحدثا عن لبنــان ومفاتنه ، ويصف رياضه وجــداوله وأرزه وجباله وسحره وجماله • ويرجع في النشيد الثاني الى الماضي وما قدّمــه شعب لبنان ، ويتحدث في النشــيد الثالث عن نفسه وهجرته وهو غض الأهــاب :

بعمر الــورود تركت بــلادي فشعري حنين وعيشــي نــدم
أربّي خــرافي وجنبي ذئــاب وأنشد شعري وحولي عجــم
وأنّى لِنِسْرٍ بعيــد المرامي تطيب الاقامــة بين الرخــم
وكيف الســلوّ ولي ذكريات تموج بصدري كموج الخضم
فجسمي بسانبول بين الصروح وروحي بلبنــان فوق الأكــم
يقولون لبنــان حلــو وأنت تراه الكمــال ، فقلــت : نعــم

ويمضي متحدثا عن لبنــان ومفاتنه ، ويصف رياضه وجداوله وأرزه بنداء الى أهل لبنان :

فيا أهلَ لبنــان هذا حماكــم وسـيم المحيــا كريم الشيم
حبــاه الالــه ضروب الجمــال وأضفى عليه جزيــل النعــم
فجاء ســويّا كبــدر تمــام ولا شيء في الخلــق منه أتــم
فكونوا حمــاةً أبــاةً بنــاةً فيحلــو بكم رافلا بالعظم
وهــذا خليــق بأقــداركم فان المهمَّ يجــلّ الأهــم

وتكاد هذه القصيدة تكون ملحمة تتحدث عن عظمة لبنان وكفاحــه وكأن الشــاعر كان يعلم ما في ضمير الغيب فنبّه اللبنانيين الى الكــارثة التى نزلت بهم في السنوات الاخيرة ولا تزال تحرقهم بنارها الدامية :

فكونوا حمــاةً أبــاةً بنــاةً فيحلــو بكم رافلا بالعظم

ولكن الناس كفروا بنعم الله ، فاذا هم في حرب تطحنهم طحنا . وتفرق شملهم ، وها هو بربر يتحـدث عنها والأسى يعتصر قلبه وهو البعيد عـن موقع الاحداث ولكن روحه كانت تحوم أبداً فوق ربى لبنان ، وكان قلبه يخفق أبداً حبا للوطن الغالي وهو يطل من وراء المحيطات . وأنى لبربر أن ينسى أرضا درج عليها في صباه ، وسماء تطلع اليها وهو يستكشف المجهول ؟ انها الروح الوطنية التي تربطه بوطنه وتجعله يتعلق به بعد هذه السنين الطوال من الغربة في البرازيل .

٣ - العروبــة

يمثل بربر الاتجاه القومي في المهجر . وقد حمله هو وفرحات والقروي. فلما مات الأخيران ظل البلبل الصداح على دوح العروبة في البلاد الغريبة النائية • والعروبة روح الشـاعر ونبض قلبه الخافق ومحال أن يخـون العرب وان شطّ المزار ونأت الديار :

يا شاعر العرب هذي أمـة العرب　　تكبو وتنهض والغايات في الطلب
شطَّ المـزارُ وما زالت جوارحنا　　تهفو اليها كمـا كانت على القرب
الله يعلـم كم نرتـاع إن جنحت　　الى التقاطع أو مالت الى الشـغب
ولا يطيب لنا عيشٌ ووحـدتُها　　كالمدّ والجزر بين الجد واللعب[٤٠]

ويخاطب بغـداد في الرابع والعشرين من آذار سنة ١٩٧٩ :

لا تقولـي بغـداد إني ربيـب الغرب نـاءٍ أغريتـه بالمعـاد
يشـهد الله ما ذكـرتك إلاّ　　لأناجـي ما فيك من أمجـاد
في عروقي دم العروبـة يجري　　وهي عندي أعـزّ من أولادي
أنا أهـوى كل البـلاد وما أفرق فيهـا بين الـربى والوهـاد
إنّ لبنان مسـقط الرأس لكن　　كل أرض للعرب فهي بـلادي
عـربيّ أنا ورغـم اغتـرابي　　لم أزل مولعـا بحب الضاد[٤١]

لقد عاش في الغربة وظـل قلبه ينزف ألما ، ولم تنسه الآلام عـروبته ولا غيّرت الأيام هويته :

---

(٤٠) ديوان الرافدين ص٧١-٧٢ ، قصيدة « رثاء الشاعر فرحات » .
(٤١) ديوان الرافدين ص١٨٢ ، قصيدة « البغدادية » .

في العرب والمتحدرين قوى … في وسعها أن تقلب المجرى
طيب الأرومة في مهاجرنا … علّى الفروع وعمّق الجذرا
آياتهم في كل مغترب … تطوي الأثير وتنشر العطرا
وعلى وجوههم الوسيمة من … سيما العروبة أسطر تقرا
لو لم يكن فخر لأمتهم … إلا هم لكفى بهم فخرا
فرع العلى بالأصل مرتبط … وبوحدة الآمال والذكرى[٤٢]

وهيهات أن يستبدل بهم قوماً آخرين كما ظن بعضهم ، وقال إنه إن استبدل قومه فكأنه بدل ثوبا باليا بجديد :

هب العرب كانوا أهل حول وصولة وملك ترامى خلف كل حدود
وعادوا كما كانوا عليه قبائلا … تلاشت كعاد وانطوت كثمود
ولكنهم أهلي وللأهل حرمة … تصان بأرواح لنا وكبود
أتطلب مني أن أخون عشيرتي … وأنكر أهلي أو أعقّ جدودي
أأقطع حبل الود بيني وبينهم … وأهون منه قطع حبل وريدي[٤٣]

إنه مؤمن بأمته كل الايمان ولن يثنيه عن ذلك شيء :

آمنت بالعرب حتى لو بهم نزلت … كل النوازل لم أقطع بهم أملي
إيمان حر أصيل في مبادئه … وبرّه ثابت الاركان كالجبل[٤٤]

ويفخر بماضي الأمة ورجالها العظام :

كن كالسموأل في الوفاء ومعن في الخلق الكريم
وكحاتم الطائي في المعروف والفضل العميم

---

(٤٢) ديوان الرافدين ص٣٤ ، قصيدة « مرحى » .
(٤٣) ديوان الشلال ص٦٥–٦٦ .
(٤٤) ديوان الرافدين ص٢٠٧–٢٠٨ .

وكعنتر العبسي في الاقدام والبأس العظيم
تلك الشموس الساطعات شموس قومك في القديم[٤٥]

ويفخر بالأمة العربية وانتصاراتها الرائعة :

سلام على العهد الذي كلما هفا يذكرنا النصر الذي شرّف العدى
مشينا الى الفتح المبين جحافلا نلقن أهل الارض أمثولة الهدى
وكل يمين صارم يحصد الخنا وكل شمال ديمة تمطر الندى[٤٦]

ويعتز بالعرب والنبي العظيم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

للّه لبنان ما أبهى مناظره كأنه الخلد في أثوابه القشب
وأمة العرب ما أحلى شمائلها في شاهق العزّ أو في سالف الحقب
شهادة الحق ان العرب عن ثقة خير الورى ونبي العرب خير نبي
كانوا شموسا وما زالوا وان حجبوا هنيهة عن عيون الارض بالسحب[٤٧]

ويصوّر البطولة في قصيدة « أساطير الفداء »[٤٨] التي نظمها في حادثة ميونيخ الشهيرة في أثناء الألعاب الاولمبية العالمية التي استشهد فيها فدائيون عرب سنة ١٩٧٢ :

أساطير الفداء وصانيعها ومَنْ من فيض عزتهم رويت
ويا قبسَ العروبة في دجاها وقوتَ نضالها إن عزّ قوت
كتبتم بالدم العربي سطرا يطالعه الجبان فيستميت
ويلقى اللاجئون به دليلا عليه يلتقي الشمل الشتيت
لتهنأ أمة منها انبثقتم فهذي أمة ليست تموت

---

(٤٥) ديوان الشلال ص٨٦ ، قصيدة « المير » في حفلة تنصيره عام ١٩٤٦م .
(٤٦) ديوان الشلال ص١٠٥ .
(٤٧) ديوان الشلال ص٢٦٤ ، قصيدة « شهادة الحق » نظمت في عام ١٩٦٧ .
(٤٨) ديوان الشلال ص٣٢١ .

وكان يدعو الى الوحدة العربية لتتخلص البــلاد من التخلف وتقضي على التبعية ، وتزدهر بما فيها من خير وفير ، ففي عام ١٩٥٨ أنشد في أول عيد للجمهورية العربية المتحدة قصيدة « لبنان والعروبة »[٤٩] :

لبنان والوحدة الكبرى له أرب   في أمة دينها الاخــلاق والأدب
يهفــو اليك بأحــلام مجنحــة   وملؤه الزهو في ذكراك والطرب
وقفت في عيدك الــزاهي أمثله   كما يمثل روح الكرمــة العنب
وقد تساوى رسول‌الله في كبدي   وابن‌البتول ومهد الأرز والعرب
العرب أمي ولبنان الحبيب أبي   لي والدان ِذا فات الدعيَّ أب

وهذا من نبع حبه لأمته التي حمل رسالتها الخالدة وهو في المهجــر ، ولم يثنه بُعْدٌ أو تغيره أحداث :

الكل في دنيا العروبة واحــدٌ   ضلَّ الذي قد قال فيها اثنان
إن العروبــة دوحـــة فيها الفــروع   تشابكت كتشابك الأغصــان
أبناء يعــرب أخــوة وتفرقــوا   أيعاب ناشدُ وحدة الاخوان[٥٠]

وظل الشاعر يردد هذه القيم الأصيلة ويتخذها شرعة ومنهاجا ، وها هو في ديوانه الثاني يقول :

بشلال شعري قد سكبت عواطفي   وها إنني في الرافــدين أعيـــد
وكل مرادي أن أرى العرب وحدة   يشدّ عراها الشعب وهو سعيد[٥١]

ولكن لماذا الوحدة ؟ يقول بربر : انها طريق الخلاص :

---

(٤٩) ديوان الشلال ص١٤٥ ، وذكرت عزيزة مريدن في كتابها « القومية والانســانية في شعر المهجر الجنوبي » ص٤٠٩ ان الشاعر القاها عام ١٩٦٠ .
(٥٠) ديوان الشلال ص٣٠٦ ، قصيدة « صوت البلاد » .
(٥١) ديوان الرافدين ص١٢ .

فيا أمتي قد لاح فجرك فانهضي ولاحت تباشـير المنى فتبسمي
أحاطت بك الاخطار من كل جانب وفي الوحدة الكبرى خلاص فأقدمي(٥٢)

والوحدة العربية هي المطلب الأسمى وعين الهدى :

والمطلـب الأسـمى يوحـدنا حتى نـرى أقطـارنا قطـرا
أسمى وأحرى الناس من أخذوا بالمبـدأ الأسـمى وبالاحرى
الوحـدة الكبرى لناظـرها عين الهدى لا وحدة أخرى(٥٣)

وهي السيل الذي يجرف الكافرين بالعروبة وأهدافها :

قولوا لمن بالعرب قد كفـروا وتنكروا للوحـدة الكبـرى
وتربصـوا مثل الـذئاب بنا أو كاليهود وأضمروا الشـرّا
سيل العروبة سوف يجرفكـم جرفا ويمحو الأثر والذكرا(٥٤)

وهي العودة الى الماضي المجيد وبناء العز المفقود :

حبّـذا وحـدة تعيـد لنا ما توارى من عزّنا المفقود(٥٥)

وهي حياة العرب ونبض قلوبهم :

وحدة العـرب حيـاة لهـمُ لـو يعقلـون
ليس مـن عـذرٍ لمـن لا يهتـدي إلاّ الجنـون(٥٦)

وهي بعد ذلك كله مطلب الشـاعر الذي لا حياة له إلاّ بها :

وحدة العرب مطلبي في صلاتي ودعـائي في يقظتي ورقـادي
إن للعرب حرمـة في فـؤادي تتجلّى في نزعتي واعتقادي(٥٧)

---

(٥٢) ديوان الرافدين ص٢٠ .
(٥٣) ديوان الرافدين ص٣٢ .
(٥٤) ديوان الرافدين ص٣٤ .
(٥٥) ديوان الرافدين ص٨٠ .
(٥٦) ديوان الرافدين ص١٧١-١٧٢ ، قصيدة « الضالة المنشودة »
(٥٧) ديوان الرافدين ص١٨٠ .

وهي حبيبته أنى سار :

أتكتب للحبيب فقلت كلا ... وقد جاوزت أطوار الغرام
وليس الحب من شأني وهذي ... خواطر شاعر سامي المرام
وقفت على العلى أدبي ونفسي ... ونصرة أمتي في كل سام
ومَنْ مِنْ أمتي أولى بحبي ... ومن أحرى بدمعي وابتسامي[(٥٨)]

وللعرب حبه كله :

للعرب حبي وما ألهمت من أدب ... مجد العروبة مجدي والعلى أربي
لا نجد داري ولا الاسلام معتقدي ... لكنني عربيّ الروح والنسب
إن كنت من مصر أو صنعاء أنت أخي ... أم كنت من تونس الخضراء أم حلب
لبنان مسقط رأسي وهو في نظري ... أحلى بقاع الدنى والعرب منتسبي
وأكرم الناس أحساباً وأجدرهم ... بالفخر من كان من لبنان والعرب[(٥٩)]

وكان كدحه وجهاده من أجل ارضاء الله والعرب :

لئن خدمت بلادي أو نصرت بني ... أمي فذاك لعمري واجب وجبا
حسبي على خطتي المثلى مكافأة ... أُرضي ضميري وأُرضي الله والعربا[(٦٠)]

وحب العروبة واجب:

حب العروبة واجب ... فرض يؤديه المناضل[(٦١)]

ولماذا أحب العرب ؟ ألأنهم قومه فحسب ؟ لا .

إن العروبة في شمائلها ... كل الولاء لكل من بَرّا

---

(٥٨) ديوان الشلال ص٢٢٧ ، قصيدة « بيننا وبينهم » وقد نشرت قبل نكسة حزيران ١٩٦٧ بعامين ، وكان للشاعر وقتئذ معمل صغير للاحذية الخفيفة .
(٥٩) ديوان الشلال ص٢٦٢ ، قصيدة « شهادة الحق » .
(٦٠) ديوان الرافدين ص٧٥ .
(٦١) ديوان الرافدين ص١٠٤ .

إن العروبـة رأفـة ونـدى ومروءة لا تعرف الغـدرا
إن العروبـة أمـة مـلأت عين الخلود وسادت الدهرا[٦٢]

وزهد بكل شيء من أجل العروبة :

لأجلك قد زهدت بكل غـال وأدعـو للجهـاد بكل قـوّة
وعاديت الذين بك استهانـوا فأصبح بيننا مليون هـوّه[٦٣]

وكان حبه مدعاة للعزوف عن الكتابة باللغة البرتغالية ــ لغة البرازيل ــ أو النظم بها . وكانت زوجه تود أن يكون أديبا بلغة البلد الذي يعيش فيه، ولكنه أبى وظل يكتب بالعربية ليخدم أمته ويسعى الى تقدمها ووحدتها . والعربية أم اللغات فكيف يهجرها ؟

فيا أم اللغـات جزيت خـيراً فأنت مـلاذنا من كـل عـاد
ضياء الشمس ينقص كل يـوم ولكنْ نورُ شمسك في ازدياد[٦٤]

وبيانها أصيل جميل :

تشـرت به أم اللغـاتِ بيانهـا فأتى أصيـلا مثلها وجميلا[٦٥]

وهي من أسباب وحدة العرب :

إن فرقتها العوادي سوف تجمعها أواصر اللغة الغراء والنسب[٦٦]

وقد عصمت اللغـة العربية المهاجرين من أن يفقـدوا هويتهم ، فظلوا يتحدثون ويكتبون بها ، وظلت صورة الوطـن النائي قريبة منهم ، فهي في

---

(٦٢) ديوان الرافدين ص٢٣ .
(٦٣) ديوان للرافدين ص٢١٦ .
(٦٤) ديوان الشلال ص٧٥ .
(٦٥) ديوان الرافدين ص١٥ .
(٦٦) ديوان الرافدين ص٦٩ .

قلوبهم عرق ينبض وفي نفوسهم أمل يرف ، وكانت حبيبتهم التي وهبوا لها كل شيء وأودعوها في حدقات العيون •

وتجلت نزعة بربر العربية بجلاء في قصيدته « الوطن الكبير »(٦٧) وهي خلاصة لعقيدته وانتمائه الى الأمة العربية التي كانت قدره وإن لامه اللائمون :

الى موطن في ذمة الغيب أنتمي ... وأصبو كأني ألف صب ّ متيم ِ
بدا نوره يجلو الظلام تألّقاً ... كأنّ الثريا في لواء المنجم
نما أصلُه خلف الحجاز وفرعه ... الى المغرب الأقصى انتهى والمقطم
وطاب به أرض العراق وجلق ... ونمّ به لبنان عند التنسّم
يداعبه موج المحيط مجانةً ... ويلثمه شط الخليج المضرّم ِ
هو الوطن الحر الكبير نريده ... كهيكل حب ٍ بالاخاء متمم ِ

وماذا قال للائمين ؟

فيا لائمي في حبه عن جهالة ... وحجته أني به غير مسلم ِ
تعجب مني إذ رأى من حماستي ... عجيبا ومن بري به وتتيمي
فأي عجيب في هيامي بموطن ... جرى في عروقي واستقر بأعظمي
رضعت هواه مثلما ترضع الندى ... ثغور الأقاحي في الضحى المتبسم
وهدهد أحلامي وأذكى مشاعري ... وكان دليلي في الحياة وملهمي

ولمَ يفتخر بالعرب ؟

إذا كنت لا تدري حقيقة محتدي ... ومن هم أجدادي ومن أي منجم
أنا من صميم العرب فالعرب أمتي ... ومن روحها روحي ومن دمها دمي
ومن ذهنها الوقاد نور بصيرتي ... ومن ضادها الفصحى الفصاحة في فمي

---

(٦٧) ديوان الرافدين ص١٦ •

حبتني كنوزاً من خصائص نفسها كخير تراث لا يتاح لأعجمي
ولاحت على وجهي ملامح روحها لدن طبعت روحي وجسمي بميسم
فيا لاعتزازي في الورى بعروبة تضجّ بأعماقي كجيش عرمرم
أتت من مآتيها بكل عظيمة وعما قريب سوف تأتي بأعظم
نمت في محاريب العلى وترعرعت على العزّ ما بين الحطيم وزمزم
وشبّت على الاخلاق والبأس والهدى وحبّ المعالي والندى والتكرم

لأجل هذا افتخر بأمته التي قوّمت الاخلاق بعد اعوجاجها ، وحكمت بالعدل بين الناس وأعادت الى العالم حقوقهم وأعلت قيمهم :

فوالله لو أصغى لها الدهر ثانيا لأضفت على الدنيا حياة التنعم
وقوّمت الاخلاق بعد اعوجاجها وحكّمت الانصاف في المتحكم
وردّت لها ما ضاع من مُثلاتها ومن قيم تودي بلب المقوّم
ولو أشرقت شمس العروبة في الورى لما ظلّ فوق الارض ظل لمجرم

وها هو فجر العرب يلوح ولا عاصم لها من الاخطار إلاّ الوحدة الكبرى:

فيا أمتي قد لاح فجرك فانهضي ولاحت تباشير المنى فتبسمي
أحاطت بك الاخطار من كل جانب وفي الوحدة الكبرى خلاص فأقدمي

ويمثل النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ صفوة العرب وعزهم ، وقد افتخر به كل عربي مخلص ، وكان توفيق بربر قد أنشد في جامع سان باولو عام ١٩٥٦ قصيدة « بين محمد وناصر »[٦٨] أشاد بنبي العرب وقرآنه المجيد :

خلّفت للعرب يا باني حضارتهم إرثاً كمجدك معصوماً من العطب
قرآنك الحق من آياته انبثقت رسالة الحب والاخلاق والأدب

(٦٨) ديوان الشلال ص١٢٤ .

وحْيٌ من الله ما أحلى تلاوتــه   كأنّ آياته ضَرْبٌ من الضَّرَبِ
وحْيٌ تلقّفــه الآذان صاغيــة   كما تلقى شهيّ الـزاد ذو سغب
لمّا توسمت في الارواح نشــوته   جزمت بالنهي عن شرب ابنة العنب
العرب خير الورى لا بَدع إن ورثوا   عن أشرف الخلق طرا أشرف الكتب

ويبدي اعجابه في قصيدة « القرآن الشريف »[٦٩] بكتاب الله واعتزازه بآياته المنزلات وحياً من عند الله :

طالعت قــرآن النبي فراقنــي   ما فيه من ســور ومن آيــات
وعجبت كيف يجــود قفر بلقع   جــود الربيع بأطيب النفحات
من مهجة الصحراء ذرّ ككوكب   يهدي الورى في أحلك الظلمات
والله أكبــر في الأذان مشــنف   آذان أهل الارض والسـموات
والفتح باسم الله ســيل جارف   ما فوق وجه الارض من آفــات
هذا كتاب الله يأمــر أهــله   بالبر والتقوى وبالصــدقات
ويبث في الاسلام روح حضارة   عربيــة الاخــلاق والنزعات

وكان بربر وشعراء المهجر الجنوبي ينطلقون من هذا المنطلق في حبهم محمداً ــ عليه الصلاة والسلام ــ لانه يمثل العرب وعقيدتهم الخالــدة . ولذلك كانوا يدعون الى وحدة المسلمين والنصارى ليكونوا صفاً واحــداً يقف بوجه الطامعين ، وليبنوا حاضر أمتهم المجيدة على المحبة والســلام . وقد عبّر بربر عن هذه النزعة السامية بقوله :

صهرتنا نار العروبة صهــرا   واتحــدنا قلانســاً وعمــائم
وجنينــا بعض الثمــار وإنّــا   لم نزل بعــد من صغار البراعم
النصارى والمسلمون ســواء   في المبادي فليصمت المتشائم[٧٠]

(٦٩) ديوان الشلال ص٢٧٢ .
(٧٠) ديوان الرافدين ص٦٣ ، قصيدة « ما يقول التاريخ » أنشدها في حفلة تكريم بطريرك السريان مار يعقوب الثالث في تموز ١٩٧٦م .

ويعيد الفكرة نفسها فيقول :

وكلنا أخـوة بالعرب تجمعنـا أقوى الأواصر في أسبابها الكثر
وإن طـه كعيسـى في رسـالته وليس من فارق إلاّ لذي عـور
كلاهمـا دعـوة لله واحـدة فليسمع العرب من بدو ومن حضر[٧١]

ويقول إعتزازاً بالنبي الأعظم :

وذي أمـم الدنيا فقل أي أمـة سواها تحلّت بالنبي المعظم[٧٢]

وهذا يفسر وقوف فرحات والقروي وبربر وصيدح وجورج كعدي مع المسلمين في المهجر ، ومشاطرتهم أعيادهم واحتفالهم بمناسباتهم الدينيـة ، ويوضح ارتباط المسيحيين العرب بالمسلمين في تلك الديار البعيدة • ولعل مساهمتهم في التبرع لانشاء مسجد سان باولو وحضورهم احتفال وضع الحجر الأساس في الثاني من تشرين الاول سنة ١٩٤٩[٧٣] ، يمثل قمة التعاون بين المسيحيين والمسلمين الذين جمعتهم لغة الضـاد وألّفت بين قلوبهـم المشاعر الوطنية والقومية •

ولم يقف بربر عند هذاالحب والاخـلاص للعروبة وانما شـارك في أحداثها ، وكان يتابع الاقطار العربية ويتحدث عن ثوراتها وتحـررها من ربقة الاستعمار • وكانت فلسطين الجرح الناغر في قلب كل عربي أخلص لأمته وآمن برسالتها في الوحدة والحياة الحرة الكريمة • وكان العـرب يجتمعون في المناسـبات القوميـة في جامع سـان باولو ويلقون الخطب

---

(٧١) ديوان الرافدين ص١٥٢ •
(٧٢) ديوان الرافدين ص١٩ •
(٧٣) ينظر كتاب الناطقون بالضاد في امريكا الجنوبية ج١ ص٤٩٣ •

والقصائد ويتحدثون عمّا يجري في الوطن العربي ٠ وفي سنة ١٩٥٦ أقيم احتفال فيه وأنشد بربر قصيدة « فلسطين »[٧٤] وقد بدأها بالفخر :

سليل العلى يبقى على الدهر سيدا　　هو السيف لا يغدو من الثلم مبردا

ثم خاطب فلسطين :

رويداً فلسطين فليلك ينجلي　　وما أقرب اليوم الذي كان أبعدا
ولا تيأسي يا أمّ كل عجيبة　　فخردلة الايمان تختصر المدى
غداً تملأين الجو أنساً وغبطةً　　كما أطلق الفكر الهزار المغردا
ولون غد صافي البياض لمؤمن　　ويبصره من حالف اليأس أسودا
أطلّت على الدنيا طلائع مجدنا　　كشمس الضحى الزاهي سنى وتوقدا

وبرزت منظمة « فتح »[٧٥] بعد نكبة حزيران ١٩٦٧ وأبدت بطولات رائعة هزّت الشاعر فقال :

لله من فتح محققة　　لأباة يعرب فوق ما حلموا
لو كان كل العرب فتحَ لما　　عزّ القطا واستذأب الغنم
فتح منظمة الفداء وما　　أدراك مَنْ في سلكها انتظموا
مُرْدٌ عمالقة إذا صدموا　　عَلَماً تصدّع ذلك العلم
الارض كالزلزال تحتهم　　والجو قوس النصر فوقهم
أسد كموج البحر هائجة　　حتى كأن هياجَها لَمَمْ

وينادي فلسطين ويدعوها الى الصبر :

صبراً فلسطينٌ علينا لم نمت　　ما زال في بعض النفوس حياة
كم بين فتيان العروبة باسل　　يرنو اليك وملؤه الحسرات

---

(٧٤) ديوان الشلال ص١٠٥ .
(٧٥) ديوان الشلال ص٢٧٥ .

والوحدة العربية آتية لا ريب فيها وانها أقرب من حبل الوريد لولا المصالح الذاتية والنوايا الخبيثة :

ما كان أهون أن نذوب بوحدة   عربيـة لو تخلص النيـات[٧٦]

ويظل يذكر فلسطين في شعره ، فها هو ذا في بغداد عام ١٩٨٠ يلقي قصيدة « إيمان »[٧٧] ويعرج على الارض السليبة :

وكيف أنسى فلسـطين التي دمها   يسيل من جرحها كالعارض الهطلِ
أهوى على صدرها الباغي محددة   للفتك أنيابه كالأنصُل العُصُـلِ
أرض البطولة لن تهدأ خواطـرنا   حتى نراك على الهـامات والقـلل
لله درّك كـم أطلعت من قمـر   في الحادثات وكم أنجبت من بطـل
لا الدهر يروي ولا التأريخ عن بلد   كما بليت على مرّ الزمـان بَلي
فاستبشري وارقبي فجراً به فـرج   فبعد ليل الأسى فجر الخلاص يلي

وتظل الاقطار العربيـة كلها أمام ناظـريه ، ويحيّي بغـداد بقصيدته « البغدادية »[٧٨] في آذار عام ١٩٧٩ وبها يتحدث فرحا عن وصولـه الى بغداد وما أثار ذلك من ذكريات عاطرة أعادته الى الماضي السعيد حيث دولة العرب الكبرى وحيث العظمة والعمران :

أذن الله بعد طـول البعـاد   أن أحطّ الرحال في بغداد
فكأني لما هبطت حماهـا   ونسور العلى على ميعـاد
وكأنّ الخيال مدّ جناحاً   لاجتياز الآمـاد والابعـاد
ردّني للوراء بعض قرون   والخيال الانيس سهل القياد

---

(٧٦) ديوان الرافدين ص٤٨–٤٩ .
(٧٧) ديوان الرافدين ص٢٠٧ .
(٧٨) ديوان الرافدين ص١٧٨ .

فتراءت للعين دنيا من السّحْرِ تثير الفضول في الزهاد
هي بغداد وحْيٌ كل لسان فاض سحراً ونَبْضٌ كل فؤاد

ويمضي الشاعر متحدثا عن عظمة هذه المدينة الآمنة وتأريخها المجيد وما قدمت للعالم من حضارة يانعة ، ويتباهى بحاضرها الزاهر بعد أن عادت سدرة المنتهى :

عُدْتِ كالأمس سِدْرَةَ المنتهى اليوم وملقى الوفود في الاعيادِ
أنت طيف القديم في خاطر الدنيا وإرث الجدود للأحفادِ
أنت أسطورة الورى ونشيد الحب والحرب في لها أجدادي
أنت نجوى الخيال في مطلع الشعر وبيت القصيد في إنشادي

وكان قد أنشد في سان باولو في تشرين الثاني ١٩٧٨ قصيدة « مؤتمر بغداد وميثاقه الأخوي »(٧٩) :

بغداد بغداد يا دار السلام ويا غيل الأسود إذا عادٍ عليك عدا
يا قلعة العرب في أرض السواد ويا مَجَرَّةً أطلعت نوراً لنا وهدى
من رافديك يفيض الحب منسرباً في كل قلب فيطفي برده اللددا

ويأتي الى بغداد وينشد قصيدة « عودة الهزار »(٨٠) :

بغداد عاد هزارك الصداح يحدوه نحوك شوقه الملحاح
حملته ماخرة الفضاء كأنها منه جنان خافق وجناح
عاد الهزار الى ربوعك زائراً لا طامحاً ، ما للهزار طماح
هو عائش بالروح في الدنيا ومن خبز القناعة تشبع الأرواح
مثواه في سان بول حيث فراخه وهواه فيك وروحه المسراح

---

(٧٩) ديوان الرافدين ص١٨٦ .
(٨٠) ديوان الرافدين ص١٩٨ .

سلواه في منفـاه بين أعاجـم | نَظْمُ القريض وذكرك الفوّاح
يسعى الى حرم العروبة خاشعا | حيث الحياة عقيـدة وكفـاح

ويلقي قصيدة « يا شباب العراق »[81] في حفلة العشاء الباذخة التي أقيمت للفرقة القومية للفنون الشعبية العراقية في نادي حمص في الخامس عشر من آذار سنة ١٩٨٠م ، ويرحب بشباب العراق :

ألّفـتْ بيننا العـروبة حتى | لو أردنا الشقاق عزَّ الشقاقْ
إن يكن شَقّنا الغريـب لأمر | بعد هذا الشقاق يأتي الوفـاق

ويبدأ العدوان الايراني على العراق في الرابع من أيلول سنة ١٩٨٠م فيهتز العرب الأحرار في كل مكان ويندفعون للذود عن مربض العروبـة باللسـان وباليد ، وينظـم توفيق بربر في تشـرين الاول ١٩٨٠ قصيدة « قادسية صدام »[82] معبرا عن فرحته بانتصار العراق في حربه العادلـة وتصديه للعدوان :

أين الأهـازيج والاوتار والنغـم | لم يبق في العرب إلا الوغد محتشم
هاتوا الجسيع ودقوا واهزجوا طربا | حتى تسيد صروح الارض والقمم
وشاهدوا سعد والقعقاع قد حضرا | مع المثنى ومن قـد بان غيرهـم
جيش العراق على ضرباته انتفضت | قبل القيـامة من صَبّابنا الرمـم
فتـح مبـين لما يتلـوه فاتحـة | قد أخرس الخزي لما جلجل الشمم

ويتحدث عن النصر الذي تحقق على يد أشبال سعد وخالد ، ويصف ما آل اليه الفرس البغاة عند اللقاء :

تصاعـد الفرس من نيرانـنـا لهَبَاً | كما تسـاقط من عقباننا الرخـم

---

(81) ديوان الرافدين ص١٩٢ .
(82) ديوان الرافدين ص٢٤٤ .

ويصور فرحة العرب بهذا النصر المبين ، ويربط بين العروبة والاسلام :

قام الدعيّ بنا يدعو لبدعته — والكل قال له : كلا ، ولا نعم
إن العروبة والاسلام بينهما — أوفى العهود وباقي القوم متّهم
صنوان في حلبة العلياء قد مشيا — جنبا لجنب نعمْا الدين والرحم
قرآن طه مشت أسيافنا معه — حتى رفعناه مشعالا كما علموا
فالفضل قبل لنا والفضل بعد لنا — منّا الرسول ومنّا السيف والقلم

ويصف الأعاجم وكبيرهم الذي علمهم السحر :

إن الأعاجم قوم لا حلوم لهم — فكيف يحلم فيهم جاهل هَرِمُ
أطلّ في هالة اللاهوت منتفخاً — فظن كل غبيّ أنه هَرَمُ
حتى هوى من رياح الحنق منخرقاً — جلبابُ غش به الدجال يعتصم
وأشبه الناس بالحرباء مستقع — كالماء ليناً وفي أحشائه ضرم
كم ألف شاه وشاه خلف جبته — تجيش في صدره الأحقاد والنقم
أزال عن وجهه الفظ القناع فتى — حرّ على وجهه الاخلاص مرتسم

ويخاطب الرئيس صدام :

يا خالد العصر يا صدام أنت لنا — ليث العرين وسيف الأمة الخَذِمُ
جددت خالد في الجلّى مصاولة — لما ضربت بعزم ليس ينثلم
فتحت للعرب بابا موصداً ولجوا — للنصر منه وثغر المجد مبتسم
كم قد صبرنا على الأهوال زاحفة — من كل صوب كموج البحر تلتطم
من ألف عام وغول البغي ينهشنا — نهش الذئاب كأنا عنده غنم
كم فجّر الغاشم الغازي لنا مهجاً — فهذه الارض دمع حشوها ودم

ويبقى قلبه متعلقا بالعراق ، وتظل روحه ترف فوق كل قطر عربي ، فاذا به يغرم بها ويذوب عشقا من أجلها :

قالوا تحب الشام قلت غـرامي   ونجيتي في يقظتي ومنـامي
قالـوا وما يصبيك من آياتهـا   قلت البطولة فهي بنت الشـام
رضعت لبان العز من صدر العلى   ونست بظل العرب والاسـلام
ومشت الى الفتح المبـين مثيرة   حسّى الجهـاد بأبسل الأقوام
ركزت على هام النجوم لواءها   بمكارم الاخلاق والاحلام[٨٣]

وكان جمال عبدالناصر بطلا من أبطال العروبة شخصت اليه الأبصـار وهو يقود معركة السويس ، وقد نظم بربر قصيدة « فلسطين »[٨٤] وأنشدها في جامع البرازيل بسان باولو عام ١٩٥٦ :

فيا ناصر الشرق العظيم وركنه   ومن هزّ أركان المغارب مفردا
بعثت من الأرماس مجد محمـد   فأرضيت في القبر النبيّ محمدا
دخلت الى التأريخ من قلب أمة   فتحت لها بابا على الخلد موعد
فَسِرْ كصلاح الدين للغاية التي   تؤلفنا صفـاً قوياً موحـ

ونظم في العام نفسه قصيدة « بين محمد وناصر »[٨٥] وأنشدها في حفل عيد المولد النبوي الشريف في جامع البرازيل بسان باولو عام ١٩٥٦ ، وقد بدأها بمخاطبة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

قم يا محمد واشهد نهضة العرب   تشهد لناصر بالاقـدام والغلب

وقال ان عبدالناصر « رسول رسول الله » :

يا زاعمـين بان العرب لن يثبوا   الرشد فارقكم يأسـاً فلم يثب
إن الذين استماتوا حول أحمدهم   لا يخذلون جمالا وهو في الطلب

(٨٣) ديوان الشلال ص٢٥٧ ، قصيدة « سورية الجبارة »
(٨٤) ديوان الشلال ص١٠٥ .
(٨٥) ديوان الشلال ص١٢٤ .

ومات عبدالناصر عام ١٩٧٠ فرثاه :

ما كان ناصر واحداً بل أمةً إن الرجال تقاس بالحوباء
جادت به الاقدار جود سحابة جادت على الصحراء بالأنداء[٨٦]

وظل يذكره ، ففي قصيدة « وسام الخيانة لذئب الكنانة »[٨٧] التي نظمها إثر زيارة أنور السادات الخيانية للكيان الصهيوني قال :

إنا على دين العروبة نقتدي بالاسر العملاق وهو رفات
الجاعل الاحرار من عُبّاده والباعث الآمال وهي موات

وافتخر ببطولة الجزائر فتحدث عنها في قصيدة « فيتنام »[٨٨] :

بطولة الجزائر امتدت الى البعيد
لكنها عائدة للعرب من جديد
فبشروا عدونا بالنار والحديد
فعيشه منكد وموته أكيد

وهكذا كانت القضايا العربية في قلبه ، وكان كل جرح يصيب قطرا عربيا يدميه ، ولا يزال في البرازيل يردد أغاني العودة والأمل والنصر العظيم لأمة العرب .

---

(٨٦) ديوان الرافدين ص١٠٧ .
(٨٧) ديوان الرافدين ص١٦٤ .
(٨٨) ديوان الشلال ص٢٢٤ .

٤ ـ الوجدان

خاض توفيق بربر في أغراض شعرية كثيرة وإن كان الطابع الوطني والقومي يبدو في شعره واضحا . ولعل أول ما يتدفق من لهاة الشاعر وقلمه شعر العاطفة والوجدان ، وقد أحب بربر كغيره ولكنه لم يحلق في تصوير عواطفه ومشاعره كل التحليق كشعراء الغزل المعروفين مثل بشارة الخوري وعمر أبي ريشة والياس أبي شبكة ، ولم يقدر على أن يثير في المتلقى ما كان يشعر به ، لأن أداته في هذا الميدان قصّرت ولم تكن كأداته في شعر العروبة والوطن .

لقد خاض الشاعر في بحر الهوى الزاخر وجاء بقصائد لا ترقى الى قصائده الجياد ، وهو كأي شاعر في أول نظمه يجرب الغزل ، ومن أوائل نظمه قصيدة « الهوى العذري »[٨٩] :

أحسّ دبيباً في دمي وجوارحي	كمثل دبيب الخمر في شارب الخمر
وأشعر كالمأخوذ أنّ جداولا	تئن أنين الوجد في مهجتي تجري
وأنّ فَراشَ اللهو حولي محوّم	وورْد الجمال الغض ينضح بالعطر
وأنّ دمي أمواج بحر تلاطمت	تداعبها ريح الصبابة في صدري

قد يكون الشاعر صادقا فيما يحس به ولكنه لم يعبر عنه تعبيرا يهزّ أو يثير ، وانما جاء كلامه كأي كلام آخر يقوله شاعر أو غير شاعر . وقد رحب بربر بالحب الأول :

---

(٨٩) ديوان الشلال ص٢٤ .

يا مرحباً بالحب يغـزو مهجتي   أهلا بطيف الرقة المحمود[٩٠]

ويتحدث في قصيدة « اللوعة الاولى »[٩١] عن حبه الأول وموت حبيبته ، وهو ما تردد في شعر المهجر . وفي ألفاظ هذه القصيدة وأبياتها رقـة ومعان شـعرية مثل قوله :

لم يخلـق الرحمـن قلباً أبيضـاً كالزنبق
مثل الذي بالحب إن يلمـح جميلا يخفق
واذا أحبّ فحبه أصفى من الدمـع النقي
قلبـاً يدل على الكواكب بالبيان المشـرق

وبربر كغيره من شعراء المهجر يتحدث عن الحبيبة التي تركها في لبنان وهي تذري الدمع يوم رحيله الى الديار النائية :

توفيق هيىء للرحيـل فقد دنا يـوم السـفر
فمضيت أسعى للغنى   والحب في قلبي اسـتقر

واستقر في المهجر الجنوبي وجاءه نعي حبيبته :

ماتـت بلى ماتت وأسـرى البرق بالنبأ الفظيـع
ينعى الطهـارة والعفـاف وغادة الحسن البديع

ويودعهـا :

فالى اللقـاء حبيبتي   ونجيتي ، فالى اللقـاء
لولا التعلل باللقـاء   لمتّ من فقـد العزاء

ويكرر المعنى والصورة في قصيدة « قصة حبي »[٩٢] فاذا بحبيبته تمـوت بعد رحيله ، واذا به يبكيها :

---

(٩٠) ديوان الشلال ص٣٨ .
(٩١) ديوان الشلال ص٣٩ .
(٩٢) ديوان الرافدين ص٢١٧ .

جنّ في سن الشباب الباكر بفتاة كملاك طاهر
أشرقت فيه كشمس واختفت فجأة عنه كظل عابر
حصر الموت صباها تاركاً لوعة في مهجتي ليست تزول
شمسها غابت ولكن لم يزل من سناها في دجى نفسي ذيول
تلك مأساة جرت في صبوتي وفؤادي في النوى مسرحها
تركت آثارها في مهجتي وصدى تذكارها يجرحها

وغاص القلب في بحر الهوى من جديد، وأحب ثالثة فرابعة وفيها يقول :

ليلة فيها التقينا فالتقت كحبال السحر منا النظرات
فاذا القلبان قلب واحد ولسان الحال خذ مني وهات
نزل الحب علينا كالقضا حيث لم نَدْرِ أحبٌ أم جنون
ربط القلبين حب لو سعى بيننا الدهر لأعيا والمنون
أصبحت سلمى غرامي فهي في يقظتي نار بأحشائي ونور
وبأحلامي خيال زائر أترى الارواح في النوم تزور

ومضى كل الى غايته وتزوج وصارت سلمى لغيره ، ولكن حبها ظل ينغر في قلبه كالجرح الدامي :

انما حبي لسلمى لم يزل مثلما قد كان في عهد الشباب
فهو حب كائن منذ الأزل وسواه لم يكن إلاّ سراب

وبربر عفّ في حبه وغزله ، وهو لا يجد اللذة إلاّ في الخيال :

تمر بي الحسناء وهي حبيبة فاغرز عيني في صميم جمالها
وأتبعها بالفكر ولهان ناشبا خيالي بها مستمتعا بوصالها
ولا أنثني حتى من الوصل يرتوي خيالي ونفسي ترعوي عن ضلالها
وما تجتنى اللذات إلاّ حقيقة ولذة نفسي من خلال خيالها(٩٣)

---

(٩٣) ديوان الشلال ص٢٩ .

ويتمثل حبه في حبه لوالديه وزوجه وبنتيه ، وهو حب العاطفة المستقرة ، وكان قد ترك والديه في لبنان وما ان وصل الى المهجر حتى بدأ يحنَّ اليهما حنين الطفل الى أبويه :

أعدني الى أحضان أمي ووالدي وجيرة اخوان أشدّ بهم أزْري
أعدني الى دار الطفولة والصبا هنالك في لبنان معجزة الدهر
فان حمى الانسان خير من السما وإن هوى الأوطان مجلبة الفخر(٩٤)

لقد مزج بين حبه لوالديه وحبه للوطن ، وحينما يحمل الحب هذه المشاعر الكريمة يكون أسمى ما يسعى اليه الانسان . وكم كانت فرحة بربر عظيمة حينما التقى والديه ، وقد صور ذلك في قصيدته « لقاء الأهل »(٩٥) أجمل تصوير :

لما أصاب النسر مجثمه من بعد طول الحوم في الجلد
وأطلّ وجه الأم تغمرني أنواره بالحب والرغد
وأبي الحبيب بنور طلعته ينسي الغريب مرارة البعد
فتلاقت الأحباب بعد نوى كالنائبات طويلة الأمد
وأرق ما أشجاك منظره أم" هفت شوقاً الى ولد

لقد التأم الشمل وزالت الوحشة عن الشاعر فلا غربة ولا اغتراب :

أنا لم أعد بالأهل مغتربا إذ حيث كنا كنت في بلدي

وكان تعلقه بأمه عظيما ، وها هو يحسد وليداً تضمه أمه :

من بعد أن فارقت والدتي وفراقها يعني أسى فَرَدَى

---

(٩٤) ديوان الشلال ص١٢١ .
(٩٥) ديوان الشلال ص١٨٧ .

ورأيت عن شـوق وليد نوى　　أمّاً تضمّ لصدرها ولـدا
أصبحت أشعر أن في كبـدي　　ذاك الذي يدعونه حسـدا[٩٦]

ويودع صديقا عائدا الى الوطن فيغبطه لانه سيلقى الأهل والاصحـاب ، ويتصور أمه تسأل صديقه عنه فيصور ذلك في قصيدة «وداع صديق»[٩٧]:

غـداً تلقى الأحبـة والمغـاني　　وتروي القلب من قاصٍ ودانٍ
وتأتيك الوفـود على جواهـا　　مسـلّمة تصوغ لك التهـاني
وتسمع من خلال الدمع صوتاً　　يرق له الجمـاد من الحنـانِ
فلا تجزع فذلك صـوت أمّ　　تحاول من خلالك أن تـراني
تسـائل أين توفيـق حبيبـي　　لماذا لم يجيء ؟ أترى سلاني ؟
نأى عـن مقلتي من ربع قـرن　　فبت لعـوده أحصي الثـواني
ألستَ رفيقـه الحـاني عليه　　فكيف تركته من غير حانٍ ؟
وكيف بدونه تلقى المغـاني　　أليس له حنينـك للمغـاني ؟
وكم لي من سـؤال مثل هذا　　ولكـن لا يطاوعني لسـاني
ربك للتي شـقيت لأجلي　　حملت عواطفي فاحمل بياني
وكن عند الجواب بها رفيقـاً　　كما لـو كنت من ألـم مكاني
وهدّىء روعها واعطف عليها　　وألهـم قلبها بعض الأمـانِ
وقل إن الغريب يذوب شـوقاً　　ويـوم رجوعه أقصى الأمـاني

وماتت أمه فرثاها بقصيدة[٩٨] تقطر لوعة وأسى :

عليك حشاشـتي جمر يسـيل　　ودوني في الأسـى أم ثكـول
فلا عَيني تجفّ بها سـيول　　ولا قلبي تبـرده سـيولُ

---

(٩٦) ديوان الشلال ص٣٦ .
(٩٧) ديوان الشلال ص٨٩ .
(٩٨) ديوان الشلال ص٣٢٥ وهي قصيدة « رثاء امي » .

فما بعد الأمومة من دليل ... به يسترشد العقل الضليل
ولا آسٍ على الأبناء يحنو ... فتشفى النفس والقلب العليل
وكل مودّة لم تأت منها ... سراب لا يبل به غليل
وقد يجد المحبّ له مثيلا ... وقلب الأم ليس له مثيل
وما يغني الاخ المعوان عنها ... ولا الإلْفُ الوفي ولا الخليل

وهذا ما يشعر به كل من فقد أمه وما يقوله حينما يُرزأ بها ، فهي زنبقة الصباح ندى وطهرا ، وهي الثريا التي تنير البيت ، وهي الملاذ الذي يلجأ اليه البنون حينما يحيط بهم كرب أو ينتابهم نصب . واذا كان اللقاء بها بعد الرحيل مستحيلا فلا عليهم أن يذكروها وأن تظل شاخصة أمام أبصارهم :

لئن أضحى لقاؤك مستحيلا ... وما يُرجى لقاء مستحيل
فشخصك ماثل في كل عين ... وذكرك في الخواطر لا يزول

وكانت للأمومة منزلة في قلب بربر كما كانت في قلب القروي وغيره من الشعراء الذين أحسوا بالغربة القاسية ، وتلفتوا فلم يجدوا حولهم إلاّ أعاجم يرطنون ، وإلاّ قلوبا قاسية لا تلين . وفي قصيدة « الشلال »(٩٩) حديث عن الأمومة ، وقد قارن بربر بين الشلال والام فكانت الامومة أكثر تدفقا وحنانا :

الا أيها الشلال ينصب من علٍ ... فينساب في عزم الشباب تمهلِ
فلست على هذي الغزارة كلها ... وأنت الذي يزجي الجزيل بأجزل
كأم إذا انكبت على نحر طفلها ... ترويه من ثغر الحنان بسلسل
هنالك شلال من الحب دافق ... بأعذب ما توحي الحياة وأجملِ
هنالك شلال من الحب ناطق ... بأروع آيات الوجود وأكمل

(٩٩) ديوان الشلال ص٨١ .

ويمضي الشاعر في الحديث عن الأمومة، ويصور نظراتها لوليدها :

وكم نظرة للأم في وجـه طفلها لها رقصة الأطياف في ماء جدول

ويصف قلـب الأم وصفا بديعا فهو « ينبوع رحمـة » ، وينهي قصيدته بتكريمها ، وهو تكريم لن يقدر عليه أحد مهما فعل ، لان قلب الأم أكبر ، وصفاتها أعظـم :

ألا إن قلب الأم ينبوع رحمـة يلين له الجلمـود والليل ينجلي
وهل غير قلب الأم يعطيك شاكرا ويزجي عطاياه بروح التوسـل
فلو زينوا الجدران طراً برسمها وأحيوا لها الأعياد في كل محفل
وشادوا لها الانصاب في كل ساحة وصلوا لها في كل بيت وهيكل
يمينا لما وفّى الأمومـة حقهـا عليهم ومن يبذل لها النفس يبخل

وأغراه الشـاعر القروي سنة ١٩٤٩م بالزواج من عربية لبنانية مولودة في سان باولو وهي جيزالا أسيس ، ونظم فيها قصيدة « الروضة الغناء »(١٠٠) فقال :

لي روضة غنـاء أرتع في نعيـم جمالها
يتدفق السحر الحلال عليَّ من سلسالها
تضفي على قلبي الهنـاء هنيهة بظلالها
نفسي لها ولهـانة منهومـة بوصالهـا
ظمأى لرشف زلالها غرثى لقطف حلالها

وشكر الباري على هذه الهبة العظيمة ، وكأنه ــ سبحانه وتعالى ــ رثى لحظّه العاثر فوهبه جيزالا ليجـزيه جزاء الصـابرين ولتصبح واحـة في صحراء عمره الجـديب :

---

(١٠٠) ديوان الشلال ص٢٥٢ .

هي واحتي الخضراء في صحـراء عيشي القاحـل
تجـري بها الآمـال بين جـداول وخمـائل
في ظلها تسـري النضـارة في إهـابي الـذابل
ويعـود اكسـير الحيـاة الى شـبابي الآفـل
بجمالهـا المتكامل وحنانها المتواصـل

وكانت ملهمته :

يا روضتي الغنـاء يا حـلم الربيـع الهـاجع
يا يقظـة الأحـلام في قلب الفتـاة اليافـع
ألهمتني سـحر البيـان وكل معنى رائع
حتى اندفعت الى الخلود وكان حبك دافعـي
لا فطنتي ومنازعـي وروائعـي وبدائعـي

ورزقه الله منها بنتين كانتا قرة عينه ، وفي قصيدة «الحبيبات الثلاث»(١٠١) يتحدث عنهما وعن أمهما ملغـزاً في أولها ، ثم يحل اللغز فاذا بالحبيبـات الثلاث زوجه وبنتاه :

فأولى حبيباتي السـويات غادة يفوق الدراري قدرها واللآليا
كأني بها بستان حسـن وفتنة منيع يرد الطـير إن جاء جانيـا
فما كان أغناني عن البدر بالتي إذا طلعت في الليل تجلو الدياجيا
وما كنت من يرضى بشيء وحبها يبشـر أني أنزل القبر راضيـا
وما هي إلاّ ربة البيـت غـادة أنارت كأيامي الحسان اللياليـا
وأصبحت منها آمن النفس في حمى يقيني الدواهي ظله والعـواديا

وأما بنتاه فهما :

وبنتان بل زغلولتـان بمنزلي هديلهما يحيي النفوس البواليا

---

(١٠١) ديوان الشلال ص١٥٥

فليلى وزيزا لا عدمت هواهما ... وأمهما أفْعَمْنَ صدري أمانيا
وأسعدن أيامي وأبعدن همتي ... وأنعشن آمالي وانعمن باليا
وارهفن احساسي وهَذّبن فطرتي ... وذَهّبْنَ آفاقي ورُضن خياليا
فيا رب صُنْ ثالوث بيتي من الأذى ... وما كنتَ إلاّ مستجيبا دعائيا

وبنتاه هما « الوردتان »(١٠٢) :

لي وردتان سناهما ... سحر يفيض على الوجود
وشذاهما يغني الورى ... عن طيب جنات الخلود
أرأيت أجمل منهما ... في كل أنواع الورود ؟

ولا ينسى أن يذكر في هذه القصيدة بغداد وعهد الرشيد :

فوحا على بغداد عيشا وابعثا عهد الرشيد
لولاكما انطفأ الضياء بناظريّ وجفّ عودي
غرستكما كف الحياة بمهجتي فزها وجودي
ونموتما أرعاكما بالعطف والحب الأكيد
هذا الحنين اليكما ... لا يرتوي رغم الورود
العين ترتع فيكما ... والنفس تطمع بالمزيد
واذا سرت رياكما ... في القلب أولد من جديد

وخصَ كل واحدة منهما بقصائد ، فقال عن ابنته البكر ليلى بعد أن تحدث عنها :

تلك ليلاي ودنياي التي ... جمعت كل المنى والأرب
إنها التعبير عن أمنيتي ... وبها تحقيق حلمي الذهبي(١٠٣)

---

(١٠٢) ديوان الشلال ص٢٤٦ .
(١٠٣) ديوان الشلال ص٩٦ .

ولا ينسى ليلاه في قصيدة « سمية »[١٠٤] التي نظمها في كريمة صديقه أنيس فرح في إبان صباها :

يا فلذة الخل الأنيس ويا أعفّ الآنسات
أرنو اليك فانتشي بأريج أزكى العاطفات
ويفيض قلبي بالحنان وبالأماني الغاليات
مُتخيلاً ليلاي في برديك قد صارت فتاة
أجلو بوجهك وجهها فأهيم في مرآة آت
زغلولة من أجلها صارت أناشيدي صلاة
شفافة كالروح أحلى من رفيف الذكريات
سمراء في عمر الصباح تضوع كالمسك الفتات

ويناغي ابنته الصغيرة جيزالا وينظم قصيدة « زيزا »[١٠٥] وهو اسم التحبب فيقول :

صغيرةُ بيتي وحبةُ قلبي وزهرةُ عيشي وثَمْرَةُ حبي
وغُرّةُ وجهي وقرّةُ عيني وخمرةُ روحي وسكرةُ لبي

ويمزج حبها بحب وطنه وأهله :

تزقزق حولي فتشرق شمسي ويزهو قصري وتورق دربي
أشدّ عليها لصدري كأني أعانق فيها بلادي وشعبي
وضمُ البنين يزيد الحنين وحبّ البنين على الحب يربي
تنام بحضني فأحلم أني نشرت لوائي بشرق وغرب
واني أمير وتحتي سرير وحولي إماء تنفذ رغبي

(١٠٤) ديوان الرافدين ص١٢٢ .
(١٠٥) ديوان الشلال ص١١٢ .

وان الكـواكب تنثر حولي وان البراعم تنشـر جنبي
واني استعدت شبابي واني اجتمعت بشملي وأهلي وصحبي

وترزق جيزالا عام ١٩٧٦ بطفلة سمتها فابيانا ، ويسر الشاعر فينظم قصيدة « الولادة الثالثة »(١٠٦) ويتحدث عن صبا ابنته وزواجها الميمون :

شـبّت عن الطـوق التي أنشـدتها عهد الطفوله
شـعراً أرق من النسـيم مداعبـاً زهـر الخميله
روض من الشـعر النضـير يمور بالصور الجميله
أودعته سـرّ الخلـود فلـن ترى عـين ذبولـه
مسّ الصـبا زيزا الصغـيرة فاغتدت خـودا كعـابا
تكسى النضـارة كالربيـع فتكتسي الدنيـا مـلابا
لما اصطفت إلفـاً لهـا يرضي سـجاياها العذابا
بعـدت ولكـن لم تـزد عن مهجتي إلا اقترابـا
تلـك البنيـة أصبحت تختال في بـرد الأمومة
إن الأمومـة نعمـة من أنعم الله العميمه
بل نفحـة منه على وجه الثرى ويد كريمه
تلقـى أفانـين العـذاب كأنها تلقـى غنيمـه

ويخاطبها مسروراً لأنها أتحفته بحفيدة :

أتحفتنـي بحفيـدة سـلمت يمينـك يا ابنتي
ردّت ألـيّ طفـولتي في الاكتهـال وبهجتـي
هي فلـذة من فلذتي هي مهجة من مهجتي
هي قطعـة من قلـب قلبـي يا لها مـن فتنـةِ

(١٠٦) ديوان الرافدين ص٤٦ .

زيـزا ولـدتك مـرة   فجـزيتـني بولادتـين
لـما ولـدتِ ولـدتُ مَعْك فهلّ نجسي مـرتين
وولَدْتُ يـوم ولـدتِ بنتك فازدهيت بـولـدين
وفَّيْتِ دَيْنك يا ابنتي   والحـر لا يرضى بـدين

ويتجلى شعر بربر الوجداني أيضا في الرثاء ، وهو لون من العاطفة يتدفق حينما يفجع الانسان بعزيز ، وكانت أشد قصائد هذا الشاعر لوعة وأسى مرثاته لأمه(١٠٧) ، فقد سكب فيها روحـه الحزينة المتألمة وصوَّر حـزنه العميق • وفي ديوانيه بعض المراثي التي لا ترقى الى مرثية أمه ، ولا يعني ذلك انه لم يكن صادقا في رثاء الآخرين وانما هنالك فرق بين من يبكي أمه ومن يندب صديقا أو يرثي عظيما •

ورثاؤه في عدة مناحٍ ، بعضه كان في السياسيين ومنهم جمال عبدالناصر الذي سماه « الاسمر العملاق »(١٠٨) :

نفذ القضاء بأنفـذ الزعمـاء   ومشى النعـاة بأشـأم الأنباء
وبدا الوجوم على الوجوه مذكراً   صمت القبور ووحشة الصحراء
وتهيّب الشـعراء عند رثائـه   فالخطب فوق تصور الشـعراء
ماذا أقول بفقـد أول رائـد   في العرب للقوميـة العـرباء

وتهيج في قلبه ذكرى الزعماء الخالـدين فينظم سنة ١٩٤٠ أربعـة أبيـات في الشهيد يوسف العظمة ويخاطبه :

يا شـهيداً مـات عن أمتـه   فوفاها حقهـا بين الأمـم
لم يمـت إلاّ ليحييهـا وقد   خضّب استقلالها الغالي بدم

---

(١٠٧) ديوان الشلال ص٣٣٥ ، وقد تقدم بعضها .
(١٠٨) ديوان الرافدين ص١٠٧ .

أنت رسم المجد في رايتها أنت في تأريخها رمز الألم
أنت رغم القبر حيّ خالد في قلوب ورثت عنك الشمم[١٠٩]

ورثى « فارس العرب »[١١٠] الخوري ، وكان خضما من الاخلاق والعلم والكرم ، وطوداً شامخا أبيا :

رعى الله لبنان المكارم والعلى فيا طالما أهدى قلوباً وأكبدا
وهل غير لبنان حبا العرب فارسا عرفناه في كل المواقف سيدا
هدية غسان لعدنان حقرت هدايا ملوك الارض دُرّاً وعسجدا

ورثى كمال جنبلاط الذي روّى بدمه الارض :

يا ساقيا غرس العلى بدمائه إن مت ظمآنا فغرسك نام
إن الذي أرداك أردى نفسه وأتى بما تهوى فنم بسلام[١١١]

وكان بعض رثائه في الشعراء الذين غردوا على فنن الشعر وكانوا غناء أمتهم ووطنهم الشجي ، وكان ايليا أبو ماضي أروع قصيدة في المهجر الشمالي ، وحينما مات سقطت آخر كلمة عذبة حرة في تلك البلاد . وقصيدة « مصرع الشاعر »[١١٢] لبربر من أصدق ما قيل فيه :

يا شاعر الفصحى المزوّد بالروائع والغرر
يا خمرة الوحي التي كل النفوس بها تُسَرّ
يا مغزل الفكر الأدق ويا أحنّ من الوتر
يا عندليباً في الرياض ويا نسيماً في السحر

---

(١٠٩) ديوان الشلال ص٤٧ .
(١١٠) ديوان الشلال ص٢٤٥ .
(١١١) ديوان الرافدين ص١٠٠ ، قصيدة « الشهيد كمال جنبلاط » .
(١١٢) ديوان الشلال ص١٠٩ .

وبكى صديقه الحميم الشاعر يوسف الفاخوري فقال في قصيدة « عزاء الأديب »[١١٣] :

فيا هزاراً حنوناً كان يؤنسني   إذا فزعت اليه ساعة السأم
وكان ينشدني حينا وأنشده   ونحن في رقة الأنفاس كالنسم
أضناك سهدك في دنيا أسى وضنى   فعانق الخلد في دنيا الكرى ونم
يظل لاسمك كالصهباء نشوته   ما دام في الارض من يصغي الى نغم

ورثى شاعر القومية العربية في البرازيل الياس فرحات الذي غنّى للعروبة وعمل من أجل أمته وهو في مهجره يكدّ ويكدح للحصول على لقمة تسد رمقه وتسكت جوع أبنائه :

في شعرك الحر أنفاس مسعّرة   كالكهرباء سرت في خاطر الحقب
بعثت للعرب كي تذكي حماستهم   فعشت تضرم نار العزّ في العرب
كم صيحة جلجلت في غاب فكرتنا   من أصغريك فدبّ الروح في الحطب
أهبت بالعرب فاشتدت عزائمهم   وحقق الشعر ما يدعو الى العجب
هذي قصائدك الشماء حافلة   بالمجد زاهدة بالجاه والنسب
قصائد كرجوم الجوّ هاوية   على معاقل أهل الغدر والكذب[١١٤]

ورثى بشارة الخوري ـ الأخطل الصغير ـ بقصيدة «الأخطلية»[١١٥] :

كفكفوا الدمع فالاخيطل نائم   ملء عينيه في ظلال العظائم
واهرقوا مهجة القريض عليه   فهي أحنى من الدموع السواجم
شاعر رقّ كالدموع وذابت   في معانيه هينمات النسائم
فجّرته أطواد لبنان شلال بيان يسقي القرى والعواصم

---

(١١٣) ديوان الشلال ص٢٤٠ .
(١١٤) ديوان الرافدين ص٦٧ .
(١١٥) ديوان الشلال ص٢٥٦ .

وبكى الشاعر شفيق معلوف وأشار الى « عبقر »[116] :

يا شاعر الانس والجن الذي انتشرت آيات عبقره في العرب والعجم
يا شاعر الترف الباكي ودمعته ذوب الحنان على المغبون في القسم
يا صائغا غررا من دره اتسقت حسنا كعقد من الالماس منتظم
عرائس الشعر قد نضرتهن فلا في الروح وهن ولا وخط على اللمم

وكان بربر قد بكى روز حرم الشاعر شفيق وقال فيها :

التي مست النجوم يداها فاستحالت بعبقر أشعارا
والتي دارها كسوق عكاظ حيث كنا ولم نزل نتبارى
والتي أحرزت ثناء وصيتاً حيثما سارت الغزالة سارا
قد توارت في هوة اللحد عنا وعليها الظلام ألقى ستارا

ويسألها كيف هجرت أليفها وتركته وحيداً :

كيف يا روز تهجرين أليفا هو في اللطف فارس لا يجارى
كيف يا روز تبرحين نعيما كنتما فيه أيكة وهزارا
كيف يا روز تجرحين قلوبا قد أحبتك والمحب يدارى
كلنا في المصاب قلب شفيق كيزوف غداة يقذف نارا[117]

ورثى شاعراً لم يذكر اسمه وانما سماه كبيراً وكان «كوكب الشعر»[118] :

قد طوى الموت شاعراً عربيا من فحول القريض من أمرائه
كم تغنى كالطير بالوطن الأم وناجى الجمال في أرجائه
ولكم حام بالخيال عليه هائماً بين أرضه وسمائه
مالنا ناظريه سحرا حلالا من تلاوين صبحه ومسائه

---

(116) ديوان الرافدين ص82 ، قصيدة « رثاء الشاعر شفيق معلوف » .
(117) ديوان الشلال ص291 . قصيدة « روز معلوف » .
(118) ديوان الرافدين ص115 .

لاثما قدس تربه بخشـوع مسـتحما بعطره وسـنائه
شـافيا غلّة الحنـين اليه بندى زهـره وطيب هـوائه
يسـتقي الوحـي من خـرير سواقيه ومن زهو طيره وغنـائه

وبكى ميشـال مغربي الذي شـيع بالاكباد :

أيها الراحـل المشـيع بالاكبـاد من آلــه ومـن إخـوانه
أدب المهجر الذت كنت طـيرا ساجعا سارحا برحب جنـانه
والذي كنت دَفْقَةً من قوافيه اليتامى وخَفْقَةً من جَنانه
جاء يرثيك صـادقا بلسـان لا يُداجي والدمع في أجفانه
جاء يرثيك صادقا وهو يرثي نفسه فيك قانطا من زمانه(١١٩)

وتهاوى أصدقاؤه وهو في المهجـر ، وما أشـد الفجيعة بصديق في ديـار الغربة ، وكان بربر قد بكاهم ومنهم عبدو شـاهين الذي كان في طليعـة أصدقائه ، وهو الذي قام بطبع ديوانه « الشلال » في سان باولو سـنة ١٩٧٤ ، وقد مات قبل صدوره بأسبوع فبكاه بربر بقصيدة « رثاء عبـدو شـاهين »(١٢٠) وأشار الى الديوان . ورثى صديقه الصحافي موسى كريم صاحب مجـلة الشرق(١٢١) ، وألقى قصيـدة « رثاء الفضل والاخـلاق والوطنية »(١٢٢) في جامع سـان باولو في ذكرى الاربعـين لوفاة صـديقه محيي الدين هواش الذي قضى نحبه بفاجعة سيارة في آذار عام ١٩٧٧م . ورثى صديقه نجيب حنكش بقصيدة « موطن الارز »(١٢٣) . وبكى الطبيب الانساني شكري زيدان(١٢٤) الذي كان يحنو على المرضى ويأسو العليـل

(١١٩) ديوان الرافدين ص١٣٢ ، قصيدة « الشاعر ميشال مغربي » .
(١٢٠) ديوان الرافدين ص٢٧ . وقد تقدم بعض ابياتها .
(١٢١) ديوان الرافدين ص٩١ . قصيدة « يا منشىء الشرق » .
(١٢٢) ديوان الرافدين ص١٠٤ .
(١٢٣) ديوان الرافدين ص١٢٥ .
(١٢٤) ديوان الرافدين ص٢٠٤ ، وتنظر قصيدة « شكري زيدان » في ديوان الشلال ص٣٢٩ .

ويخفف عن قاصديه آلامهم • ورثى صديقه توفيق قربان[١٢٥] الذي خدم العلم واللغة العربية في المهجر •

وبكي الشاعر شبابه وأيامه وأسف على عهده ، وقدّم في قصيدة « رثاء الشباب »[١٢٦] لوحتين :

الاولى : وصف لكهولته التي تَدْرُج فيها السنون •
الثانية : استرجاع لشبابه الذي كان غضا •

والشاعر في الصورتين يصدر عن عاطفة مشبوبة ويعبر عن ألم يشعر به كل انسان تأتي عليه الأعوام ، ولكنه يظل مشدودا الى الشباب :

سقى الله الشباب فكم سقاني ... كؤوس الصفو كالشّهْدِ المذاب
أحوم على رياض الحسن أجني ... رحيق الحب من زهر التصابي

ولكن هيهات هيهات :

غداً تطوي يد الأيام عمري ... وتمحوني كسطر في كتاب

ولتوفيق بربر شعر وجداني آخر ينبع من نفس عزيزة لا ترضى بالهوان وتحمل في حناياها الحب والعفو والاخاء • وفي قصيدة « نفسية الشاعر »[١٢٧] شيء من ذلك :

خلقت لأعطي فلا أطلبُ ... قضاء من الله لا يُغْلَبُ
ونزهت نفسي وصنت لساني ... فلست أداجي ولا أكذب
وأغمر بالحب من يعتدي ... وأشمل بالعفو من يذنب
وأجزى على الود من صاحبي ... جزاء عدو فلا أغضب

---

(١٢٥) ديوان الرافدين ص٢٢١ . قصيدة « شاعر يرثي علامة » .
(١٢٦) ديوان الرافدين ص٤١ .
(١٢٧) ديوان الشلال ص٧٣ .

وألقى الحسود بزفرة يأس   فأوحي اليه بما يطرب
وأرثي لشاك وأبكي لباكٍ   كأني لكل شقيّ أبُ

وفي « سنديانة » و « ألم وشمم » و « أنف وكلف »[128] كثير من معاني العزة والاباء والمروءة . وفي « البؤساء »[129] تتضح نزعته الانسانية :

يفطّر قلبي أنين النسيم   ويجرح عيني شحوب القمر
فكيف احتمالي عويل جياع   عراة حفاة بلا مستقر

وفي « شحاذ »[130] لون من هذه الانسانية :

أنت يا شحاذ تبقى   صورة للمجتمع
لم تكن لولا انغماس   النفس في بحر الجشع
أيها الحامل نفساً   حُرّةً أنت البطل
فاذا غيرك سموا   بطلا عين الخطل
أنت يا أسْعَدُ نفساً   من ملايين البشر
علّم الناس التأسي   في تصاريف القدر

وفي هذه القصيدة ثورة على الظلم الذي يجعل الناس فقراء ويرفع بعضهم درجات ، ونفثة حارة يطلقها الشاعر بوجه البشر الذين لم يرحم بعضهم بعضا . وفي ذلك نظرة انسانية سامية وقفت الى جانب نزعة بربر القومية وحبه لقومه ووطنه وقد تجلت هذه النزعة القومية والنظرة الانسانية في شعر المهجر الجنوبي فكان القروي والياس فرحات وتوفيق بربر وجورج صيدح وجورج كعدي شعراء القومية والانسانية حقا .

---

(١٢٨) ديوان الشلال ص٧٨ ، ١٦٦ ، ٣٢٤ .
(١٢٩) ديوان الشلال ص١٩٤ .
(١٣٠) ديوان الرافدين ص١٩٥ .

٥ ـ الاضاءة

عُرف توفيق بربر شاعرا بديوانيه ، وقد ذكر القروي انه « نبغ في سن الاربعين »[١٣١] وقال : « هناك شاعر نبغ في الكهولة اسمه توفيق بربر »[١٣٢] . ولعله يريد أنه أجاد الشعر في هذه السن لانه نظم الشعر مبكراً . وفي « ديوان الشلال » قصائد من أوائل نظمه مثل « الهوى العذري » و « الحب الاول » و « اللوعة الاولى » و « فراشة حقل » و « البلبل » وهي قصائد تدل على شاعرية[١٣٣] . وهناك قصائد نظمت عام ١٩٤٠م مثل أبيات « يوسف العظمة »[١٣٤] وعام ١٩٤٥ مثل قصيدة « اسطورة لبنان »[١٣٥] وقصيدة « أبالس في نعيم » ، وعام ١٩٤٦ مثل قصيدة « المير »[١٣٦] ، وعام ١٩٥١ مثل قصيدة « ليلى »[١٣٧] وعام ١٩٥٦ مثل قصيدة « فلسطين » وقصيدة « بين محمد وناصر »[١٣٨] . وهي قصائد جياد تدل على نضج وشاعرية متفتحة . فالشاعر بربر عالج الشعر مبكراً وقد يكون قبل العشرين ، ولكن القروي صديقه اعترف له بالنبوغ في سن الاربعين كما نبغ الشعراء في القديم بعد سن النضج والادراك .

---

(١٣١) ديوان القروي ج١ ص٧٥ .
(١٣٢) اعمال القروي النثرية ص٤٠٢ .
(١٣٣) ديوان الشلال ص٢٤ ، ٢٧ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٥ .
(١٣٤) ديوان الشلال ص٤٧ .
(١٣٥) ديوان الشلال ص٥٦ ، ٦١ .
(١٣٦) ديوان الشلال ص٨٥ .
(١٣٧) ديوان الشلال ص٩٢ .
(١٣٨) ديوان الشلال ص١٠٥ ، ١٢٤ .

استقى الشاعر ثقافته من الكتاب لا المدرسة ، وقد تحدث في مقدمة « ديوان الشلال » عن الكتاب وأثره :

أعز مكان في الدنى سَرْجُ سابح   وخير جليس في الزمان كتاب

وكان الكتاب خير جليس لبربر الذي ترك المدرسة في سن مبكرة قبل أن يكمل تعليمه . والشعر عنده « ابن المعرفة الروحي وجوهرة الحياة النفسية ولؤلؤتها النادرة الفريدة . ولو كانت الحياة زهرة فواحة لكان الشعر أريجها أو بنفسجة لكان روحها »[١٣٩] .

وللشعر أوصاف ، ولكنها لا تحيط به لانه أوسع من ذلك وأبعد مدى ، فهو كالغناء لا يحد ، وكالزمان لا يقف على شاطىء القوافي ولا يتقيد بتخوم الاوزان . هو حفيف أجنحة الخيال ، وهو تموجاتِ عبير أنفاس العاطفة ، وهو هينمة أرواح وهمس قلوب ، وهو نشوة الخمر المعتقة ، وهو ابتسامة الامل . ورب بيت من الشعر كعود ثقاب أشعل في غاب أو كقطرة من الندى على أجفان وردة ذابلة ، والكون العظيم هو قيثارة الوجود الأزلي والقلب البشري الوتر ، والشاعر الحقيقي هو الضارب الماهر ، وهو بعد هذا كله لغة الحب والبوح والمناجاة . هذا هو الشعر عند بربر وأكثر ، وأنى له أن يحد وأن يحاط بأوصافه . والشعر قدر الانسان لا يستغنى عنه لان الناس « في كل زمان ومكان يتأثرون بالكلمة المجنحة ، ويؤخذون بالبيان الساحر ، وينفعلون بالشعر الجميل ما دام لهم قلوب حسّاسة ونفوس شفّافة ، وما دامت لهم نظرة الى الحياة والفن والجمال لا تصدر إلاّ عن ذوي الارواح الصحيحة والعقول النيرة والافكار الحرة »[١٤٠] .

---

(١٣٩) ديوان الشلال ص١٢ .
(١٤٠) ديوان الشلال ص٢٤ .

وعبر عن الشعر بقصيدتيه « مقدمة » و « رجاء »(١٤١) اللتين افتتح بهما « ديوان الشلال » ، وقد قال انه أودع مجموعته سحر اللفظ والمعنى:

أودعتها النفس سحر اللفظ والمعنى الجميل

وقال : إن الشعر جرح يسيل دما من قلب صاحبه :

فالشعر يا صاحبي من قلبِ ناظمه   جرح يسيل دماً كالمدمع الجاري

والشعر الصادق ما كان بليغا له جذور في بيان الفحول وأصول الشعر الرفيع :

خذه قريضا من قريحة شاعر   حاكى الفحول بلاغة وأصولا
نثرت به أم اللغات بيانها   فأتى أصيلا مثلها وجميلا
ما عاث في الشعر الاصيل وعافه   إلاّ الذي في العرب كان دخيلا(١٤٢)

والشعر ما كان رائعا يستمد رؤاه من روح العروبة :

مهجريّ لكنه عربيّ   في هواه وقلبه ولسانه(١٤٣)

وكانت للشعر في المهجر قيمة كبيرة يوم بدأ بربر ينظم الشعر وحوله كبار الشعراء كالقروي وشفيق معلوف وميشال مغربي والياس فرحات . وكان يجد في قصائدهم أعذب الكلم وأروعه ويتأثر بها وبنزعتها الوطنية والقومية والانسانية فيندفع الى نظم الشعر وهو في وهج الانفعال الشعري. وكان من قبل قد تتلمذ على كبار الشعراء القدماء والمحدثين مثل امرىء القيس وعنترة ومجنون ليلى وبشار وأبي نواس وابن المعتز وأبي تمام وأبي فراس والمتنبي والشريف الرضي والتهامي وابن زريق البغدادي والمعري

---

(١٤١) ديوان الشلال ص٢٥ ، ٢٧ .
(١٤٢) ديوان الرافدين ص١٥ .
(١٤٣) ديوان الرافدين ص١٦٠ .

وأحمد شوقي وبشارة الخوري • وفي مقدمة « ديوان الشلال » اشارة الى هؤلاء واعجاب بأبياتهم الشعرية التي استشهد بها وطرب لها(١٤٤) ، وهذا يدل على اتصاله بالشعر العربي الاصيل وقراءته قراءة متأنية بعد أن حرم من اكمال الدراسة ومتابعة الادب في قاعات الدرس والجامعات • وكان يجل المتنبي ويعليه ، وقد نظم فيه قصيدة « المتنبي »(١٤٥) واضعا أمامه قصيدته الدالية التي مطلعها :

لكل امرىء من دهره ما تعوّدا　　　وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

وضمَّن بعض قصائده بعض كلام المتنبي ، وتأثر ببعض كلام جميل بثينة وبشار بن برد(١٤٦) • وكان معجبا بالاخطل الصغير ورثاه بقصيدة « الاخطلية »(١٤٧) وجرى فيها مجرى قصيدة بشارة في رثاء الملك فيصل الاول :

لبست بعدك السواد العواصم　　　واستقلت لك الدموع المآتم

ولبربر قصيدة « الى غادة »(١٤٨) مطلعها :

كل سحر الوجود في مقلتيك　　　وعبير الخلود في شفتيك

وهي على غرار قصيدة بشارة :

الصبا والجمال ملك يديك　　　أي تاج أعزّ من تاجيك

وإن لم ترق الى مستواها في الصياغة والتصوير •

وبربر متأثر بصديقه القروي الذي كان ينقد شعره ويستفزه بأنه يغير

---

(١٤٤) ينظر ديوان الشلال ص١١-٢٤ .
(١٤٥) ينظر ديوان الشلال ص١٣٦ ، وديوان المتنبي ج١ ص٢٨١ .
(١٤٦) ينظر ديوان الشلال ص٥٨ ، ٢٨١ ، ديوان الرافدين ص١٢٨ .
(١٤٧) ينظر ديوان الشلال ص٢٥٦ ، شعر الاخطل الصغير ص٢١٩ .
(١٤٨) ينظر ديوان الرافدين ص١٣٢ ، شعر الاخطل ص٣٧ ، الهوى والشباب ص١٢٨ .

على شعر المتنبي ، وقصيدته « دفن الاحقاد »[١٤٩] التي نظمها إبان الثورة اللبنانية عام ١٩٥٨ تنم على أنها محاكاة لبعض قصائد القروي مثل قصيدة « الاستقلال حق لا هبة » و « الناخلة » . وليس ذلك غريبا من شاعر تتلمذ على هؤلاء الشعراء وعاش مع بعضهم وأحسّ بشعورهم وتغنى معهم بأمته العربية ورسالتها في الوحدة والحياة الحرة الكريمة . وما كان له وهو يحوم حول الشعر العربي القديم ويتأثر بمعاصريه الذين لم يخرجوا على القديم أن يكون أكثر إبداعا ، ولذلك كانت قصائده صورة للقصيدة العربية ذات الوزن والقافية والنبرة الخطابية التي عرف بها شعر المحافل والمناسبات الوطنية والقومية الذي تتفجر ألفاظه قوة . ولا عجب وبربر يقول ان شعره تميز حماسة لانه شاعر رأى وطنه مضطربا تنتابه الآلام من كل جانب ووجد أمته ممزقة . وقصيدته « شعر الحماسة »[١٥٠] تنبىء بهذا الاتجاه :

تميز شعري عن سواه حماسة ... كبركان جمر ناره تتأجج
لئن غلبت فيه الحماسة غيرها ... فذاك لأني ثائر لا مهرّج
تراب بلادي كالشقائق حمرة ... بروحي تراب بالدماء مضرج
أأحبس شعري عن بلاد صراخها ... عويل السواقي أو أغني وأهزج
أأبقى حياديّ الهوى خارج الحمى ... كأني على مأساته أتفرج

وسيظل شعره يثير الحماسة ويتدفق حمما ما دام البغي يرتع ، وما دام الفدائي يذود عن الحمى :

فما دام في طول البلاد وعرضها ... مراتع بغي وهو كالذئب أهوج
وما دام فيها صيحة لمجاهد ... يموت فداها وهو بالنصر يلهج
وما دام في صدري على الظلم ثورة ... تضج وتغلي بالإباء وتنشج

---

(١٤٩) ينظر ديوان الشلال ص١٧٠ ، ديوان القروي ج١ ص٢٠٢ ، ج٢ ص٥٢٨ .
(١٥٠) ديوان الرافدين ص٢٥٢ .

وما دام شـعر الذائبين ميوعـة كحشرجة من لافظ الروح تخرج
فلا شعر لي إلاّ المثير حماسـة تشدد عزم الروح وهي تحشرج

لمـاذا ؟

دعونا من الشـعر المهلهل رقـة فنحن الى شعر الحماسـة أحوج

وبربر لا يميل إلاّ الى الشعر الواضح الذي يبين عن القصـد ، وقد عبّر عن رأيه بقصيدة « الأخطلية »(١٥١) التي رثى بها الاخطل الصغـير . قال يخاطبه :

أسكت الموت بلبل الشـعر فيه وخـلا الجـو بعده للطماطـم
لا تقولوا « من البيان لسحر » إنّ سِحْر البيان أمسى طلاسم
فاتقـوا الله يا طماطـم فينا نحن عـرب ولن نصير أعاجـم
نفهم الشـعر فكـرةً وبيـاناً لا غموضا في الرمز يعيي التراجم

ولا يغير هذا من قوله في قصيدته « عظة الدهر »(١٥٢) انها « رمزيـة تشير الى حدث تأريخي حديث » لانها واضحة يعرف دلالتها كل من عرف واقع العرب في هذه الأيام .

وكان مِن تأثر بربر بكبار الشعراء اهتمامه باللفظة الشـعرية لايمانه بأن للشعر لغة ساحرة ، يقول : « وبأي لغة تستقطر حلاوة المناجاة وتعصر سلافة البوح ؟ أليس بلغة الشعر السائغة الساحرة التي هي لغة القلـوب ؟ إن في كلمة « يا حبيبي » من الشعر ما في كل أزاهر الارض من العطر ، وكما أن من البيان لسحرا ، فان من الشعر لسحرا »(١٥٣) . ولكـن هـل

---

(١٥١) ديوان الشلال ص٢٥٦ .
(١٥٢) ديوان الشلال ص١٨٢ .
(١٥٣) ديوان الشلال ص١٦ .

استطاع أن يضفي على اللفظة ايحاءً جديداً ؟ وهل وفق في لغته الشعرية التي هي صناعة الشاعر التي تظهر مهارته وقدرته على توظيفها ؟

إن شعره يوحي بشيء من هذا وان اتخذ من شعر القدامى والمحدثين مثل أحمد شوقي والقروي سبيلا له، غير انه ظل مرتبطا بالقديم أكثر من ارتباطه بالحديث ودخلت شعره ألفاظ قديمة مثل « أعشار » في قوله :

فادخل الى أعشار قلبي يا هوى   وافعل فعال الفاتح الصنديد(١٥٤)

وهي ما استعمله امرؤ القيس قبل قرون فقال :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي   بسهميك في أعشار قلب مقتل

ولفظة « الاعشار » مما لا يفهمه المعاصر ، وقد قال الشراح : « انما هذا مثل لأعشار الجزور ، وهي تقسم على عشرة أنصباء . وقوله : « بسهميك » يريد المعلى وله سبعة أنصباء ، والرقيب وله ثلاثة أنصباء . فأراد انك ذهبت بقلبي أجمع »(١٥٥)

ومن ألفاظ بربر الغريبة « المدر » في قوله :

فاذكر بأنك يا انسان من مدر   فليس يحسن منك التيه والبطر
بنفخة صرت من أهل الحياة فكن   مثل الحياة جميلا أيها المدر(١٥٦)

والمدر : الطين العلك الذي لا يخالطه رمل .

وأوضح منه قول ايليا أبي ماضي في هذا المعنى :

نسي الطين ساعةً أنّه طين جقير فصال تيهاً وعربد(١٥٧)

والوقب في قوله :

---

(١٥٤) ديوان الشلال ص٣٨ ، وتنظر ص١٥ .
(١٥٥) ينظر شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٤٨ .
(١٥٦) ديوان الشلال ص٣٢ .
(١٥٧) قصيدة « الطين » في الجداول ص٣٩ .

وعينيّ في وقبيهما سور الهوى   تشعّ بنور الوحي من عالم سحري[158]

ووقب الرجل : غارت عيناه ، والوقب نقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء ، والوقبة النقرة في الصخر أو الجسد كالوقب ، الكوة العظيمة فيها ظل .

والأوطاب في قوله :

هل تذكــرين حــداثة   ملأ الرضى أوطابها[159]

والوطب : الثدي العظيم ، والجمع أوطاب . ولا تعبر هذه اللفظة عن المعنى الذي أراده الشاعر ، وكان في مندوحــة عنها وهو ينظم قصيــدة لا تلتزم بالقافية الموحدة .

والضرب ، التي تكررت كثيراً[160] ، وهو العســل الابيض . ومثلها الحوباء أيضا[161] وهي النفس .

والذلول والخطام والعبل في قوله :

فألقت اليه كالذلول خطامها   وأرخى لها في الساعد العبل مقودا[162]

والذلول : البعير الذي سهل انقياده ، والخطام : حبل يجعل في عنق البعير ويثنى في خطمه أي أنفه ، والعبل : الضخم الشديد المفتول .

والتفيش في قوله :

أحقر الناس ســيد متعال   يتبدى من التفيّش وارم[163]

والتفيش : ادعاء الأمر باطلا .

---

(158) ديوان الشلال ص34 .

(159) ديوان الشلال ص49 .

(160) ديوان الشلال 95 ، ديوان الرافدين ص55 ، 67 ، 176 .

(161) ديوان الشلال ص115 ، 151 ، ديوان الرافدين ص109

(162) ديوان الشلال ص137 .

(163) ديوان الرافدين ص62 .

والسخائم في قوله :

كيف يستعذب الغناء هزار وأمانيه مزقتها السخائم(١٦٤)

والسخائم : جمع سخيمة ، وهي الضغينة .

وعقيرة في قوله :

يظل يرفع في الدنيا عقيرته حتى يلجلج صوت الحق بالغلب(١٦٥)

والعقيرة : صوت المغني والباكي والقارىء ، يقال : رفع عقيرته ، أي : صوته .

والدأماء في قوله :

فهبت كاعصار تفك قيودها وتطرح في الدأماء وِزْرَ المكبل(١٦٦)

والدأماء : البحر .

وتنضنض في قوله :

تنضنض كالغضبى لسانا مذربا كأني به في قبضة الموت مبضع(١٦٧)

وتنضنض لسانها : تحركه ، والنضناضة من الحيات : التي أخرجت لسانها أو التي لا تستقر في مكان أو التي اذا نهشت قتلت من ساعتها .

والموامي في قوله :

عمرك الله كيف تحيا قلوب خاليات من الهوى كالموامي(١٦٨)

والموامي : جمع موماء وموماة ، وهي المفازة الواسعة أو الفلاة التي لا ماء فيها .

---

(١٦٤) ديوان الرافدين ص٦٤ .
(١٦٥) ديوان الرافدين ص٧١ .
(١٦٦) ديوان الشلال ص١٧٧ .
(١٦٧) ديوان الشلال ص٣٠٠ .
(١٦٨) ديوان الشلال ص٣٦ .

وقد تكون الالفاظ واضحة في المعنى ولكنها غير موفقة في التعبير عن المعنى أو أنها لا تحمل روحا شــاعرية أو انها غير مجنحة ، ومن ذلك لفظة « أغرز » في قوله :

تمر بي الحسناء وهي حيية فأغرز عيني في صميم جمالها(١٦٩)

والخزام في قوله :

رقصت على نغم الصبا وترنحت لما سرى نفس الخزام اللين(١٧٠)

والبؤبؤ في قوله :

عين بوجه الثرى للبؤبؤ افتقرت ما أقبح العين إن لم تَحْوِ انسانا(١٧١)

وقوله :

فتضمه عيني كبؤبؤها فلا تبكي الدماء على تفرق شمله(١٧٢)

وقوله :

ولولا حمى في بؤبؤ العين رسمه مقيم وفي سوداء قلبي مصور(١٧٣)

وعلقمت في قوله :

عَلْقَمَتْ أمسي ويومي وغدي غربة" طالـت فحالت علقما(١٧٤)

ومكشر في قوله :

ما لي أرى الانسان فيك مكشراً عن نابه كالوحش في الآجام(١٧٥)

---

(١٦٩) ديوان الشلال ص٢٩ .
(١٧٠) ديوان الشلال ص٤٣ .
(١٧١) ديوان الشلال ص٥٨ .
(١٧٢) ديوان الشلال ص٢٠٠ .
(١٧٣) ديوان الشلال ص٢٩٨ .
(١٧٤) ديوان الشلال ص٩٧ .
(١٧٥) ديوان الرافدين ص٩٧ .

والقمقم في قوله :

من لي بحصر الحسن وهو موزع   في الخافقين بقمقم أو مثله[176]

وقوله :

فهبوا كما أطلقت الريح مارداً   عليه لقد طال الثواء بقمقم[177]

وقوله :

ويعبق بالطيب قلب الفضاء   كأنّ الفضاء غدا قمقما[178]

وقد تكون اللفظة أعجمية مثل « مدوزن » في قوله :

لا تجزعوا فلسوف نخلق للعلى   جيلا على نبض الحياة مدوزنا[179]

وهي من « دوزن القانون » أي شدّ ما ارتخى من أوتاره ليجري عليه اللحن المقصود ، وهي كلمة أعجمية يقابلها في العربية بضّ وبظّ . واستعمل الفعل في قوله : « فعلى هدير هذين النهرين التأريخيين وخريرهما دوزن شعراء العصر العباسي الاول والثاني أوتار شاعريتهم الخالدة وأنشدوا أبدع الملاحم الشعرية وأروعها »[180] .

وهناك بعض الكلمات الغريبة أو القلقة أو غير الشعرية ، ويتضح ذلك في قصائده القديمة مثل « الحب الأول »[181] التي ترددت فيها ألفاظ بعيدة عن روح الغزل أو الرقة التي ينبغي أن تكون من أبرز سماتها . ومن ذلك ألفاظ : « العربيد » و « اعصوصفت » و « التلمود » و « الصنديد » وغيرها من الالفاظ الحماسية ، ولعل مطلع القصيدة ينبىء بذلك :

---

(176) ديوان الشلال ص٢٠٠ .

(177) ديوان الشلال ص٢٣٢ .

(178) ديوان الرافدين ص٢٢ .

(179) ديوان الرافدين ص٣١ .

(180) مقدمة ديوان الرافدين ص٨ .

(181) ديوان الشلال ص٣٧ .

عصفت رياح الحب في الأملود مهتاجة كالثائر العربيد

ويقول :

فادخل الى أعشار قلبي يا هوى وافعل فعال الفاتح الصنديد

وقد يستعمل اللفظة في غير ما استعملت له في كثير من كلام العرب مثل لفظة « السنين » التي أجراها مجرى « حين » في قوله :

لا تقولي طوى الزمان هوانا ففؤادي ما غيّرته السنين(١٨٢)

وهذا وإن كان قليلا غير انه ورد في كلام سيد المرسلين محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : «اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف» ، وورد في شعر المعاصرين كعلي محمود طه ومحمود حسن اسماعيل ونازك الملائكة(١٨٣) .

وأسلوب بربر هو الاسلوب الذي شاع في النصف الاول من القرن العشرين وليس فيه غرابة أو خروج عن المألوف ، وهو ينزع الى الوضوح الذي عرف به شعر المحافل .

وتشبيهاته وصوره مألوفة أيضا ليس فيها إغراب ، وقد يسف فيأتي بصور غير جميلة ، ومن ذلك :

الحب هذا الكائن السحري واللغز العجيب

يسطو على الأرواح مثل اللص في الليل البهيم(١٨٤)

وقوله في تشبيه أثر الظالم برائحة الخنفساء :

كل من يظلم يمضي تاركاً خلفه رائحة كالخنفساء(١٨٥)

---

(١٨٢) ديوان الشلال ص٢٥ .

(١٨٣) ينظر بحثنا « لغة نازك الملائكة » في كتاب نازك الملائكة ص٦٣٥ .

(١٨٤) ديوان الشلال ص٤٠ .

(١٨٥) ديوان الشلال ص٦٩ .

ولا يبعد في وصفه للجمال عن التشبيهات القديمة ومن ذلك قوله :

وغـادة شرّفت في الحـلم زائرة — وغاية الزهد أن ترضى بطيف كرى
تبسّـم الفجر عن أسـنانها فبدت — سبحان من نضّد الياقوت والدررا
وفتّح الـورد في أكمامها وزهـا — وأنضج الوجد في بستانها الثمرا(186)

ومثله :

صِباكِ ربيـع تدفق سـحراً — وفاض جمالا كصوب الغمام
ووجهك شمس وشعرك ليل — ففيك الضياء التقى والظـلام
وثغرك شـهد وريقك خمـر — فقد ذقت طعمهما في المنـام
وسبحان مبدع هذي اللآلي — بفيك كعقد بديـع النظـام
وصوتك يزري بعزف الرباب — وشدو الكنار وسجع الحمام
وصدرك كـرم حوى ثمرتين — هما من نتاج الصبا والغـرام
وخلف لحاظك يكمن سـحر — يشق الصدور ويفري العظام
ومن أين للريـم جيـد كهذا — تليع علا واستوى واسـتقام
ومن أين للغصن هذا التثني — ومن أين للبـان هذا القوام
جمال الطبيعـة فيك تفشّى — فحامت عليه قلوب الأنام(187)

وله تشبيهات بديعة مثل :

فمضـت وفي خطـواتها — شوق الغريب الى الوطن(188)

ويجمع عدة مشبهات فيقول في ابنته ليلى :

من رأى الوردة تندى بالشـذا — فبـدت رمز الجمـال الأطيب
من رأى النحلة في الحقل ضحى — تلثم الزهـر لجمع الضّربِ

---

(186) ديوان الشلال ص١٠٢ .
(187) ديوان الرافدين ص٣٩ ، قصيدة « تضحية » .
(188) ديوان الشلال ص٢٢٠ .

من رأى العصفور يشدو ساكباً   خفة الروح كلحن مطرب
من رأى الرقة في الظل وفي   بسمة الكأس وضحك الحبب
من رأى السحر بأحداق المها   حائراً بين الأسى والطرب
من رأى الغبطة في سيمائها   نشوة الراحة بعد التعب
من رأى أشتات حسن ومنى   جمعت في قالب كالكوكب
تلك ليلاي ودنياي التي   جمعت كل المنى والأرب
انها التعبير عن أمنيتي   وبها تحقيق حلمي الذهبي(١٨٩)

والتقط من الطبيعة كثيرا من صوره ، وهو متأثر في ذلك بالقروي وفرحات والبيئة الرائعة والطبيعة الساحرة التي عاش فيها . وتكثر في شعره ألفاظ العصفور والحقل والفراشة والبلبل والسنديانة والنحلة والمطر والانهار ، وكل ما تضم الطبيعة من مفاتن . وله عدة قصائد في الوصف مثل وصف سحر مدينة ريو دي جانيرو(١٩٠) ، وشلالات اغواسو التي تعدّ من أبدع شلالات العالم وأجملها(١٩١) . وقد وظف الطبيعة في عرض اللوحات المتقابلة ، ويتجلى ذلك في قصيدة « مصرع الشاعر »(١٩٢) التي رثى بها أيليا أبا ماضي ، فهو في اللوحة الاولى يعرض جمال الطبيعة وسحرها ويصفها وصفا دقيقا ويقرن فرحتها بمولد الشاعر :

اليوم يولد شاعر   متفرد بين البشر

وفي اللوحة الثانية يعرض ما أصاب الطبيعة من أسى ووجوم :

مات الذي استوحى الحياة   وكان شاعرها الأبر

---

(١٨٩) ديوان الشلال ص٩٥-٩٦ ، قصيدة « ليلى » .
(١٩٠) ديوان الشلال ص٢١٤ ، قصيدة « عائدة » .
(١٩١) يقع الشلال في النهر الذي بين البرازيل والارجنتين وبورغواي وهو قريب من مدينة فوز دي اغواسو ، وقد رأيته يوم الاحد ٢٥ آب ١٩٨٥م (٩ ذو الحجة ١٤٠٥هـ) عندما كنت في مدينة فوز دي اغواسو لالتقي الجاليات العربية والاسلامية هناك بشأن العدوان الايراني على العراق .
(١٩٢) ديوان الشلال ص٢٠٩ .

وقد وفق في هذا التقابل ، وان كانت فيه مبالغة محببة الى النفس .

ولم يخرج بربر على هيكل القصيدة القديمة ، فقد ظل محتفظا بالبيت ذي الوزن وبالقافية الموحدة إلا في القصائد التي كانت موشحات أو مقاطع اختلفت قوافيها .

نظم بربر الشعر عن رغبة وهوى ولم يكن متكلفا :

واني أقول الشعر منذ حداثتي وما قلت بيتا واحدا متكلفا(١٩٣)

وهذا واضح في شعره ، أما ما يبدو على بعضه من ضعف فمردّه الى أنه لم يمتلك ناصية الشعر كما امتلكها الشعراء الكبار ، ولم تكن لديه الثقافة الواسعة التي عرف بها بعضهم ، ولذلك يبدو شعره أحيانا متكلفاً وما هو بالمتكلف ، وانما جاء عفو الخاطر ، صادقا ومعبراً عن أحاسيس الشاعر . وقد ألح على أن يكون شاعرا فأصبح شاعرا وتطور خلال تجاربه الكثيرة . وهذا واضح في شعره ، فديوان الرافدين أعمق من ديوان الشلال وأكثر نضجا . وهذا يدل على أن بربر طوّر نفسه خلال السنوات الطويلة التي نظم فيها الشعر . وفرق عظيم بين قصائده الاولى التي ضم بعضها ديوان الشلال وقصائده الاخيرة التي تجلت فيها الشاعرية وصفاء العبارة وقوة الاسلوب وجمال التصوير . وها هو يقول معتزاً بشعره :

خذه قريضاً من قريحة شاعر حاكى الفحول بلاغة وأصولا(١٩٤)

لقد أراد بربر أن يكون شاعراً فكان ، وها هو آخر شعراء المهجر الجنوبي الذين وهبوا أنفسهم للأمة العربية وذادوا عنها ، وانه لفأل حسن وأمل

---

(١٩٣) ديوان الرافدين ص٥ .

(١٩٤) ديوان الرافدين ص١٥ ، وقد مرت الابيات . وينظر ديوان الشلال ص٥ ، ٢٥ ، ٢٧ .

عظيم أن ينطلق من أطراف الدنيا صوت العروبة مدويا يشق الحجب ، وأن يكون لشعر أولئك المغتربين أثر عظيم . وقد عبّر بربر عن أثر المهجر في قصيدة « الأدب المهجري »[195] وقال إنه :

مهجريّ لكنه عربيّ   في هواه وقلبه ولسانه

وكان ذلك يوم كان جبران وأبو ماضي وفرحات وشفيق معلوف وأخواه فوزي ورياضٍ والقروي وأخوه المدني ، أما اليوم فلم يبق غير نفر قليل يحملون الماضي الزاهر :

ذاك ما كان والذي كان ولـّى   تاركاً للأسى فراغ مكانه
ذاك عهد أغرّ باقٍ على الدهر ، وللدهر مأرب في اختزانه

وقد أقفر الروض :

أقفر الروض من بلابله الفصحى وعاث الخريف في أفنانه
أي روض من النهى صوّحته   فتشكات الزمان في دورانه
خفتت ضَجّةُ الصوادح فيه   وتعالى النعيب من غِربانه

وهذه مرثية حزينة للأدب المهجري الذي جنح الى المغيب بعد أن توقفت العصبة الاندلسية في سان باولو[196] ، وتوقفت مجلتها عن الصدور . ولم تغن عنها « جامعة القلم » التي قامت في تموز سنة ١٩٦٤ ، ولم أجد لها أثراً في الحياة الادبية عندما زرت البرازيل في صيف ١٩٨٥م ولم يحدثني

---

(١٩٥) ديوان الرافدين ص١٦٠ .
(١٩٦) ذكر صيدح في كتابه « أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية » ص٣١٧ أن بربر كان معاصرا للعصبة ولم ينضم الى عضويتها .

عنها توفيق بربر عند لقائنا . وقد ذكر عيسى الناعوري[197] ان بربر أسهم في الحفـل الذي أقامته الجامعة في الثاني من أيلـول ١٩٦٥ تأبيناً لذكرى الأديب المهجري جورج حسون معلوف ، ولا يعني ذلك انه كان عضواً فيها. ويظل بربر في المهجر يغني لأمته ووطنه ، أطال الله عمره وأحيا به الضـاد في ديار الغربـة .

---

(١٩٧) ينظر ادب المهجر ص٥٠ .

٢

جورج صيدح

١ ـ الذات

جورج صيدح هو الرحالة العربي ـ كما كان يسمي نفسه ـ وكانت نزعة السفر عنده قديمة ففي عام ١٩١٩ وهو مقيم في القاهرة زار بيروت وبلودان وبحمدون وزحلة ودمشق ودير صيدنايا ، ونظم قصيدة « يوميات سائح »[١] أرّخ فيها هذه الرحلة . ثم طاف بعد ذلك في كثير من دول العالم ولا سيما دول امريكة اللاتينية .

ولد في دمشق عام ١٨٩٣م[٢] ، وفي آخر ديوانه « النوافل » أرّخ حياته بقوله : « وليد دمشق عام ١٨٩٣ ـ خريج كلية عينطورة عام ١٩١١ ـ نزيل مصر الى عام ١٩٢٥ وأسير الفنزويلا منذ عام ١٩٢٧ » . وتوجه ـ كما ذكر ـ الى عينطورة في لبنان وتلقى دروسه في كلية الآباء اللعازريين وأنهى دروسه سنة ١٩١١م وظل يحن اليها ونظم وهو في مصر قصيدة « الى مدرستي عينطورة »[٣] عبّر فيها عن حبه لهذه المدرسة التي فتحت أمامه أبواب الثقافة والعرفان . وهاجر الى مصر سنة ١٩١٢ ليلتحق ببعض أقاربه في القاهرة ولحق به وباخوته أبوه ميخائيل صيدح سنة ١٩١٤ ، وهو من الوجهاء المعروفين في دمشق وكان من قضاة محكمة الحقوق الى عام ١٩١٣ ، وتوفي في القاهرة بعد سنوات قليلة من هجرته[٤] .

---

(١) ديوان النوافل ص١٨ .

(٢) تنظر ترجمته في الناطقون بالضاد في امريكا الجنوبية ج١ ص٤٠٨ ، ادب المهجر ص٤٥٢ ، تاريخ الشعر العربي الحديث ص٢٣٤ .

(٣) حكاية مغترب ص١٠٩ ، ديوان النوافل ص٤٣ .

(٤) ينظر ديوان صيدح ج١ ص١٧٩ .

وسعى جورج في الارض وعمل بالتجارة وبيع الاقمشة ، وفي ذلك قال عام ١٩١٣ مخاطبا سليم سركيس ومجلته :

لولا المجلة ما كانت لنا صلة ولا تعرّف محبوب بمهجور
ولا غشيت بيوت الشعر أصلحها حتى أفوز ببيت غير مكسور
ولا تركت حساباتي وأقمشتي وسرت ما بين عمالي كمسحور
بينا يقيد فكر جرّ قافية ينفك عني زبوني شبه مجرور(٥)

وكان يحن الى دمشق ولولا لقمة العيش وكسب الرزق ما هجرها :

دمشق إن أشجت الأوطان مغترباً إني لأوجع من أشجته أوطانُ
والله لولا فروض العيش ما بقيت بيني وبينك أبحار وبلدان
حسبي من الوجد هجران منيت به وحسبك العهد لا ينسيه هجران(٦)

وقضى في مصر أربع عشرة سنة ، وفي عام ١٩٢٥ هاجر الى فرنسة أثر نكبة مالية نزلت به في ذلك العام فخرج مقهورا من معركة دامت ثلاثة عشر عاما ، ونظم وهو في عرض البحر قصيدة « التاجر الخاسر »(٧) :

أظلم الناس من ظلم يائساً تاه في الظلم
عاثر الجد بعد ما كان ناراً على علم
زاهراً كان نجمه فهوى النجم وادلهم
نازحاً كل زاده عزّة النفس والألم

ويخاطب فيها أحبته قائلا :

قسماً يا أحبتي جار دهري بما قسم

---

(٥) ديوان النوافل ص٢١ ، قصيدة « سليم سركيس ومجلته » .
(٦) حكاية مغترب ص١٢١ ، ديوان النوافل ص٧٢ .
(٧) حكاية مغترب ص١٦١ ، ديوان صيدح ج١ ص١٩ ، ديوان النوافل ص٥٧

غايـة الخطـب أن ترو ني صديقـاً ومتهـم
إن حبسـت الدمـوع كبراً بكـى القـلب والقـلم
حيث لا تشـتهي البـراكسـين قد تسقط الحمـم

ويطلب منهم أن يحاسبوا من كان سبباً في نكبته المالية :

حاسـبوا مـن أثارها عـن أذاهـا الذي ألـم
حاسـبوا الطامـع اغتنى حاسبوا الحاسـد انتقـم
ذمـة الـودّ بيننـا سـاعة الضيـم تحترم
شـيمتي الفضـل حيث لا ينفـع الفضـل والشـيم

ويصف حاله :

في محيـط رجالـه كالضـواري بلا ذمـم
عيّـرتنـي ذئابـه أنني كنـت كالغنـم
صـرعتنـي وفاخـرت انها الخصـم والحكم
فلهـا مصـرها ولـي الله والواسـع الخضم

ويخاطب مصر التي أحبها حبا عظيما وحنّ اليها ، ويعاتبها :

يـا ديـاراً عبـدتها مثلمـا يعبـد الصنـم
لـك قربـت مهجتـي وشـبابي الذي انصرم
ومتاعـي وصحتـي وشـعوري وما نظـم
لم أجد يـوم نكبتي منك عطفـاً ولا كـرم
يا لقهـارة القلـوب ومقهـورة الأمـم

ويتمنى أن يعود اليها مرفوع الرأس:

من بشـيري بعـودة رافـع الرأس كالهـرم
والأمـاني كذوبـة فيك يا مصر كالنسـم

أنا ميــت فان أعــد فرميــم مــن الرمــم
انمــا العيشــ نائيــاً عنك يا مصر كالعــدم

ويزور جنيف عام ١٩٢٥ ويقف على « بحيرة ليتمان »[٨] ويبثها شكواه ويعلن حنينه الى مصر :

إني أتيتــك يا بحــيرة مــدنفاً أتطبب
أنا ذلك الشــيخ المريــب الواجف المتغرب
حــيران أية محنة أشكو وأية أنــدب
لي مدمع في القلب سال عن العيون محجب
حــذر الحســود اذا رأى من ذلتــي ما يرغــب
ثقلت على نفسي الحيــاة وضــاق فيها المــذهب
لا مــال لا آمــال لا هدف يلوح فأكلب[٩]
قومي وهل قومي سوى هــود عليّ تعصبوا
للمجــد أبناء الأفاعــي وابن مريم يُصلب
شــمتوا وقد هــان العــزيز ــ بحاتــم لا يأدب
يا مــالُ كم قصــر تشــيد وكم ضمير تخــرب
خسرت بك الأخلاق ما الاعلاق ليست تكســب

واستقر في باريس وهو يردد :

باريس يا أم الغريــب التــي تحنو فتنسيه أسى الاغتراب[١٠]

وفيها كدح وشقي وتزوج عام ١٩٢٧ بفرنسية ليقتل الوحشــة التي كانت

---

(٨) ديوان صيدح ج١ ص٢٦ ، ديوان النوافل ص٦٠ .
(٩) في النوافل : .... ما اشتهي او ارهب
(١٠) حكاية مغترب ص٣٠٥ ، ديوان النوافل ص٧٩ .

تلفه في ديار الغربة ، ونظم في أول آذار من العام نفسه قصيدة « يوم زواجي »[11] :

يا فؤادي أما مللت التصابي | أنت للحب صادق الحب أحوج
قم تدثر بالفجر ثوباً نقياً | واخلع الليل بالمعاصي تضرج
وضح الافق بعد تيه الليالي | آنَ أن استبين للسير منهج

وختمها بقوله :

ربّة الشعر يا شبيبة عرسي | لا تغاري إذا فتاك تزوج

وفي عام ١٩٢٧ ترك فرنسة مهاجرا الى فنزويلا واستقر فيها وعمل بالتجارة ، واهتم بالشعر وأصدر مجلة شهرية بأسم « الأرزة » وكان يطبعها ويوزعها بلا مقابل خدمة للجالية العربية هناك . وقد صوّر رحلته هذه أروع تصوير في قصيدة « في سفينة المهاجرين »[12] وهو على ظهر السفينة :

سفينة حملتنا حمل كارهة | تَودّ لو ظهرها لليم يلقينا
تشق صدر عباب ثار ثائره | تكاد أمواجه تغشى الأساطينا
يهوي عليها فتدحونا الى درك | آناً وآونة تعلو فتعلينا

ويبدي حنينه الى دمشق : ...

للشام[13] أرواحنا يا بحر ما طمعت | أمواجك الهوج إلا في بواقينا
ما راع أجسادنا رغوٌ ولا زَبَدٌ | يكون غاسلنا منه وكاسينا
ولا الثواء بمهدٍ لانَ حاشيةً | بعد الحياة بمهد كان يدمينا

---

(١١) حكاية مغترب ص٤٠١ ، ديوان صيدح ج١ ص١٨٤ ، ديوان النوافل ص٨٣ .
(١٢) حكاية مغترب ص١٦٤ ، ديوان صيدح ج١ ص٤٩ ، ديوان النوافل ص٨٤
(١٣) كذا في حكاية مغترب وديوان النوافل ، اما في ديوان صيدح : لمصر .

ها نحن فالثَّقَفِ الاجسامَ هامدةً واثر عليها نديف الموج نسرينا
وخلّ أرواحنا تطفو مولية شطر الديار تحيي من يحيينا

ووصل الى محطة الأمل في كراكاس سنة ١٩٢٧ على رغبة في الاستقرار والمصالحة مع الحياة ، ونظم قصيدة « وكان الصباح »[١٤] وفيها تصوير لأمسه الدابر الذي ودّعه يوم عبر المحيط وللحياة الجديدة التي لا يعرف ما تحمل من أحداث .

وبقي في فنزويلا عشرين عاما نال فيها الغنى وإن لم ينل الراحة ، ففي عام ١٩٤٣ تآمر القوم حكاماً وقضاةً على ماله وحريته فصفى تجارته واعتزل ميدان الاعمال . وقد صوّر ذلك في قصيدة « في المحنة »[١٥] التى نظمها في العاصمة كراكاس :

جُنّت الدنيا فويل العاقلين أوشكوا أن يفقدوا كل يقين
بدأ الدور بواش كائد وانتهى في عصمة المؤتمرين

وينتفض إباءً على ما أصابه من شريكه والمؤتمرين به ويصرخ :

بلّغوا عني شريكا خانني وأجيراً باعني للمعتدين
وعيالاً تخذوها علة لامتصاص الدم من نسر طعين
انني أبصق في أوجههم قبل أن أسلمها للصافعين
دولة الخزي التي صالوا بها شرّفتني حين ألقتني سجين
انني الغيث الذي في حبسه ظمأ الزرع وخطب الزارعين
إنني السيف ثوى في غمده وارتضاها هدنةً للظالمين

---

(١٤) حكاية مغترب ص١٦٩ ، ديوان صيدح ج١ ص٥٦ ، ديوان النوافل ص١٠٧ .
(١٥) ديوان صيدح ج١ ص٨٦ ، وجاءت هذه القصيدة في ديوان النوافل ص١٤٢ تكملة لقصيدته في ابنته جاكلين . ويلاحظ ان صيدح يغير بعض قصائده من ديوان الى آخر كما سيأتي في القسم الخامس من هذا البحث .

إن رأيت الحق يخشى باطلاً وسمعت الحمد للجور المشين
فاهجر الدار وجانب أهلها لا يقيم الحرّ بين الخانعين

ويخاطب ابنته جاكلين :

آه يا جاكلين لو تدرين ما بأبيك اليوم من همّ دفين
أخنق الزفرة في صدري متى قلت يا جاكلين خوف الشامتين
عبس الدهر بوجهي فابسمي تقشعي الظلمة عن قلبي الحزين
بسمة لو شامها الدهر لما كان يقسو هَبْهُ صخراً بل يلين
لعب الحساد بي دورهم بينما أنت بداري تلعبين
صُنْتُ للخير فؤادي ويدي فاذا الشر جزاء الخيرين
للقِرى زادي ومالي للجدا قسماً ما ردّ بابي طارقين

وكتب ايليا أبو ماضي في مجلته « السمير » يقول : « هذه هي القصيدة الكاوية المحرقة ... هذه ليست قصيدة ولكنها حكاية مأساة هائلة فظيعة نزلت بالشاعر ... في هذه القصيدة يشكو شكوى مريرة هي أشبه بصراخ أسد طعين أو نسر جريح ، هو صراخ الكريم غدر به لئيم ، وشكوى محسن قوبل على جميله بالعقوق والاساءة ، وهي كذلك شكوى نفس رفيعة راقية مشى اليها اللؤماء بالنكاية وداروا حولها بالوشاية ... ويا أيها الجانون على هذا الشاعر ما أحقركم في عين السماء ، وما أبغضكم الى هذه الارض التي تمشون فوقها . كشف الله عن الشاعر هذه الغمة وأخرجه من ليلها كالبدر سنيا مشرقا »(١٦) .

ولم يكن التآمر وحده سبب شكواه وانما كانت البيئة هماً من الهموم التي حملها في قلبه ، فهي لم تحفل بالحرف العربي ولم تعبأ بالجالية

---

(١٦) ديوان صيدح ج١ هامش ص٨٦-٨٨ .

العربية فيها . يقول متحدثا عن الأدب العربي في فنزويلا : « في هذا المحيط المادي لم يتنفس الادب العربي عن نسمة حياة طوال عشرين عاما قضيتها في تلك الديار ، فكدت أنسى حروف الهجاء العربية لولا اجتماعات نادرة كانت تجمعني بمواطنين مثقفين يتذوقون الأدب »(١٧) . أما الحلقة التي انتظمت لاجتماع متذوقي الادب فقد كانت خارج العاصمة ، يقول : « أما في فنزويلا فالحلقة التي أعرفها انتظمت خارج العاصمة في بلدة النمر ـ التيغري ـ حيث تأسست جمعية الاخاء العربي واشتملت على عدد من متذوقي الأدب كانوا يجتمعون تحت رايته ويتناشدون الاشعار ولكن آثارهم لم تظهر إلاّ في حقل الخدمة الوطنية »(١٨) :

وشكا مرّ الشكوى حينما غادر كراكاس عام ١٩٤٧ وقال مخاطباً بوينس ايرس :

أين الليالي في سواك خبرتها فمللتها من ليلك المطراب
عبثا شكون طوالها لقصارها شكوى جريح رماحها لحراب
كانت عذابا في الفنزويلا لمن نذر الحياة لثروة وعذاب
للفاقدين صوابهم للجاحدين كتابهم ، إن ردّهم لصواب
القول للغربان تحت سمائها والفعل للأظفار والأنياب
واهاً لصداح شكا في غابها ماذا جنى من شدوه في الغاب
عشرون عاما ليتني ما عشتها كيلا تعد عليّ في الأحقاب(١٩)

وعيب عليه هذا القول وشبهوه بمن يشرب من البئر ويلقي فيها حجراً فأجاب :

---

(١٧) أدبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية ص٥١٣ .
(١٨) المصدر نفسه ص١٦٣ .
(١٩) حكاية مغترب ص٢٦١ ، ديوان صيدح ج١ ص١٠٠ ، نبضات ص٦ .

يا غازي الدولار وهو مُحَصَّنٌ ... دون الوصول اليه خطّ النـار
إن الغنيمـة في إيابك سالما ... قبل انصهار الـروح في الدولار
شرّ التغرب أن تعيش مغـربا ... بالعقل والاحساس والافكـار
وتظن نفسك في السحاب مصونة ... فاذا بها سـقطت مـع الأمطـار
لو عـاد بي يومي الى أيامهـا ... ما بعت فقري واشتريت يساري[٢٠]

انتقل صيدح عام ١٩٤٧ الى الارجنتين ، وكان قد غادر فنزويلا في ٢١ تشرين الاول من هذا العام[٢١] ، وأنشأ « الرابطة الأدبية » في بوينس ايرس وقد وصفها البدوي الملثم فقال انه في الخامس والعشرين من تموز ١٩٤٩م توجه وليم صعب ويوسف صارمي والدكتور جورج قدوم والياس قنصل وجواد نادر وكميل شمعون والياس غريب الى منزل صيدح الذي نشر في صحف العاصمة دعوة شعرية :

مساء يوم الاربعـاء المقبل ... موعـدنا يا سيدي في منزلي
غايتنا التَرويح عن أنفسنا ... بنفحـة من نفحات الأمـل
بجرعـة من أدب مقطـر ... وحفنة من سـمر معلـل
تجمعنا رابطـة روحيـة ... من يعدل الدنيا بها لم يعـدل
رسـالة الضـاد التي نحملها ... نحملهـا شـهادة كالرسل
بعد السرى في التيه أضحى همنا ... أن نلتقي عندَ الطريق الموصل
وأنت منا لسـت ممن برزوا ... في القول واستخذوا أمام العمل
فاحضر وكن عوناً لنا في خطوة ... ترفعنا نحو العلى من أسـفل

وكان وليم صعب قد أعدّ دفترا ليسجل فيه كل مدعو كلمته وتوقيعه عهداً على نفسه بأن يعمل مخلصا لخير الرابطة وجمع كلمة الأدباء وتوحيـد

---

(٢٠) حكاية مغترب ص١٠٥ ، ديوان صيدح ج١ ص٦٥ ، ديوان النوافل ص٨٨ .
(٢١) ينظر حكاية مغترب ص٦٩ ، وديوان النوافل ص٢٠٣ .

صفوفهم • ووضع الدفتر وبدأ الحاضرون يكتبون ، وكان صيدح أولهم وقد كتب :

أأشتاق الحمى والساكنيه ... وفي داري أرى أغلى بنيه
بروحي زورة الأدباء أسلو ... بها بلدي ومن خلّفت فيه

وتبعه الآخرون فكتبوا شعرا ، وكتب جورج قدوم كلمة ، وتقرر أن يجتمع الأدباء مساء كل أربعاء في منزل صيدح ، وأن يحضر المتخلفون ، ونشر صيدح دعوة جديدة جاء فيها :

بعد اللتيا والتي ... أفتى شيوخ العصبةِ
بالصفح عن زلات من ... غابوا لثاني مرةِ

وانضم الى الرابطة غفريل صليبي وحسني عبدالملك وزكريا صارمي وجورج عساف وسيفالدين رحال وعبداللطيف الخشن من بوينس ايرس، وانضم من خارجها ملاتيوس خوري ويوسف غريب والدكتور جورج صوايا وكامل عواد ومحمد معروف وسليم خباز وعثمان زيدان وجابر مرهج • وتوالت الاجتماعات في منزل صيدح الذي كان يقوم بجميع أعمالها ويسجل وقائع جلساتها وينشر انتاجها في الصحف والمجلات ويذيع أخبارها • واستمرت الرابطة عامين ثم انحلت ، وكان صيدح قد عاد الى الوطن فانفرط العقد •

وكان آثرها في النفوس عظيما وعميقا ، ووقف زكي قنصل على دارها يحن الى جلساتها وهو ينشد :

سألتك أيها القصر المنيف ... أيبقى بعدك السمر اللطيف
ستذكر عهدك الزاكي نفوس ... وتبكي ظلك الضافي ضيوف
بروحي أربعاءك كم أطلت ... علينا من روائعها طيوف

غـدآ يسعى اليك بنا حنين" فيوصـد دوننا باب عنيف
فمن نأوي اليه وقد تخـلى عن الأدباء شاعرك الظريف(٢٢)

وكان صيدح يعتز بالرابطة ، وقـد أقام له أدباؤها عند سـفره الى فنزويلا عام ١٩٤٩ بمهمة عابرة ـ حفـلا وألقى قصيدة « تكريـم في الارجنتين »(٢٣) وفيها يخاطب الشعراء ويذكر يوم الاربعاء موعد اجتمـاع الرابطة الأدبية في داره كل أسبوع :

يا معشر الشعراء إن أحببتكم لا فضـل لي فالحب للآدابِ
صلتي برابطة تضمّ لفيفكم نسب أتيه به على الأنسـاب
فخري غداة الفخر اني منكم فَرْدٌ واني كثرة بصحـابي
عندي ليوم الاربعاء رسـالة لولا الظنون لأفصحت عما بي

ويشـكو :

أفرغت كأسي في الثرى ورفعتها بين الكؤوس أعضّها بالنـاب
آثرت شرب دمي على قول العدى إني ظميء طامـع بشراب
قسماً لو الاوطان تفتح عينهـا لبكت لحال الشاعر الجوّاب
لكنها عشـواء ضـلّ دليلُها ومصـابها بالادعياء مصابي
كم ساءلت عني لماذا لم أعـد فجعلت صمتي والزفير جوابي

ويعود الى مخاطبة أدباء الرابطة :

يا من يذم البين عن أحبابـه أأذمـه وأنا مع الأحباب
حسبي من الدهر المفرق جمعه في الحـاضرين مخايل الغياب
لبنان والاوطان في سـيمائكم والشاعر الولهان في أثوابي

---

(٢٢) للاطلاع على الجلسات ينظر الناطقون بالضاد في اميركا الجنوبية ج١ ص٢٨٧ ، ادبنـا وأدباؤنا ص١٥٧ ، ٤٦٠ ، ٤٨٨ ، القومية والانسانية ص٥٧ .
(٢٣) حكاية مغترب ص٢٢٨ ، ديوان صيدح ج١ ص١٠٩ .

وحيا اخوانه أعضاء الرابطة الأدبية بقصيدة « على بساط الريح »(٢٤) بعد أن ودعهم متوجها الى فنزويلا . وكانت له يد طولى على الحركة الأدبية في الارجنتين ، وكان أحد ممولي المعهد العربي الارجنتيني(٢٥) قبل أن يعود الى الوطن ويقيم في بيروت من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٢ إذ تجنس بالجنسية اللبنانية ولامه بعضهم فنظم قصيدة «الجنسية اللبنانية»(٢٦):

فيم التعجب ما نقضت عهودا ... بل زدتها بتجددي تجديدا
بدّلت ثوبي بالطريف ولم يزل ... قلبي كما يقضي الوفاء تليدا
كرمى الحفيد جعلت لوني لونه ... ليس التجانس في الشكول زهيدا
والنسل تظلمه إذا ألبسته ... طمر الجدود الغابرين برودا
أغضيت عن أمسي لأحيا في غد ... وأعيش يومي والدأ مولودا
عدنان في صدري يهشّ لخافق ... ضمّ العروبة شاطئا وصعيدا
لبنان أول من تبوأ عرشه ... يُغري الرياض به ويغري البيدا
وطني حدود الله تمسح أرضه ... لا أي مسّاح يخط حدودا
القسمة الضئزى التي رسمت له ... ما كان فيها النازحون شهودا
معنى التحرر غاب عن حريّة ... قدّت من العبد الوحيد عبيدا
سلخت مهادي عن مرادي في الهوى ... وأنا الموحّد في الهوى توحيدا
حتى إذا قيل انتسب قلت الحمى ... هو من حماني يافعاً عربيدا
لبنان أولاني البشاشة والقِرى ... وحنا فلقنني الحنان نشيدا
غذّى مجاعة صبوتي بلبانه ... وأقامني لما عزمت قعودا
الحب جنّسني براية أرزه ... يا حبّه لا أستطيع مزيدا
حسبي فم الميزاب ما قبّلته ... إلاّ ومن بَرَدى ذكرت برودا

---

(٢٤) حكاية مغترب ص٢٣٢ .
(٢٥) ينظر الناطقون بالضاد في اميركا الجنوبية ج١ ص٢٤٥ .
(٢٦) حكاية مغترب ص٢٨١ .

وكان قد منح عام ١٩٥٠ « وسام الارز اللبناني »[٢٧] في عهد الشيخ بشارة الخوري .

وهاجر الى فرنسة عام ١٩٥٩م واستقر في باريس وهو متألم ، لانه لم يحقق ما تمناه من العودة الى الوطن والموت فيه . وفي قصيدة « وداع لبنان »[٢٨] التي نظمها عام ١٩٥٨ يتحدث عن انطباعاته الاخيرة فيقول :

كان ذنبي وليس ذنب بلادي ... أن تخيلت غير ما الآن أشهد
إن أرضاً غصّت بكل دخيل ... لا تبالي اذا الأصيل تشرد

ونظم عام ١٩٥٩ وهو في باريس قصيدة « عودة الى الفراغ »[٢٩] وهي جواب لقصيدة « وداع وعتاب » لعبداللطيف الخشن[٣٠] التي نشرها في جريدته « العلم العربي » الصادرة في بوينس ايرس . وكان صيدح قد غادر اخوانه في الارجنتين ولم يودعهم[٣١] . قال الخشن :

يا من تعشّق دنيا غير دنيانا ... وراح يختال في باريس نشوانا

.أجابه صيدح :

أتحسب البعد عن دنياك أسلانا ... يا أعرف الناس لم تعرف طوايانا
نحن الأُلى حملوا أحبابهم فكراً ... يكاد يغشى علينا حين تغشانا
لا نرشف الكأس إلا كي ننادمهم ... ولا نبدّلهم بالغيد ندمانا

وصوّر في هذه القصيدة غربته الثانية كما صوّر حالة العائدين في قصيدته التي رثى بها ايليا أبا ماضي فقال:

---

(٢٧) حكاية مغترب ص٢٧٩ .
(٢٨) حكاية مغترب ص١٨٧ ، ديوان صيدح ج١ ص١٤٦ .
(٢٩) حكاية مغترب ص١٩٠ ، ديوان صيدح ج١ ص١٥٠ .
(٣٠) هو الان شيخ كبير يقيم في بوينس ايرس ، وقد اجتمعت به بعد الندوة التي القيناها في المركز الاسلامي هنالك مساء يوم الاربعاء ١٢ ذو الحجة ١٤٠٥ هـ (٢٨ آب ١٩٨٥م) وتحدثت معه عن العدوان الايراني على العراق .
(٣١) ينظر ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية ص٤٨٥ .

قل للبكاة على غريب لم يعد　　العائدون أما غدوا أغرابا
حضروا فما رفّت عليهم أعين　　كانت تراعي خطوهم غيابا[٣٢]

وهذا ما صوّره في قصيدة « العائدون »[٣٣] وسمّى عودتهم الغربة الثانية :

غربة ثانية ننشدها　　إن تكن بلوى فما أحلى البلايا

وظل صيدح في غربته الثانية حتى توفي بباريس في ٩ ــ ١٠ من تشرين الاول عام ١٩٧٨ ، ونعته مجلة الأديب البيروتية[٣٤] .

كان جورج صيدح شاعرا وكاتبا وقد ترك :

١ ــ ديوان النوافل : صدر في كراكاس عاصمة فنزويلا سنة ١٩٤٧م وأهداه الى روح جرجي موسى الحداد ، ورصد ريعه لمنكوبي فلسطين . والديوان في أربعة فصول:

الاول : في الاوطان
الثاني : في الديار المصرية
الثالث : في الاسفار
الرابع : في المهجر

وألحق به « ذكرى الغرام بوردة الشام » ، وختمه بمنظومات سنة ١٩٤٧م . وهو في ٢٠٦ صفحات .

٢ ــ نبضات : صدر في باريس عام ١٩٥٣م[٣٥] ، وهو مجموعة من

---

(٣٢) حكاية مغترب ص٣٩٤ .
(٣٣) حكاية مغترب ص٩٥ ، نبضات ص٢٧ ، ادبنا وادباؤنا ص١٤ ، وينظر ديوان صيدح ج١ ص١٦١ ، أعمال القروي النثرية ص٣٠٧ .
(٣٤) الاجزاء ٨ـ١٢ (السنة ٣٧) اغسطس ـ ديسمبر سنة ١٩٧٨ ص٦٣ .
(٣٥) ذكر البدوي الملثم في كتابه الناطقون بالضاد ج١ ص٤٠٨ انه طبع عام ١٩٥١ وليس ذلك صحيحا .

زفرات الألم القومي والايمان العربي ، وأهداه الى « كل عربي اللسان والوجدان » . وقد زين الديوان بلوحات للفنان العراقي جميل حمودي . وهو في أربعين صفحة من القطع الكبير .

٣ ــ أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية : وهو محاضرات ألقاها في القاهرة سنة ١٩٥٦ على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية وطبع في السنة نفسها ثم طبع ثانية في بيروت سنة ١٩٥٧ وثالثة سنة ١٩٦٥ . وهذا الكتاب من أهم مصادر الأدب المهجري لان مؤلفه عاش هذا الادب وتقلب معه أكثر من نصف قرن ، وهو في ٦١٥ صفحة .

٤ ــ حكاية مغترب في ديوان شعر : صدر في بيروت سنة ١٩٦٠ ، وأهداه الى « كل عربي اللسان والوجدان » ، وهو تسعة أقسام :

الاول : آفاق .
الثاني : أشواق .
الثالث : حكاية مغترب .
الرابع : أصداء .
الخامس : أهواء .
السادس : تراويح .
السابع : تباريح .
الثامن : أكباد .
التاسع : أزباد .

ويضم هذا الديوان كثيرا من القصائد التي تضمنها ديواناه النوافل ونبضات ، وهو في ٤٤٦ صفحة .

٥ ـ التراويح : ذكره البدوي الملثم[٣٦] ، وقال انه مخطوط ، ولعله القسم السادس من ديوانه « حكاية مغترب » .

٦ ـ ديوان صيدح : صدر الجزء الاول منه في لبنان عام ١٩٧٢ ويضم بعض قصائد « حكاية مغترب » وقصائد أخرى وهو قسمان :

الاول : حكاية مغترب

الثاني : حكاية مغترب مع أسرته .

وهذا الديوان آخر طبعة لشعر صيدح وقد أجري فيه تعديل وحذف وزيادة ، ولم نطلع على الاجزاء الاخرى ولعلها لم تصدر . والديوان في ٢٣٨ صفحة من القطع الصغير .

٧ ـ رواية عن المهاجرين : قال صيدح : « وقد شرعت بكتابة الرواية وجمعت لها الأسانيد من أفواه المهاجرين الماهدين أصحاب الثراء الباذخ اليوم ، ولكن واحداً منهم لم يسمح لي بذكر اسمه في معرض الحكاية فعدلت عن اصدار الكتاب »[٣٧] .

٨ ـ الشعر العربي المعاصر : قال أحمد قبش : « وفي باريس أصدر موسوعته الكبرى باللغة الفرنسية « الشعر العربي المعاصر » عام ١٩٦٨ »[٣٨] .

---

(٣٦) الناطقون بالضاد ج١ ص٢٠٨ .
(٣٧) ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية ص٣٥ .
(٣٨) تاريخ الشعر العربي الحديث ص٣٢٤ .

٢ - الوطـن

هاجر جورج صيدح الى مصر وهو صغير ، وهناك كدح واشتغل بالتجارة مع بعض أقاربه ، وهاجر الى فرنسة ولم يستقر به الحال ، وهاجر الى فنزويلا ثم الارجنتين وعاد الى الوطن ، ثم هاجر هجرته الاخيرة الى باريس وفيها مات . وكانت هذه الحياة الصاخبة والانتقال من بلد الى آخر والصراع الدائم من أجل الحياة الحرة الكريمة تدفع الى الحنين والأمل بالعودة بعد أن وجد الشاعر حياته غير مجدية في ديار الغربة ، وانه على الرغم من غناه ظل يحس بفراغ في روحه لا يملؤه إلا الوطن الذي تركه وهو صغير .

وقسا المحيط على الأديب فروحـه متعذب فيه عذاب النار
شرّ التغرب أن تعيش مغربا بالعقل والاحساس والأفكار[٣٩]

وفي دواوينه ولا سيما « حكاية مغترب » يروي قصة هجرته فيقول في قصيدة « الخطوة الاولى »[٤٠] التي نظمها في القاهرة سنة ١٩١٢م :

هجرت ربوع الشام والقلب مثخن جريح سهام كان أقتلها الهجر
ويممت قطر النيل أطلب منهلا ومثل غليلي لا يبرّده قطر
إذا البلبل الغريد فارق روضه فكل رياض الكون في عينه قفر

---

(٣٩) حكاية مغترب ص١٠٥ ، ديوان صيدح ج١ ص٦٥ ، ديوان النوافل ص٨٨ .
(٤٠) حكاية مغترب ص١٥٧ ، ديوان صيدح ج١ ص١٤ ، ديوان النوافل ص٢٣ .

ويتحدث عن بلاده التي هجرها :

سقى الله جناتٍ سقتني حنانها كأم على أحضانها الولد الغر
سكرت بها في فجر عمري وها أنا صموت ولا فجر هناك ولا سكر
يحاول قلبي لمسة من خيالها فيحسد فكري حين يلمسه الفكر

ويقول في مصر التي نزلها من أجل لقمة الحياة :

نزلت دياراً لا سمائي سماؤها ولا أرضها أرضي ولا شعرها الشعر
ولكنّ أهلي في حماها وانهم حُماتي على الجلى إذا خانني الدهر
دعوني الى جدّ الحياة وكدّها فقلت لأحلام الصبا قُضي الامر
أنا بينهم كالبدر أشرق نوره وظلمته في قلبه ذلك البدر

ويودع الشام :

وداعاً دمشق الشام لو ترفق النوى لأورق عودي فيك وانعقد الزهر
واني لطير من طيورك لم تزل تجاذبني تلك الحدائق والنهر
ألا إن آمالي ورود تفتحت مع الفجر ساعات فصوّحها الظهر

والشاعر أسير هذه الغربة ، ولكنه يحب مصر التي أكرمته وبرّت به وجمعته ببني أمه :

فما أنا راضٍ عنك إن حفّني الغنى ولا أنا ماضٍ عنك إن عضني الفقر
أضفت بني أمي واني أسيرهم أحاطت بي النعمى ونغصني الأسر
لقد ملكوا أمري وبروا بذمتي عفا الله عنهم أرهقوني ولم يدروا
أرى في مقامي بين أهلي غضاضة إذا فزت لا فخر وإن خبت لا وزر
وحباً بهم يا مصر جافيت موطني ووطنت نفسي أن أحبك يا مصر

وفي القاهرة حنّ الى دمشق ونظم عام ١٩١٢ قصيدة « الى شاعر الشام »[٤١] جرجي موسى الحداد :

---

(٤١) حكاية مغترب ص٢٠٠ ، ديوان النوافل ص٢٥

ساجع النيل متى اشتد الهجير طر أمامي
لديار الأهل للروض النضير للشـآم
فهناك الحب والظل الظليل والاغاني
وهناك الماء عذب سلسبيل في المغاني
وهناك امرحْ وغرّدْ ما تشاء طربا
ربّ مصغٍ شاقه منك الغناء فصبا

وأرسل اليه قصيدة « نسمة الفجر »(٤٢) وفيها يقول :

باكرتني فذكرتني الشآما حين باحت أنفاسها بالخزامى

ويتحدث عن ذكرياته في الشام ثم يقول :

يا صديق الفؤاد بعداً لدار ألزمتني اصطحابها إلزاما
هرم المالُ لست من عابديه ان غيري للمال صلى وصاما
لست تروي يا نيل آمال نفس ذاويات سقيتها الآلاما
غفر الله ما أثمت ولكن لست أنسى لطالعي آثاما

وقام برحلة الى سورية ولبنان عام ١٩١٩ وزار دمشق ونظم في ٢٨ آب :

ما للنعيم قصيرة أيامه لكنني متزوّد بوعود
حيث الطبيعة خالدات آيها آيُ الغرام حريّة بخلود

وعاد الى مصر من رحلته ونظم في ١٣ أيلول وهو في القطار :

يا يوم ودعت العشيرة والحمى والكل يعجب من صلابة عودي
وكأنني لدمشق غير مفارق وكأنني في مصر جدّ سعيد

---

(٤٢) حكاية مغترب ص٢٦٦ ، ديوان النوافل ص٣٢ .

حتى أتت وبكت فأبكتني دماً ... وسمعت حشرجة الهوى الموؤود
قالت نساء الحي حين رأيننا ... هذا وداع شهيدة لشهيد[43]

ولم ينسَ دمشق بعد أن خرج من مصر خاسرا لا يملك شيئا ، وفي باريس نظم عام ١٩٢٥ قصيدة « حنين الى دمشق »[44] :

ذكرتها نائيا والدمع هتّان ... أمّ تناست بنيها حالما بانوا
في قلبها من ندى أجوائها شبم ... وفي فؤادي لذاك القلب نيران
شتى الموارد يجري بين أنهرها ... من الحنوّ على الاهلين غدران
الدهر أوردنيها ثم أصدرني ... كأنه لجوى الظمآن ظمآن
لم يغنني فيضان النيل عن وشل ... منها ولم يروني في السين طوفان
دمشق إن قلت شعراً فيك ردّده ... قلبي كأن خفوق القلب أوزان
أنا وليدك يا أماه كم ملكت ... ذكراك نفسي وكم ناجاك وجدان
أنا عليل النوى لا برد ينعشني ... ولا نسيم عليل منك ريّان
منذ افترقنا نعيم العيش فارقني ... والهم والغم أشكال وألوان
لا المال أنجدني لا الحال أسعدني ... والرب أهملني والانس والجان

ويعاتب دمشق :

يا جنة الله غاضت في خمائلها ... منابع الرزق هل يرضاك جنّان
أنهارك السبع ما درّت لنا عسلا ... ولا جرت لرضيع الثدي ألبان
ضاقت سماؤك فالأطيار نافرة ... لم يثنها إلفها في البان والبان
تحدو بها لطِلاب الرزق مسغبة ... كأنها في مراقي الجو عقبان
خضر مراعيك فالأنعام أشبعها ... خصب وجاع أمام الخصب رعيان

---

(٤٣) ديوان النوافل ص٢٠ قصيدة « يوميات سائح » .
(٤٤) حكاية مغترب ص١٢٦ ، ديوان النوافل ص٦٩ ، وفيه قال انها « منظومة على اثر نشر قصيدة شوقي في دمشق » ومطلعها :
قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا ... مشت على الرسم احداث وازمان
(تنظر القصيدة في الشوقيات ج٢ ص١٢٢ وهي بعنوان «دمشق») .

ويمر العيد وهو في فرنسة فينظم سنة ١٩٢٥ قصيدة « العيد في المنفى »[٤٥] ويبدع في تصوير حالة الغريب ، ويصف الاحتفال بالعيد وصفا بديعا ، ولكن أين منه هذا العيد وهو الشقي الذي جاء الى فرنسة كادحا ؟ ولم يسعفه ما حوله من بهجة فصرخ وهو في غربة لا يجد فيها من يعينه :

أين اخواني وأين الصحب أين   أين أهلي أين أمي وأبي
أين أيامي بأرض الهرمين   ليس لي في غيرها من أرب
ليت لي صوت صديق أو عشير   يؤنس الوحشة إن طال السهر
إيه خلاني لدى العيش الغرير   هل لدى البأساء فيكم من ذكر
أنا في وادٍ وأحبابي بواد   حسبي الله أأشجى لخلي
أرخص البين لهم دمع الفؤاد   بعدما استنزف دمع المقل
لهم اللهو ولي الذكرى تثير   في حنايا الصدر وخز كالأبر
قلبهم أقفر من صوت الضمير   واكتفى بالمال حظاً فعمر

وضرب في مناكب الارض وهاجر الى فنزويلا واستقر فيها ، وفي عام ١٩٢٧ نظم قصيدة « يا بني المهجر »[٤٦] في يوم تدشين نادي جمعية الاحسان في كراكاس ، وفيها يخاطب نسمة الفجر :

اقطعي البحر ومرّي بالخزامى   وانتحي يا نسمة الفجر الشآما
واهبطي في غوطة الشام شذاً   واعتلي للارز برداً وسلاما
واحملي الطيّب من أشواقنا   للحمى لا تحملي منها الضراما
حظنا من دهرنا كأس النوى   نحتسيها وتحايانا ندامى
آية التشتيت فينا نزلت   كي يلاقي يافث ساماً وحاما

---

(٤٥) حكاية مغترب ص١١٥ ، ديوان صيدح ج١ ص٣٥ ، ديوان النوافل ص٧٣ .
(٤٦) ديوان النوافل ص١١١ .

فامتطينا البحر واجتزنا المـدى هـُيَّما ما يسـع الكون هيامـا
وانتشـرنا في نواحيه سـنا وانتشـرنا في نواحيـه ظلامـا
جـادك الغيث متى الغيث همى يا بقاعـاً يا ضياعـاً تترامى
لم تغيبي عن بنين حضرت فيهم الذكـرى وان غابوا مقاما
إن نسـانا الأهل لن ننساهم إن للأهل وإن جـاروا ذماما

وأخذ يتجول تاجـرا ، ومن جبال لوس اندس يبعث عام ١٩٣٠ الى صديق لبناني برسالة فيها قصيدة « جولة التاجر »(٤٧) يصف فيها رحـلته الى تلك الجبال الشاهقة ويذكر أهله ويحن اليهم :

صـاحبي مهما أجد في جولتي من سلوّ لست عن أهلي بسالِ
إن للاحباب عندي وحشـةً رافقت سيري كرحل من رحالي
نفرت روحـي من الروح التي في محيطـي وأبت كل اتصـال
حولي الناس الى المـال سعوا وأنا أسـعى الى قنص خيـال
عبثاً سـاءلت نفسي هـدنة ريثما أجمع ما يصلح حـالي
كلما غامـرت جاءت خيبتي من وثوب الشعر خطـاراً ببالي
فتراني قاعـدا عن مطـلبي أقطف الأحلام من روض الجمال

وكانت أحواله المالية في فنزويلا أحسن ما يكون ، وكانت سمعته الأدبية فخراً للعرب ، ولكن البلبل الصيدح لم ينس وطنه ، وظل يحن اليه ويأمل العودة ليقبل ترابه ويجدد ذكرى شبابه . يقول وهو في كراكاس سنة١٩٣٨ وقد أرسل برسمه الى أنسبائه وأوصاه :

أوصيك يا رسـمي بأحبابي فان نظروا اليك ابسم لهم متحببـا
واهنأ بقربهم الذي هو مـأربي طول الحيـاة ولم أنلـه مأربا

---

(٤٧) ديوان النوافل ص١٢٤ ، ديوان صيدح ج١ ص٥٩ .

أدّ التحية إن ذكرت رسالتي فلربما ذكـروا بها المتغربـا
ألله أعلم هل أعود الى الحمـى وأراك في صدر المكـان مرحبا
أم يسبق النبأ المَشوم رغـائبي فيقيم أهل الدار حولك مندبا(٤٨)

ويبث هواه للوطن ويتعلل بمن يرى من أبنائه فيقول عام ١٩٤١ وهو في زيارة لسان باولو :

أهوى بلادي وقد شط المزار فان صادقت أبناءها في غربتي حسبي

ويفخر بأبناء وطنه الذين أقاموا أدباً رفيعا في المهجر :

ما كنت أجهل من آثاركم أدباً يطوي المهاجر من قطب الى قطب
لكنّ من زاركم أدرى بما جمعت هذي السماء من الاقمار والشهب
دنيا من المال والاعمـال مقبلـة ودولة العـزّ للاقلام والكتب
أحببت جالية نيويورك قبلكـم لما عرفتكم أشركْتُ في الحب(٤٩)

ويقول في قصيدة « العام الجديد » (٥٠) :

أيعـود للوطن الغريب النائي يا رب هوّنهـا على الغربـاء
حتى متى يبري الحنـين صدورهم والعـام يتلو العـام دون لقـاء
وكأنهم أخذوا على طـول النوى عهداً لانفسهم بطول بقـاء
يا سـائل الأيـام تحقيق الرؤى أبشر جـوابك في فم العنقـاء
بين المهـاجر والديار حـوائل غير اجتيـاز البحـر والبيـداء
إن المطالب والمواجب والمنى شدّت من الطرفين حبل رجـائي
والنفس حائـرة لدى شـهواتها طمعي أمامي والسـنون ورائي
والعمر أضيق فسحة من أن يعي دنيـا من الاطمـاع والأهـواء

---

(٤٨) حكاية مفترب من ٢٠٤ ، ديوان صيدح ج١ ص٢٠٥ .
(٤٩) حكاية مفترب ص١٧٤ ، ديوان صيدح ج١ ص٨٥ ، ديوان النوافل ص١٠٠ .
(٥٠) ديوان النوافل ص١٤٨ .

وينظم في كراكاس سنة ١٩٤٧ قصيدة « بردى »[٥١] ، وفيها يصوّر حنينه الى الوطن :

حلمت اني قريب منك يا بردى … أبلّ قلبي كما بلّ الهشيم ندى
ونصب عيني من البلدان أبدعها … سبحان من أبدع السكان والبلدا
دمشق أعرفها بالقبة ارتفعت … بالمرجة انبسطت بالشاطىء ابتردا
بالطيب يعبق في الوادي وأطيبه … في تربةالارض غذّاها دمُ الشهدا

ويبث دمشق هواه وهو يتحدث عن جناتها ، ويأتي الفجر ويصيح الديك فيصحو الشاعر ولا يرى شيئا مما رآه في الحلم :

أفقت لم أجد الانهار راقصة … والروح مصطفقاً والعندليب شدا

فماذا رأى :

حولي حطام يعاف العيش مالكه … إذ لا يرقّه نفساً منه أو جَسَدا
وموطن منكر سادت زعانفه … فيه الرطانة فصحىوالضلال هدى

ثم يبث شكواه :

ما لي احتملتسنين البين مصطبراً … واليوم لا صبر لي فيها ولا جلدا
ضممتطيف الأماني حين زار فلم … يترك على الصدر إلاّ الهموالكمدا

ويفخر عام ١٩٤٧ بنسبه فيقول :

وأنا ابن سوريا الفخور بنسبتي … نسبي الى لبنان فخر ثانِ
غذيت روحي من نسائم ارزه … طفلا فشبّ الحب ملءجناني[٥٢]

ويحل عام ١٩٤٨ وهو في بوينس ايرس وينظم قصيدة « عام جديد »[٥٣] :

---

(٥١) حكاية مغترب ص١٣٧ ، ديوان النوافل ص١٨٨ .
(٥٢) ديوان النوافل ص١٩٨ .
(٥٣) حكاية مغترب ص٣١ ، نبضات ص٧ .

أيمدّ في عمري الى يوم به ... أحدو الركاب الى ربوع الشام
يا عام أسعد من تشاء وخصّ بالنعمى منازل ذمتي وذمامي
أدعو بسقياها ولي كبد على ... جمر الغضا أحرى بصوب غمام
لكنني راضٍ لنفسي بالظما ... واذا ارتوى أهلي فلست الظامي

ولم تكن الغربة وحدها تدفع الشاعر الى الحنين ، وانما هو حب الوطن ، ولولا لقمة العيش ما تركه ، ولو كان الأمر بيده ما جعل السفينة ترسو في ديار الغربة ، فهو لم يغادر بيته وأهله وصحبه في مصر لولا « حطمة مالية حلّت به فأمّ مجاهل أميركا يستر فيها حاله عن عيون الشامتين، وكأنه الاسد الجريح أحسّ بدنو الاجل فتسلل من عرينه الى الادغال البعيدة حيث لا عين ترى خور عزيمته واحتضار هيبته »[٥٤] .

وقصيدة « وطني »[٥٥] التي نظمها عام ١٩٣٠ أي بعد وصوله الى كراكاس بثلاث سنوات تعبر عن وطنيته وحبه للشام :

وطني أين أنا ممن أود ... أوَ ما للحظ بعد الجزر مدّ
مارست حيث رست فلك النوى ... لو أباحوا ليَ في الدفّة يد
غاب خلف البحر عني شاطئ ... كل ما أرّقني فيه رقد
فيه سلمى[٥٦] فيه جنات الهوى ... فيه طير الأنس تدعو من شرد
فيه مرّ العيش يحلو وأرى ... في سواه زبدة العيش زبد

ويناجي وطنه :

وطني ما زلت أدعوك أبي ... وجراح اليتم في قلب الولد
ما رضيت البين لولا شدة ... وجدتني ساعة البين أشد

---

(٥٤) ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية ص٢٨ .
(٥٥) حكاية مفترب ص١٣٣ ، نبضات ص٢٠ ، وفيه انها نظمت عام ١٩٤٨م .
(٥٦) كذا في حكاية مفترب . وفي نبضات : اهلي ، وفي ادبنا وادباؤنا ص٢٨ : دبعي .

فتجشمت العَنا نحو المنى وتقاضاني الغنى عمراً نفد
هل درى الدهر الذي فرقنا أنه فرّق روحاً عن جسد
جعل البرهة من أعمارنا لتلاقينا وللبين الأبد
وطني حتى مَ ترتد الصبا دون أن تحمل من سلواي رد
ضاعت النجوى وخابت كتبي ويح قلب ذاب من قلب صلد
وطني طوّحت بي في مهجر يرهق الحرّ بأنواع النكد
يخفض العالي من المال خلا ويقيم المال فيه من قعد[٥٧]

ويحيي حبيب اسطيفان بقصيدة طويلة ويتذكر دمشق فيخاطبه :

ترديد ذكر دمشق على حديثك دوّم
لو القرنفل واع ما قلت منه لبرعم
أكبرت فيك وفاء بجلق يتجسم
ولي فؤاد مشوق أخبارها يتنسم
فارقتها كطريد يساق للنفي مرغم
وطيفها نصب عيني يستنزف الدمع عندم
ناجيتها في الليالي نجوى الجريح لبلسم
ترى أتاها سلامي سلام قلب تضرّم
أم النسيم رسولي مسّ السلام فأحجم
أقسمت بالعود يوماً والدهر بالبين أقسم
حبي لها بنوي كتمته بين لوّم
لما وصفت رباها فضحت سر المتيم[٥٨]

---

(٥٧) تقول الدكتورة عزيزة مريدن في كتاب « القومية والانسانية » ص٨٨ ، ان هذه القصيدة تعد « فريدة من نوعها لانه لم يمزج فيها عواطف الحب بطبيعة وطنه بل جعل حنينه الى وطنه من أجل محبوبته فحسب » .

(٥٨) ديوان النوافل ص١٣٨ ، وهي قصيدة « حبيب اسطفان » المنظومة عام ١٩٤٢ .

ويظل مع وطنه وهو في غربته فيناجيه ويبكيه في المحنة ، وقد عاث الفرنسيون فيه فسادا وأهانوا كرامته باحتلاله . وفي عام ١٩٤٥م قصف الفرنسيون دمشق بالقنابل فنظم صيدح قصيدة « دمشق الجريحة »(٥٩) وألقاها في اجتماع عام عقده أبناء الجاليات العربية في كراكاس :

هتكوا الستر وهمّوا بالصفيه
أكذا يستام عِرض الهاشميه
ليس هذي أمة بل أمويّه
ذات خدر عصمته المشرفيه
خصّها الله بروح علويه
انها تأبى ويأبى البشريه
أن تراها للفرنسي مطيه

ويصف ما جرى لدمشق من القصف :

جنة الدنيا أأقريك السلاما
وعلى الغوطة نار تترامى
صيّرت أروقة العزّ رغاما
وجرى في بردى دمع اليتامى
عائما حيث دم الآباء عاما
ليت شعري يا دعاة المدنيه
ما الذي أبقيتم للهمجيّه

ويدعو وطنه الى الأخذ بأسباب القوة لانها الوحيدة التي تلقن المستعمر درسا قاسيا وتعيده الى الصواب إن كان له رشد وصواب !

---

(٥٩) حكاية مغترب ص٣٢٦ ، النوافل ١٥٦ .

وطني المنكوب إن تُحْصِ الضحايا
أحصني أني جريح في حشـايا
لست أرثيك بترديـد الشكايا
بل أهاديك سـلاما وسـرايا
خـُذْ عن المدفع دفعـا للرزايـا
لغـة المستعمرين الأعجميـه
إن حفظناها حفظنا الضاد حيّه

ويصور موقف الجوالي العربية في المهجر فيقول :

يا دمشق الشام يا مهوى الجمـال
في سماك اليـوم أرواح غـوالِ
قد أعارتها جناحيهـا المعـالي
فأتت زائـرة هـذه الجـوالي
تبعث النخوة في صـدر الرجـال
وتناجي كـل ذي نفس أبيّـه
كن وفيـاً مثلما كنت وفيّـه

وتجلو القوات الغاصبة عن سـورية وينظم قصيدة « جلوة الحرية »(٦٠) وهو في بوينس ايرس عام ١٩٤٨ :

فلق الصبح من سـماء دجيه ... فالـق الحب والنوى للبريـه
وجلاهـا من الخباء عروسـاً ... صانها الطهر من غرام الوصيـه
جلوة النصر دفقة الفجر رؤيـا ... تتهـادى على العيون النـديه
انها السـاعة التي ارتقبتهـا ... مقلة الشرق منذ عهد أميـه

---

(٦٠) حكاية مغترب ص٣٢٩ ، وينظر ادبنا وادباؤنا ص١٣٤ ، نبضات ص١٢ .

ساعة المجد يظمأ الدهر حتى ... يستقيها من العروبة ريّه
هيئي يا دمشق أقواس نصر ... من عناق الاعلام والمشرفيه

ثم يقول :

يا حداةً لهودج النصر ضجّوا ... بدعاة للوحدة العربية
وحذاراً يا حامليه فأنتم ... تحملون الكرامة القوميه
أوقفوه أمام قبر صلاح ... أسمعوه المدائح النبويه

ثم يقول :

زغردي يا حرائر الشام هذا ... مهرجان لاختك الحريه
خطبوها في ميسلون فأدى ... يوسف المهر بالدماء الزكيه
وتولى الكتاب شكري وأملى ... صيغة العقد فارس العبقريه
عرفت خدرها فعادت اليه ... بعد ما طهروه بالوطنيه
دخلته على العروبة جواً ... خالصاً من شوائب أجنبيه
يتعالى الأذان حيٌّ عليها ... فتثني الاجراس في المريميه

ولا ينسى فلسطين وهو فرح بعيد الجلاء :

المروءات هنأتها بثغر ... حضري وقبلة بدويّه
وتلاقت جاراتها في هواها ... فالقضايا توحدت في قضيه
إن أراقت يوم الزفاف دموعا ... ففلسطين بالدموع حريه
في جوار الافراح نوح الحزانى ... يبعث الشجو في النفوس الأبيه
أي صدر يطيب والظهر دام ... بحراب السفاح والبربريه
فليكن أخذ ثأرنا من عدانا ... قسم العيد في دمشق الوفيه
حلف المجد ما تجلّى بيوم ... مثل يوم الجلاء في سوريّه

وأقامت سورية علاقات سياسية ووصلت الى بوينس ايرس عام ١٩٥٠ أول بعثة ، فسرّ صيدح ونظم قصيدة « سورية »(٦١) :

الأمانيّ بشر المتمني آذنتنا بالجني بعد التجني
ما جفتنا دمشق لكن تأنت وجميل من الجميل التأني
وعدت فالرجاء حلو الثنايا ووفت فاللواء حلو التثني

ويعتز بانتسابه اليها ويفخر :

أنا فيها سماؤها وثراها والهواء الذي تنشّقُ مني
أنا في قلبها غريق دماها وهي عيني على الوجود وأذني
أنا في ميسلون ظل فتاها أنا في قاسيون باب" لعدن

ويأتي الى دمشق سنة ١٩٥١ بعد غياب دام اربعين عاما ، مرافقاً مندوب الجنرال بيرون في مهمة لدى رئيس الجمهورية السورية وينظم قصيدة « في دمشق الشام »(٦٢) :

عُدْنا الى فردوس أحلامنا بذكريات الدار والملعب
نرى بأم العين أوضاعه وننقل الاخبار للغيب
هذا عقيق الروض ذي فضة الانهار هذا ذهب السبسب
هنا المراعي كم سرحنا بها أضحت بلا مرعى ولا ربرب
الدرب قدّ الغاب في المنحنى والقصر هدّ الكوخ في المضرب
والخصب في الوادي على غير ما نعهده في الزمن المجدب

وينظم سنة ١٩٥١ قصيدة « فراق الوطن الأم »(٦٣) :

---

(٦١) حكاية مغترب ص٢٣٧ ، نبضات ص٢٩ .
(٦٢) حكاية مغترب ص١٧٦ ، ديوان صيدح ج١ ص١٢٢ ، نبضات ص٣٠ .
(٦٣) حكاية مغترب ص١٨٠ ، ديوان صيدح ج١ ص١٣٤ ، ادبنا وادباؤنا ص٥٩ .

يا مسقط الرأس والاحلام تجمعنا حاشا تغيرني في حبك الغير
أنسى يميني ولا أنساك يا وطنا فيك ابتدا ليته فيك انتهى العمر
أوصيك بالروح رتبها متى انطلقت الى ظلالك حيث النهر والشجر
حيث القباب على الاجداث حاضنة مجد الجدود الذي ضاقت به الحفر

وفي زيارته هذه لسورية ولبنان تلمس حاجة النشء العربي الى مساعدة المغتربين مساعدة عملية فرأى « أن تؤسس في بيروت جائزة تعليمية سنوية أطلق عليها مع نفر كرام من المغتربين اسم « جائزة المهاجرين الثقافية » وهدفها تشجيع الطلاب المبرزين وتمهيد الطريق أمامهم مكافأة لنشاطهم وجهودهم وتقديراً للمؤسسات التي ينهلون من معينها التربية والمعرفة » . وكان من اريحيته « تعهده تأليف لجان دائمة في المهجر لتأمين الحصول على قيمة هذه الجائزة الثقافية في كل عام باستمرار وارسالها الى الوطن . واختار سيادة المطران ايليا الصليبي متروبوليت مدينة بيروت قيماً في الوطن على المال وتوزيعه على الطلاب الأوائل ، تساعده لجنة مؤلفة من كبار رجال التعليم والادب في لبنان . وتحقيقاً لهذه الفكرة النبيلة افتتح لائحة التبرعات بخمسة آلاف ليرة لبنانية »(٦٤) .

وحيا دمشق بقصيدة « أم النسور »(٦٥):

أمّ النسور تفرسي وتأملي أعرفت وجه القادم المتهلل
هذا فتاك الى متى نكرانه أوليس في لبد سماتُ الأجدل
ما عابه الجسم المهيض تبدلت قسماته والقلب لم يتبدلِ
هو من بزاة العرب جشمه السرى وأحاله صرف الزمان الحوّل

---

(٦٤) الناطقون بالضاد في اميركا الجنوبية ج٢ ص٦٩٤ .
(٦٥) حكاية مغترب ص٢٤٥ ، ديوان صيدح ج١ ص١٢٧ ، نبضات ص٣١ .

ولم يكن حنين صيدح الى دمشق وحدها وانما كان حنينه الى كل المدن التي استقر بها وعاش فيها، فهو يحن الى مصر التي هاجر اليها صبياً، وما أن يصل الى ديار الغرب عام ١٩٢٥ حتى ينظم قصيدة « بحيرة ليمان »[٦٦] ، وفيها يعلن حنينه الى مصر :

أو بعد مصر يطيب لي عيش ويصفو مشرب
هيهات أن يستعذب اللذات من يتعذب
لم يبق في قيثارتي وتر يرفّ ويطرب
أسنى النجوم متى هوى هو في النواظر غيهب

ويتجه عام ١٩٢٦ الى سان ريمو في ايطالية ، وينظم قصيدة « على الرسم ـ الى عشير الصبا في مصر »[٦٧] ويبث فيها شكواه ويصور حنينه الى مصر :

لكن قلبي حزين عن مصر لا يتسلى
في يقظتي ورقادي خيالها يتجلى
قد ضاق بالبحر صدري واشتاق في النيل علاّ
إن قلت آن إيابي أجابني الدهر كلاّ
وما حياة غريب يحيا بليت وعلاّ

ويقول لصاحبه :

فان أتاك كتابي وأنت في دار ليلو
عرّض بذكري وشعري واجعل لرسمي محلا
حسبي المثول لديها عبداً بحضرة مولى

---

(٦٦) ديوان صيدح ج١ ص٢٦ ، ديوان النوافل ص٦٠ .
(٦٧) ديوان النوافل ص٨٢ .

وفي قصيدته « حنين الى مصر »(٦٨) تصوير لعواطفه نحو البلد الذي قضى فيه ردحا من الزمن :

قالت تساءل عني جيرة الوادي ... متى يعود الينا شاعر النادي
طال التغرب ردّ الله غربته ... وردّ للنيل صوت البلبل الشادي
لبيك يا مصر قد ناديت ذا مقة ... لا يذكر النيل إلاّ والحشا صادي
كنت الضحى في حياتي قبلما انحدرت ... شمسي الى الغرب في منأى عن الضاد
ما أنت في شرعة الأحباب قاهرة ... بل أنت قاهرة المستأسد العادي

ويذكر شبابه فيها :

في تربك الطهر ذوّبت الشباب فهل ... زكا على الروض بعدي زهر أكبادي
لا تجحدي يا نخيلات الصعيد دمي ... والطلع نوّر مصبوغا بفرصاد

وعاد الى مصر سنة ١٩٥٦م لالقاء محاضرات على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية عن الأدب المهجري(٦٩) ، وأقيم له حفل تكريم ، وألقى قصيدة « تكريم في مصر »(٧٠) :

عاد النديم لمجلس الاقداح ... الراح تجذبه وغير الراح
في الحيّ سمار وصداح ولي ... شوق الى السمار والصداح
صالحت دهري واغتفرت ذنوبه ... لما حباني بلسماً لجراحي
وكتبت للوطن الحبيب وصيتي ... أشهدت فيها غربتي وكفاحي
أفدي الكنانة ما أحب كنانها ... وأبرّها بالطائر السيّاح

وختمها بقوله :

آليت بعد ضياع عمري في الدجى ... أن استضيء ولو حرقت جناحي

---

(٦٨) حكاية مغترب ص١٤٣ ، نبضات ص١٥ .
(٦٩) طبعه بكتاب سماه « أدبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية » .
(٧٠) حكاية مغترب ٢٦٩ ، ديوان صيدح ج١ ص١٤٢ ، ادبنا وادباؤنا ص٥٥ وما بعدها.

وزار باريس عام ١٩٥١ وألقى من اذاعتها قصيدة « مدينة الشهد »[٧١] وفيها يذكر أيامه التي قضاها عندما هاجر اليها عام ١٩٢٥ ، وزارهـا عام ١٩٥٢ ونظم مقطوعة « واحسرتاه »[٧٢] . وحنّ الى الارجنتين بعد عودته منها عام ١٩٥٢م وأهدى اليها قصيدة « وحشة »[٧٣] .

وصور الغربة وما يعاني العربي منها في بلاد عبدت المال ، وها هو في نيويورك عـام ١٩٣٩ ينظم قصيـدة « بـلاغ »[٧٤] ، ولعـل قصيـدة « المهاجر »[٧٥] أوضح صورة رسمها للجوال الذي هجر بلاده وألقى بنفسه في مجاهل امريكة حيث الصراع مع الحياة :

ملّ عيش السلم في ظل السلامه — فمشى للبحر يستوحي غرامـه
ركب الاخطـــار فاستسهلها — مركبا واجترف الموت أمامه
من جهـام السحب يستل الحيا — عاصراً بالكف أثـداء الجهامـه
من رآه في المفـازات رأى — أسـداً يستنجز الغاب طعامـه
ولـه أجنحـة النسـر اذا — نفـر الرزق وأطراف النعامه
كيف يرتاح وتذكار الحمى — كلما أقعـده الجهـد أقامه
كم هـذى مستصرخاً لبنانه — وكم استعدى على البين شآمه
وتأسّـى بالليالـي سترت — ما أباح الدمع من سرّ الندامه
برجه العـاجي من يقطنـه — إنه يقطن بالروح خيامـه
ويزيـح المجـد عـن ناظـره — ليرى أشباح نجد وتهامـه
كل نصـر حـازه دبّجـه — بسمات عربيات الوسامه
ورواهـا سيرة عن جـدّه — حفزت نفس عصام للعظامه

---

(٧١) حكاية مغترب ص١٥٢ ، نبضات ص٣٤ .
(٧٢) حكاية مغترب ص٣١٤ ، نبضات ص٣٦ ، أدبنا وادباؤنا ص١٦٨ .
(٧٣) حكاية مغترب ص٢٨ ، نبضات ص٢٧ .
(٧٤) حكاية مغترب ص١٠٥ ، ديوان صيدح ج١ ص٦٨ ، ديوان النوافل ص٨٨ .
(٧٥) حكاية مغترب ص٨٦ ، نبضات ص٥ ، الناطقون بالضاد ج١ ص٨ .

يبعث المال سلاما للحمى فالحمى تأبى بلا مالٍ سلامه
رفع الهامة باستقلاله عجباً هل قبْلَه طأطأ هامه
عانق البيرق دهراً قبلما ركز الحكام في القصر سنامه
قل لمن يحميه في غربته إن من أعدائه اللدّ غرامه
لو تسلّى بالدنى عن قومه لم تعكر جو منآه غمامه
لا تلمه لابداً في بقعة قد تبنته على شرع الكرامه
انها أندلس ثانية كاد يستأثر فيها بالزعامه
قدرته فحبته وطناً وتناسى الوطن الأم مقامه
رب أحجار من الشرق انتفت أصبحت في حائط الغرب دعامه
وعظيم شاب في دار النوى لن تلاقي داره إلاّ عظامه
كَمَّتِ الاوطان فاه فاعتلى منبر المهجر يستوفي كلامه

وهذه القصيدة صرخة كل مهاجر اخضرت الآمال أمامه قبل هجرته ولكنها أمحلت حينما وصل الى ديار الغربة ، فندم ولات ساعة مندم وأصبح أمام الامر الواقع لا يستطيع أن يعود لئلا يشمت به أهله ولا يقدر على أن يحيا حياة رغيدة . وقد صور جورج صيدح المغتربين أصدق تصوير فقال وهو يتحدث عن هجرة الأدباء : « إن دعاة الاغتراب عن الوطن يفترضون الهجرة سياحة موقتة هدفها الاستفادة من ثمرات الارض الغريبة ومن علوم سكانها ثم العودة الى الدار للتمتع بالفائدة الحاصلة ، وهم يفترضونها أيضا مفلحة على طول الخط كأن وراء كل سعي حثيث نجاحا مؤكدا ينتظره . ما أبعد هذا الافتراض عن واقع الهجرة في العصر الذي نعيشه . هجر لبنان مليون من أبنائه ومضى قرن كامل على هجرتهم فلنسأل كم كان عدد الناجحين من المليون ؟ واحداً في المائة ، وكم كان عدد العائدين؟ واحداً في الالف . أما الباقون فلا يزالون في المهاجر يدافعون

أشباح الفاقة والعوز في أعمال تستنزف العافية والشباب ولا تفتح بابا للرجاء بحياة أفضل . إن وراء كل مثرٍ عظيم يعود الى وطنه بالجيب العامر وبسيارة فخمة مائة من الفاشلين يقاسون شظف العيش ويمارسون أحط المهن ، تمنعهم كبرياؤهم من العودة الى ديارهم فقراء أذلاء »[٧٦] . وهذا حق فقد رأيت العرب عند زيارتي لامريكة اللاتينية في صيف ١٩٨٥ ، فاذا أكثرهم يعاني قسوة الحياة . .

---

(٧٦) ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية ص١٢ .

٣ - العروبـــة

تتجلى في شعر جورج صيدح الروح العربية الأصيلة ، فقد أحب أمته وأخلص لها وهو في ديار الغربة ، ولم تفته فرصة للتعبير عن حبه المقيم في قلبه ففي قصيدة « عام جديد »(٧٧) لا يريد أن يلقي سلامه إن لم يلقه على أمة العرب :

آليت لا أُلقي اليه سـلامي   والعام لم يَهْدِ السلام لأمتي
عما جناه أخوه من آثامِ   سَلْهُ أيضمد جرحها مستغفراً

ويفخر بقومـه وهو في باريس عـام ١٩٢٥ :

إني فخـور بقومـي كيفما كانوا   لم أجف قومي ولا استنقصت قدرهم
وذكـريات وأفـراح وأحزان   ولي وديعـة حب عند ذمتهم
إن صحّ صحّ له في القلب غفران   بنو الخؤولـة والاعمـام ذنبهمُ
والناظرون بعـين الحب عميان(٧٨)   أهوى هواهم وأغضي عن مساوئهم

ويقول في قصيـدة « لهيب الرؤى »(٧٩) :

ولمعنا ما شـاءت الألمعيه   نحن قوم على الكريهة طبنا
شررَ النار فاستحالت سنيه   ما ترانا كفحمة الجمر مسَّت
دمعـة الكرم سخرةً بالمنيه   كم حبسنا دموعنا وسـفحنا
وانتشـينا بغضبة مضريـه   ما انتشينا بصبوة ومـدام

---

(٧٧) حكاية مغترب ص٣١ ، نبضات ص٧ .
(٧٨) حكاية مغترب ص١٣١ ، ديوانن النوافل ص٧١ .
(٧٩) حكاية مغترب ص٤٣ ، نبضات ص١٤ .

لو تراءت ثاراتنا في جحيم لركبنا الى الجحيم مطيّه
كتبت آية الجهاد علينا وعلى الله والسيوف البقيه

ويخاطب الذين أقاموا له حفلة تكريم في نيويورك سنة ١٩٣٩ :

حتى ظفرت بأيديكم تصافحني وتنثني وفؤادي في مثانيها
هي العروبة في أنقى مظاهرها هي المروءة في أرقى مجاليها
تلك الديار التي ناجيتها عبثاً في وجهكم يا بني قومي أناجيها
هجرتموها ولم تهجر قلوبكم وكم مقيم بعقر الدار ناسيها
أعليتمو قدرها في دار غربتكم ما كل من نسب الأوطان يعليها[٨٠]

وخرج من دنيا الاعمال بعد كفاح عشرين عاما في فنزويلا على ظمأ وجوع الى الغذاء الروحي فعمد الى السياحة وقصد الارجنتين عام ١٩٤٧ وفي بوينس ايرس نظم قصيدة « في العاصمة الفضية »[٨١] :

لا تسألي من أين جاء فحسبه نسب العروبة أشرف الانساب

ويتحدث عن وفاء العربي في قصيدة « مدينة الشهد »[٨٢] :

إن العروبة شرع فيه الوفاء تحتم
لم ينتهز عربي غدر الزمان بأعجم
يحنو على ظالميه متى أصيب بأظلم

وزار سان باولو عام ١٩٤١ والتقى الجاليات العربية المقيمة هناك ، وحياهم بقصيدة « في البرازيل »[٨٣] :

---

(٨٠) حكاية مغترب ص٢٠٨ ، ديوان صيدح ج١ ص٧٤ ، ديوان النوافل ص٩١ .
(٨١) حكاية مغترب ص٢٦٠ ، ديوان صيدح ج١ ص٩٨ ، نبضات ص٦ .
(٨٢) حكاية مغترب ص١٥٢ ، نبضات ص٣٤ .
(٨٣) حكاية مغترب ص١٧١ ، ديوان صيدح ج١ ص٨٠ ، ديوان النوافل ص٩٩ .

حيّ البرازيل حي بابل اختلطت
شعوبها وتسامى بينها شعبي
من فتية الارز والفيحاء إن نسبوا
كانوا الازاهر في حقل من العشب
الرافعون لواء الضاد ترمقه
عين الأعاجم بالاكبار والعجب
أحلامهم كذرى لبنان في شمم
وحلمهم كسهول الشام في الرحب
لطف النسيم تناهى في شمائلهم
وفي العزيمة حد الصارم العضب
ما أفسد الخلف ايمانا يوحدهم
في الصالحين هوى الاوطان والكسب
تباين السحب في لون ومتجه
يزول عند اجتياح الارض للسحب
إن العروبة جذع لا تزعزعه
عوارض الدفع في الأغصان والجذب

وكان حب صيدح للعرب سبيلا الى حب نبيهم محمد – صلى الله عليه وسلم – والاعتزاز بالاسلام . وقد نظم عدة قصائد في هذا الموضوع منها: « المولد النبوي » و « عيد الاضحى » و « الحجيج »[٨٤] ، وكان من أسبق المتبرعين لبناء جامع بوينس ايرس[٨٥] . وتأثر ببعض العبارات القرآنية لانه يعد القرآن الكريم كتاب العربية الاكبر . ومن ذلك « المن والسلوى » :

في هيكل جادت قرابينه
بالمن والسلوى على الشرد[٨٦]

وهي من قوله تعالى : « وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى »[٨٧] .
و « فالق الحب والنوى » :

فلق الصبح من سماء دجيه
فالق الحب والنوى للبريه[٨٨]

وهي من قوله – عز وجل – : « إن الله فالق الحب والنوى »[٨٩]

---

(٨٤) حكاية مغترب ص٣٣٢ ، ٣٣٩ ، ٣٥٠ .
(٨٥) ينظر الناطقون بالضاد ج١ ص٥٠٦ .
(٨٦) حكاية مغترب ص٢٨٨ .
(٨٧) سورة البقرة ، الآية ٥٧ ، وتنظر الاعراف ١٦٠ ، طه ٨٠ .
(٨٨) حكاية مغترب ص٣٢٩ ، نبضات ١٢ .
(٨٩) سورة الانعام ، الآية ٩٥ .

ووظف قوله تعالى : « فبأي آلاء ربكما تكذبان » من سورة الرحمن ، فوجهه الى السماء :

يا صاحبيّ بأي آلاء السماء تكذبان ؟

والى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

يا صاحبيّ بأي آلاء الرسول تكذبان ؟

والى النبي ـ عليه السلام ـ :

يا صاحبيّ بأي آلاء النبي تكذبان ؟

وأعاد هذين البيتين في مقاطع قصيدة « المولد النبوي »(٩٠) عدة مرات .

ومن تأثره بكتاب الله قوله :

كتبت آيةُ الجهاد علينا ... وعلى الله والسيوف البقيه(٩١)

وفي القرآن الكريم : « كتب عليكم القتال ... »(٩٢)

وضمّن بعض ما جاء في سورة مريم قصيدة « الأمير شكيب أرسلان »(٩٣) فقال :

تتواصون بالجهاد كما أوصى ... وبالثأر « بكرة وعشيا »
إن عكفتم على ثراه فناجوا ... روحه تسمعوا « نداءً خفيا »
شاوروه في أمركم واستمدوا ... من عليّ « لسان صدق عليا »
قل لقوم أعماهم الغيّ عنه ... صدق الله «سوف يلقون غيا»
والمكان القصي حيث نزلنا ... ليس عن مثله « مكانا قصيا »
كذبت تهمة التعصب فيه ... ليس حب الاوطان «شيئا فريا»

---

(٩٠) حكاية مغترب ص٣٣٢ ، نبضات ص٩ .
(٩١) حكاية مغترب ص٤٦ ، نبضات ص١٥ .
(٩٢) سورة البقرة ، الآية ٢١٦ .
(٩٣) حكاية مغترب ص٣٨٤ .

أنفق العمر في رضاء المعـالي   واستوى « عند ربه مرضيا »
سيرة يعرف الميامـين فيها   جـمّلَت بالتقى «وكان تقيا»
وهنوا ساعة الشـجا فتنادوا   يوم ذكراك « سجداً وبكيا »
فجع الشرق بالولي المفدى   ربّنا « هبه من لدنك وليا »
وعد الصابرين بالنصـر ربي   « انه كان وعده مأتيا »[٩٤]

وقال :

قالت الآيـة ما أصـدقها   زَيّن الدنيـا بمال وبنين[٩٥]

وهو اشارة الى قوله تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا »[٩٦] .

وقال :

ذاك واد بغير زرع سـكنا   لنقيم الصـلاة لا دار عجم[٩٧]

وهو اشـارة الى قولـه تعالى على لسـان سـيدنا ابراهيم : « ربنا إني أسـكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحـرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »[٩٨] .

وكان صيدح من دعاة الوحدة الوطنية وقد ساءه تواتر الاشاعات عن نشاط الحركة الانفصالية في عاصمة لبنان الثانية فنظم قصيدة «طرابلس»[٩٩] وكانت الوحدة العربية أمله ، وقد أضاع قلبه حين هجر بلاده :

---

(٩٤) سورة مريم ، والآيات حسب ترتيب الابيـات هي : ١١ ، ١٢ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٥٥ ، ١٣ ، ٥٨ ، ٥ ، والآية فيها هي : «فهب لي من لدنك وليا» ، ٦١ .

(٩٥) حكاية مغترب ص٤٠٤ ، ديوان صيدح ج١ ص٢٠٢ ، وفي ديوان النوافل ص١٤٢ :

صدق القرآن في آيته   زينة الدنيا بمال وبنـين

(٩٦) سورة الكهف ، الآية ٤٦ .

(٩٧) ديوان النوافل ص١٤٧ .

(٩٨) سورة ابراهيم ، الآية ٣٧ .

(٩٩) حكاية مغترب ص٢٨٣ .

خلفته بين الطلول مودعا وأضعته لما هجرت بـلادي

وبحث عنه في الشام ولبنان والقدس ومصـر والبيت العتيق واليمـن والاسكندرونة ونيويورك وكاد ييأس ، وحينما ناداه وَجَدَه في قلـب كل عـربي :

يا قـوم هذا القلب صنعة ربه لا سـلعة الحكـام والأسـياد
واهـاً له من مسـتهام رائـح بين الجزيرة والكنانـة غاد
إنْ صعّد الزفرات في أم القرى سـمع القلـوب تئن في بغـداد
سالت من الجنب الطعين دماؤه أفلا يهب لثـأره ويفـادي
كتب الجهاد عليه لم يهـدأ لـه نفس ولم يخفـق لغير جهـادِ
إن ضاع في كبد المهاجـر نبضه فلأنها مـدن بلا أكبـاد
ناديته عبر البحـار ولم أزل بعد الرجوع الى الديـار أنادي
ما كنت أدري أن قلبي حاضـر في صدر كل موحد بالضاد(١٠٠)

وحبل العروبة هو الذي يجمع العرب:

إن أنت طوقت الصفوف بطوقه وحزمت أشـتات الجهاد الضافيه
وعقدت للاعناق منه حبالـة تخشى وسوطاً للظهور النابيـه
لقطعت أوصال القطيعة وارتمت بغـداد في صدر الكنانة حانيـه
ولهلل القدس الشريف وكبرت أفريقيا واستبشرت انطاكيـه
ولصفق الاردن يرقص ماؤه طرباً وهزءً بالعلوج الصاديه(١٠١)

وهالته القطيعة بين لبنان وسورية عام ١٩٥٢ وهو في بيروت فنظـم قصيدة « القطيعة »(١٠٢) :

---

(١٠٠) حكاية مغترب ص١٤٩ ، ديوان النوافل ص١١٢ ، نبضات ص٢٠ .
(١٠١) حكاية مغترب ص٢٧٨ .
(١٠٢) حكاية مغترب ص٢٥٤ ، نبضات ص٢٣ .

حلّل الحب ما التعصب حرّم   فاتحدنا وما خلقنا لنقسم
واعتنقنا دين العروبة دينا   وأطرحنا لزوم ما لا يلزم
شَرَع" مجدنا سواء" نسبنا   أرز صنين أو نخيل المقطم
بين لبنان والشآم لبان   رضعاه ولا يزال مؤوم
حدثونا عن انفصال فلذنا   باتصال من العواطف محكم
وضربنا عن السياسة صفحاً   واحتكمنا الى اللسان وللدم
أي غنم من القطيعة نجني   إن خسرنا مؤونة القلب والفم
ربّ سور على الحدود منيع   إن لمسناه بالشعور تهدم
ما بناه علوج عهد انتداب   كيف تبنيه دولة الخال والعم

ودعا الى وحدة الشعور والروح لانها منطلق الوحدة :

عللونا بوحدة الروح تأتي   بعدها وحدة التخوم فتسلم

وثار على ما رآه من فرقة وانقسام وحدود مصطنعة تتحدى مشيئة الله ووحدة اللسان :

برلمان في كل حي وشعب   مستقل في كل نادٍ ومعهد
وحدود ما بين فرد وفرد   كظلال من القطيعة تمتد
تتحدى مشيئة الله فينا   وتنافي حكم اللسان الموحد(١٠٣)

وكان لفلسطين في شعره نبض ، اذ وقف الى جانبها ونصرها بالمال والمداد على الرغم مما كان المغتربون يعانون من الصهاينة وتأثيرهم في الصحافة المهجرية ، وقد كتب مرة مقالا بالاسبانية عن مأساة فلسطين رداً على مقال عنيف مهين للعرب نشره يهودي مراكشي في كبرى صحف كراكاس عاصمة فنزويلا ، فما رضيت تلك الصحيفة ولا غيرها نشر مقاله .

---

(١٠٣) حكاية مغترب ص١٨٨ ، ديوان صيدح ج١ ص١٤٨ .

ولجأ الى جريدة مسائية وأغراها بالمال أسوة بالاعلان ، ولكنها أعادت المال والمقال ، وفهم من رسول الجريدة ان اليهود اتصلوا بالحاكم الذي أمر أن لا ينشر المقال[١٠٤] . وكان يطوف في نواحي الارجنتين وفي يده ديوانه « النوافل » المرصود ريعه للمنكوبين من أبناء فلسطين[١٠٥] .

نظم صيدح وهو في كراكاس عام ١٩٣٨ قصيدة « بني فلسطين »[١٠٦] وفيها يخاطب الفلسطينيين :

بني فلسطين سيل الغاصبين طما ... كونوا له السد لا يعنو لمقتحم
لو في الصفوف اتحاد لم نكن غرضا ... لكل طاغية يرمي ومحتكم
لا الفقر لا الأسر لا التعذيب أقعدكم ... وفي مطاياكم وثّابة الهمم

وقامت الحرب بين العرب والعدو الصهيوني ، وتداعى القوم من كل قطر ، ووقف المغتربون في المهاجر مع اخوانهم بالمال والمداد ، وتغنى صيدح وهو فرح بعيد الجلاء عن سورية فقال وهو في بوينس ايرس عام ١٩٤٨م :

إن أراقت يوم الزفاف دموعا ... ففلسطين بالدموع حرَيّه
في جوار الافراح نوح الحزانى ... يبعث الشجو في النفوس الأبيه
أي صدر يطيب والظهر دام ... بحراب السفاح والبربريه
فليكن أخذ ثأرنا من عدانا ... قسم العيد في دمشق الوفيه
حلف المجد ما تجلّى بيوم ... مثل يوم الجلاء في سوريّه[١٠٧]

ويخاطب النبي محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ عام ١٩٤٨ :

بارك جهاد المؤمنين ... النافرين الى الطعان

(١٠٤) ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية ص٩٥ .
(١٠٥) ادبنا وادباؤنا ص١٣٨ .
(١٠٦) حكاية مغترب ص٣٢٣ ، ديوان النوافل ص٣٢٢ .
(١٠٧) حكاية مغترب ص٣٣١ ، نبضات ص١٢ .

الضــارعين اليك باســم الآل والصحب الغـران
وبيــوم مولــدك السني وحق موحيــك القرآن
أن لا تصون دماءهم وامنح فلسطين الصيان(١٠٨)

وبكى حرّ البكــاء حينما خسرت الجيوش العربية حرب عام ١٩٤٨ ، ونظم قصيدة « عبرات »(١٠٩) :

شـرقتُ بمائك يا مقلتــي ألا ليت مــاءك في مهجتــي
حــرام يبلل دمعــي الثرى وفي الصدر لا في الثرى جمرتي
أهذا مصير شبابي الخطير بكــاء ونوح على شيبتي
فيا لائمي إن هدرت الدمــوع أما هدرت دمهــا أمتــي
اما استشهد الحق حيث الرجال بكوا كالنســاء على الميت

ويؤنب المتخاذلين الذين أبطأوا عن النجـدة أو دخول الحرب بايمــان عميق ، ويكشف الخيانات ، ولكنه لا يشك في قدرة الأمة العربيــة على النهوض من عثرتها :

كفرت بربي لو اني شككت بنهضــة قومي من العثـرة
وعهدي بقومي سيوف عتاق على حــدها أثــر الوقعة
تمرّ عليهم عوادي الزمان مرور الصقال على النصـلة
وأرض بها بعث الناصري وأســرى النبي من الكعبـة
لارض تفجــر بالمعجزات متى ســقيت بدم الثورة

ويجتمع المسلمون والنصــارى في بوينس ايرس عام ١٩٤٨ ويخطب المطــران نيفن وســفراء الدول العربية ويلقي صيــدح قصيدة « عيــد الاضحى »(١١٠) :

---

(١٠٨) حكاية مفترب ص٣٣٦ ، نبضات ص٩ .
(١٠٩) حكاية مفترب ص٣٣٧ ، نبضات ٢١ .
(١١٠) حكاية مفترب ص٣٢٩ .

واهاً فلسطين ماذا يجديك دمع تحدّر
وأن أذوب حناناً وقلب قومي تحجر
رأيت منهم فريقاً في سكرة الموت يسكر
بالوعد جاد ولكن بفضلة المال قتر
واهاً فلسطين ما لي ينام غيري وأسهر
حبست في الصدر همي فان نطقت تفجر
أكلما قلت شعراً كنت الرويّ المكرر
على صليبك قلبي كالناصري تسمّر
عودي فلسطين عودي فالعيد عاذ وبشر
ردّي عليّ رجائي وكذبي من تطير
وددت لو خاب حدسي وعاد نجمك أزهر
ونلت نصراً عزيزاً به العدالة تنصر

وينظم عام ١٩٤٩ وهو في بوينس ايرس قصيدة « ردّهم »[١١١] :

خاطر أودى بصدري فخمد وتحدّى من دموعي ما جمد
وطني ماذا على النازح إن ذكر القدس فصلى وسجد
لِلَطْمِ الأعداء خديك ولم يسمعوا منك سوى الشكوى الوقد
لا تخفهم ساعة الباطل لا تقهر الحق فللحق الأبد
رب أرض دنسوها ظمئت لدم يصلح فيه ما فسد
قسماً بالمسجدين ارتفعا حيثما أسرى النبي المعتمد
بوليد الطهر في مذوده بدم المصلوب بالله الأحد
ردّهم لا ثبتت أقدامهم قبل أن يقضى قضاء لا يرد
أدّبْ الظلام أدّبْ انهم دون جند الشام بأساً وعدد

---

(١١١) حكاية مغترب ص٣٤٦ ، أدبنا وادباؤنا ص١٢٨ .

من صلاح الدين خـذها عبـرة   ومن الله وأهليـك المـدد
وطني مطـلع أنـوار الهـدى   بلـدي ما أنت للـذل بلـد
لا تطل عمري الى يـوم به   تحكم الجـرذان في غاب الأسـد

وشغل العرب في المهجر بفلسطين ومأساتها ، ففي عام ١٩٤٩م تنادت الجالية العربية في شيلي الى حفلة تكريم تقيمها في النادي بسانتياغو على شرف أبي صباح ـ جرجس ـ صاحب جريدة « العالم العربي » اعرابا منها عن بالغ تقديرها للحملات الصحفية التي شنها على الصهيونية . ودعت لجنة التكريم نفراً من أدباء العرب في الارجنتين للمساهمة في الحفلة ، ولبّى صيدح الدعوة وبعث بقصيدة « بعد الهدنة »(١١٢) وألقيت في الاحتفال :

ذكرت عشيرتي والقلب دام   يطيّب جرحه ذكر الكرام
وألقيت السلام فغصّ جفني   بدمع كان أسبق من سلامي
صبرت على المصاب أمام قومي   فأبكاني تباكيهم أمامي
يخادع بعضنا بالدمع بعضاً   ودمع الحرّ سرّ في الظلام
أضنّ الناس أسخاهم لسانا   وعيّاً في الملمات الجسام
ولو صدق الجهاد لما رأينا   أنوف العرب تمرغ في الرغام

ويتحدث عن الهدنة :

فجاءت هدنة فرضت علينا   الى أن يشبعوا فرص الصيام
يميناً لم ينل منا مراماً   عدوٌّ لم نسقه الى المرام
ولا اغتصب الحمى لو لم نمهد   طريق الغاصبين بالانقسام

---

(١١٢) حكاية مغترب ص٣٤٨ ، ينظر الناطقون بالضاد ج١ ص٥٢-٥٣ .

ويصور ضياع فلسطين فيقول في قصيدة « دمشق الشام »[113] سنة ١٩٥١م :

أما السياسات فألوانها | لما تزل تركية المشرب
كل له من نفسه دولة | توطيدها أول ما يجتبي
في سلمه حرب على أهله | في حربه بكر على تغلب
يا ليته استأصل من نفسه | الاعفان يوم استأصل الاجنبي
إذن لما بحّت فلسطيننا | تستغضب العرب فلم تغضب

وتفاقمت حالة اللاجئين المشردين فتفطر لها قلب صيدح ، ونظم في ليلة عيد الميلاد عام ١٩٥٣ قصيدة « ذكرى فلسطين »[114] :

بنو فلسطين قطعان مشرّدة | عن الحياة ملاك الموت راعيها
وكف صهيون بالاقداس عابثة | كأنما الله أمرٌ ليس يعنيها
خطيئة العرب لا الاردُنّ يغسلها | ولا صبا بردى بالنشر يطويها
يحمر في النيل وجه الماء إن رويت | وينحني رأس صنين لراويها
أقدارنا صنع أيدينا فما جرحت | إلاّ بسَهمٍ وضعناه بأيديها
منا الهداة ومن في الظهر يطعنهم | منا الضحايا ومنا من يضحيها
منا الخفير ومنا من يفاضله | يبيع أثواب موتانا ويشريها
لا عاد يوم على الأعراب إن هدروا دم الشهيد وحثّ الكأس ساقيها

وكان من نتيجة نكبة فلسطين نقمة العرب على حكامهم فقام الجيش في سورية بانقلاب وتبعته انقلابات أقلقت المغتربين ، فنظم صيدح سنة١٩٥٤

---

(١١٣) حكاية مغترب ص١٧٦ ، ديوان صيدح ج١ ص١٢٢ ، نبضات ص٢٠ .
(١١٤) حكاية مغترب ص٢٥٦ ، ادبنا وادباؤنا ص١٤٠ .

قصيدة « انقلاب في سوريا »[115] على أثر عودة هاشم الأتاسي الى رئاسة الجمهورية :

عرفنا الرياض بريحانها وعصف الرياح بأغصانها
وزلزلة تحت أعشابها وجلجلة حول أكنانها

ثم يقول :

رأوا سوريا في شدوق العبا ب أضاعت سفينة ربانها
فكانوا منارة شطآنها وكانوا حمامة طوفانها
فمن مبلغ الدار والساكنيـ ـها بأنا حزانى لأحزانها
كفاها احتراقا بنار القلى وصهيون أولى بنيرانها
سهرنا عليها طوال الليالي وخفنا مغبة حدثانها
ولو نستطيع أقمنا الصدور جداراً يحيط ببنيانها
وسقنا اليها مسيل الدموع نحاول إخماد بركانها
متى تستقر على مجدها تقرّ العيون بأجفانها

واشتدت الدعوة بين توالي الانقلابات الى اقحام سورية في مشروع الهلال الخصيب فنظم صيدح عام ١٩٤٨ وهو في بوينس ايرس قصيدة « سوريا في يومها وغدها »[116] :

تولى الرئيس وطاح الزعيم ولكنّ شرهما حاضر
فساد يحلّ محل الفساد ويفتك بالغادر الغادر
ونحن متاع نباع ونشرى تداولنا تاجر تاجر
تسام العروش بسوق الحراج ودلاّلها النسب الطاهر
عفاء على لقب هشموه بسيرتهم مجّه الذاكر

(١١٥) حكاية مغترب ص٢٥٩ ، ادبنا وادباؤنا ص١٤٣ .
(١١٦) حكاية مغترب ص٣٤٣ ، ادبنا وادباؤنا ص١٤٤ ، نبضات ص٢٣ .

على ملك تاجـه الاجنبـي دليـل على مَيْنِهِ ظاهر
نجوم على مصلح ذي حياء فيبتـدر الاشـعب الفاجر
عتيّ على قومـه مشمخرّ صغـير أمام العدى صاغـر
فيا أوليـاء الأمور الحيـارى أبالفـخ يستعصـم الطائـر
بأمثالكم لا نجـاري زمـاناً يدوس به الواقف السـائر
تعيشون خلف غبار العصـور كأنكـم زمـن غابـر
خدعتم فلسطين يـوم استجارت بكـم والخـداع لـه آخـر
فلن تلدغـوا مؤمنا مـرتين بجحر لقد أرشـد القاصـر
دعـوا سـوريا جانبا فهي كبرى بدونكم خيرهـا وافـر
يصير الهلال خصيبا جـديبا إذا جـال فيه لكم خاطـر
وإن كان بعث الحمى عن يديكم دعـونا نمت فالردى سـاتر

وتهيج ذكرى مجزرة دير ياسـين في نفسه الألم فينظم عام ١٩٥٨ وهو مقيم في بيروت قصيدة « دير ياسين »(١١٧) :

تحت ستر الليل ستر المجرمين طـرق الفجـار بيت المقدس
يا فلسـطين على من تعتبـين إن تكن نامت عيون الحرس
نزع الغرب عن الوجه القناع ورمى الشـرق بما في قابـه
زوّد الأفعى بأظفار السـباع وسـقى أنيابها من نابـه
من كاسرائيل يشؤو في الطباع طبع عزرائيـل في اسـتكلابه
ذبحوا في دير ياسـين القطين ما نجـا طفل ولا شيخ نُسي
والصبـايا في ديار الغاصبين كالمهـا في مخلب المفترس

ويدعو في آخر القصيدة أن يهدي الله الحكام لئلا تقع نكبة الاندلس ثانية في أرض فلسطين ويذهب بيت المقدس :

---

(١١٧) حكاية مغترب ص٣٦٢ ، أدبنا وادباؤنا ص١٤٢.

يا بني أمي إذا الجـور رعــد فَجـِّروا البرق وكونوا الصاعقه
وأعصفوا ريحاً متى الضيم انعقد تقشـع الريح الغيـوم الخانقه
عاهدوا الله ولا تخشوا أحـد إن بررتـم بالعهود السابقه
قد هززنا عرشـ رب العالمـين بدعـاء من قـرار الأنفـس
رب هديـاً منك يهدي الحاكمين ويقينـا نكبـة الأندلـس

ويظل الشـاعر يصدح بفلسطين وينظم فيها الشعر ، ويعود الى الوطن وتبقى محنتها في قلبه ، ففي عام ١٩٥٣ وهو في بيروت ينظم قصيدة « ذكرى فلسطين »(١١٨) ويذكرها في قصيدة « قل للمعلم »(١١٩) التي نظمها في عاليه سنة ١٩٥٦ ، وتأتي الذكـرى العاشـرة لمجزرة دير ياسـين فينظم قصيدة فيها(١٢٠) . ويظل كل شيء يوحي له بعدوان اسرائيل ، ويقتحم غراب صباح يوم غرفته في بحمدون فيخيل اليه أنه مقبل من اسرائيل وينظـم قصيدة « الغراب الغازي »(١٢١) ويتطير من الزائر الناعب :

تطـيرت من ناعب في الصباح دخيل على مهرجـان الســنا
مغير يمزق شمل الريـاح إذا دافعتــه عن المجـتنى
ومن أنبـأ الطـير أنَّ اجتياح مقامي أيسـر ما في الدنى
وان انتســابي الى يعرب يحـلل مـأواي للأجـنبي

ويتحدث عن موقف الولايات المتحدة الامريكية من قضية فلسـطين واسنادها للكيان الصهيوني ورفده بكل مقومات الحياة :

لا خير في شعب تَصَهْيَنَ قلبُه فغـدا يرابي في الورى ويحابي
سلب العروبة قُدْسَها وأباحـه للفاجـرين كناهـب وهـّاب

---

(١١٨) حكاية مغترب ص٣٥٦ ، ادبنا وادباؤنا ص١٤٠ ، وقد تقدمت .
(١١٩) تنظر في حكاية مغترب ص٢٧٢ .
(١٢٠) تنظر في حكاية مغترب ص٣٦٣ ، ادبنا وادباؤنا ص١٤٢ ، وقد تقدمت .
(١٢١) حكاية مغترب ص٧٥ .

إن شام في السنجاب ذيلاً مذهباً أفتى بنحر الليث للسنجاب
أوَ بين ظهريه تطيب إقامتي والروح روحي والتراب ترابي(١٢٢)

واجتمع الملوك والرؤساء العرب على أثر العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ فنظم قصيدة « هواجس »(١٢٣) :

ما لي أطوف ورائدي حلمُ هل من مزارٍ هابه صَنَمُ
حمد السرى من زاده أملٌ يحدوه لا من زاده ألم
هذا الحمى النشوان من طرب يسودّ وجهي حين يبتسم
آذانه للغرب مرهفة ما فاتها لاءٌ ولا نعم
والشرق إن قامت قيامته ودعا النفير أصابه الصمم
جزعي على الأوطان يهتف بي هل في فلسطين انطوى العلم
أيميد من هزء الزمان بنا الشامخان : الطور والهرم

وأبدى هواجسه وشكوكه :

لم يبق فيكم من عروبتكم إلا لسانٌ مُفْصِحٌ وفم
إن العروبةَ يا بلابلها روح على كف الفتى ودم

وظل جورج يصدح بأغاني الوحدة والحرية ، وبقي متألماً من الواقع العربي حتى توفاه الله في غربته بباريس .

---

(١٢٢) حكاية مغترب ص٢٦٢ ، ديوان صيدح ج١ ص١٠١ ، نبضات ص٦ .
(١٢٣) حكاية مغترب ص٣٦١ ، ادبنا وادباؤنا ص١٣٨ ، نبضات ص٢١ .

٤ ـ الوجدان

كان جورج صيدح ذا عاطفة جياشة ، وقد تجلى ذلك في مواقفه الوطنية والقومية ، وكان عزيز النفس أبيا :

أنت صورتني أبياً لأحيا فوق دنياي أو أموت أبيا
ما درى السفح وهو حان عليهم إن في الركب شاعراً عربيا
ما درى السهل أن من ذلّل الأطواد لا ينزل الكهوف رضيا[١٢٤]

وشرفه فوق كل شيء :

فيا داء برّح كما شئت فيّ وخلّ إبائي في معزلِ
يهون عليّ الحمام إذا كنت أسلم بالشرف الأمثل
وليس جهنم إلاّ الحياة إذا هي طالت على المبتلي[١٢٥]

وهو مرجو :

شاعر يُرجى ولا يرجو وفي مسجد الاصنام يوماً ما سجد
عزّ من يفهم شكوى روحه ربّ حشد فيه بالروح انفرد
تتحداه البغاث استنسرت كلما زاد أناة وجَلَد
عاف وِرْدَ الماء فيه ولغت حشرات القوم فاستسقى البرد
وتمنى الموت حتى لا يرى غارة الهرّ على ذيل الأسد[١٢٦]

---

(١٢٤) حكاية مفترب ص١٦ ، قصيدة « جبل البلور » .
(١٢٥) حكاية مفترب ص١٩٩ ، ديوان صيدح ج١ ص١٢ ، ديوان النوافل ص٣٤ .
(١٢٦) حكاية مفترب ص١٣٦ ، نبضات ص٢٠ .

وكان متسامحا يحب أصدقاءه ومعارفه :

مني السلام على الصحاب جميعهم   الناكثين العهد والأمناء
النازلين منازلاً أعددتها   للحب في قلبي وللبغضاء
في مطلع العام الجديد أبثهم   عفو المحب وأنّة المستاء
لا تحمل الاحقاد مهجة شاعر   هل يتقون الله في الشعراء[١٢٧]

وكان انساني النزعة ، يقول : « لقد عرفتها عن طريق ضميري ووجداني واكتفيت بذلك • انها في البدء شعور غريزي بقرابة تربطني ببني الانسان وبتضامن مع جميع خلق الله ... وهي بعد ذلك عمل ايجابي وسعي صادق لخدمة البشرية في حدود مواهبي وامكاناتي »[١٢٨] وتمثل قصيدته « هذيان »[١٢٩] هذه النزعة السامية •

وليس في شعر صيدح قصائد حب تستثير كقصائد شعراء الغزل المعروفين وانما هي كقصائد الذين مسّهم الحب وهزّ كيانهم في صباهم ، فلما انقضت تلك المرحلة خفّت لوعتهم وانصرفوا الى قضايا أمتهم ووطنهم • ففي عام ١٩١٩ وهو في مصر نظم قصيدة « على الشرفة »[١٣٠] :

أسرفت في قطع العهود   وبخلت إلاّ بالصدود
بالروح فاك وإنْ اكن   لم أجن منه سوى الوعود

ويمضي ذاكراً موعده الثاني مع صاحبة الشرفة أو « هانم أفندي » ولا يواتيه الدهر ويجني عليه كما جنى على المحبين من قبل • وينظم وهو

(١٢٧) حكاية مغترب ص٥٤ ، ديوان النوافل ص١٥٠ . نقول هذا ونحن نعلم ثورته على صديقه القروي (ينظر ديوان صيدح ج١ ص١٦١ ، اعمال القروي النثرية ص٣٠٧).
(١٢٨) القومية والانسانية في شعر المهجر الجنوبي ص٤٦٦ .
(١٢٩) حكاية مغترب ص٢٧ ، ديوان النوافل ص١٧١ .
(١٣٠) حكاية مغترب ص٢٩٦ ، ديوان النوافل ص٤٩ وفيه « هانم افندي » .

في القاهرة عام ١٩٢٤ قصيدة « سائقة السيارة »(١٣١) وكان قد ذكر في ديوان النوافل انها نظمت في عام ١٩٤٦ . يقول :

بسمت لي ثم حادت عن طريقي ومضت كالسهم من سوق لسوق
نظرة طارت وفكر حط في قفص التذكار من جو طليق
ودخان يتهادى خلفها كستار لمعاصيها رقيق

وألحق بديوان « النوافل » قصيدتين سماهما « ذكرى الغرام بوردة الشام » نظم الاولى في القاهرة بعد عشرة أعوام من هجرته ، وكتب الثانية في كراكاس بعد ثلاثين عاما . يقول في الاولى :

طال الجفاء وما أمرّ جفاك يا ورد هل من آخر لنواك
قطّعت آمالي بعود لقاك لكنّ في هذا الفؤاد الباكي
صوتا خفيا هاتفا سأراك(١٣٢)

ويقول في الثانية :

رضيت من الهوى باسمك فهل يرضى بنو عمك
أذم قرينك العاتي على ما قال في ذمك
أثار الحرب من شعر جنيت به على سِلْمك
رضخت لحكمه فأبى بقاء الروح في حكمك(١٣٣)

ولا يخرج صيدح في هاتين القصيدتين عما قاله غيره من شعراء المهجر الذين تركوا ذكريات حبهم الأول في وطنهم فأخذوا يتعزون بها في ديار الغربة بعد أن وجدوا الحياة قاسية والرزق شحيحا إن لم يكن مفقوداً صعب المنال .

---

(١٣١) حكاية مغترب ص٢٩٩ ، ديوان النوافل ص١٦٩ .
(١٣٢) ديوان النوافل ص١٨٠ ، قصيدة « ساراك » .
(١٣٣) ديوان النوافل ص١٨٢ ، قصيدة « عود على بدء » .

ولصيدح قصائد وجدانية أخرى ولكنها لا تعبر عن حب صادق وانما هي أقرب الى الوصف ، ولعل منها « ليلة البحيرة »[١٣٤] و « العاصفة في غابة بولون »[١٣٥] وهي أقرب الى القصة الشعرية[١٣٦] وقد تكون حقيقية أو متخيلة ، ولكنها قصيدة جميلة عبّرت عن المغامرة أحسن تعبير . ولكن نبض وجدان الشاعر يتضح في عاطفة الابوة القوية التي يحملها بين جنبيه، فقد رزق بجاكلين وسرّ بها أيما سرور ونظم فيها وفي ولديها القصائد ، من ذلك قصيدة « الى ابنتي في عيد مولدها »[١٣٧] وقال إنها جمعت بين عبق باريس من أمها وعبق دمشق من أبيها فكانت وليدة الشرق والغرب :

نشأت بين جفون الياسمين	زهرة في الروض تسبي الناظرين
عبقت باريس في أكمامها	ودمشق الشام في العرق الوتين
فلذة للشرق والغرب سرى	للفنزويلا بها الروح الأمين
سألوني ما اسمها ؟ قلت اسمعوا	أطرب الانغام عندي جاكلين
كل من أبصرها قال لها	بارك الله بفن الوالدين
أتراها خيرت في خلقها	فأتت كاملة الحسن المبين
أم براها الله من ذوب السنا	وبنات الناس من ماء وطين
قد عبدت الله في صورتها	وارتضيت الكفر كفر المؤمنين

ومنها قصيدة « شيطنة »[١٣٨] التي تحدث فيها عن لعب ابنته مع كلبها في الحديقة وما أحدثت فيها من فوضى ، وكان يرقبها سعيداً فرحاً بما آتاه الله :

---

(١٣٤) حكاية مغترب ص٣٠٢ ، ديوان النوافل ص٦٤ .
(١٣٥) حكاية مغترب ص٣٠٥ ، ديوان النوافل ص٧٩ .
(١٣٦) ينظر كلام عيسى الناعوري عليها في كتابه ادب المهجر ص١٩٢ .
(١٣٧) حكاية مغترب ص٤٠٣ ، ديوان صيدح ج١ ص٢٠٠ ، ديوان النوافل ص١٤٢ .
(١٣٨) حكاية مغترب ص٤٠٥ ، ديوان صيدح ج١ ص١٩٥ ، ديوان النوافل ص١٩٦ .

وأنا في مقعدي أسعد حيّ في الخليقه
أتغاضى وعيوني لم تفارقها دقيقه
أجتلي في وجهها وجهي وعرقي والسليقه
خلف منظاري توارت دمعة الشكر الرقيقه
دمعة العاشق لا يردعه ضحك العشيقه
دمعة تغسل أوتار الصبابات العتيقه
دمعة أفرغت الأحلام في جفن الحقيقه
دمعة تستعطف الدهر وتستعطي رحيقه
ليته يجمع عمري في سويعات الحديقه

وأجريت لابنته جاكلين في بوينس ايرس عام ١٩٤٨ عملية جراحية ، فنظم قصيدة « ساعة التجريح »(١٣٩) عبّر فيها عن قلقه ، وصوّر لوعته وابنته تحت مبضع الجراح :

رفقاً بها يا مبضع الجراح شَرَّحْتَ قلب الوالد الملتاح
إن زدت إيلاماً فضحت تجلدي وجمعت بين صياحها وصياحي
والله لو أطلقت روحي لارتمت تحت النصال تصدّها بجراحي
هذي القطاة قصاصة من ريشها تكفي إذا انتثرت لقص جناحي

ونجحت العملية وجاء الاصدقاء مهنئين فنظم « سمر الأدباء »(١٤٠) :

لي منزل بسم الزمان لربه فأتاه يسكب بلسماً في قلبه
بنجاة فلذته من الداء العدي
وبسامرٍ حَفَلٍ بخيرة صحبه وأحبة شربوا سلافة حبه
قصفت بديهتهم صفاء الأكبد

---

(١٣٩) حكاية مغترب ص٤٠٧ ، ديوان صيدح ج١ ص٢٠٦ ، ادبنا وادباؤنا ص١١٥ ، نبضات ص١١ .
(١٤٠) ديوان صيدح ج١ ص٢١٠ .

أأنسي بهم أنسَ الهزار بسربه   أنسَ المعذَّبِ بالطبيب وطبه
أنسَ المغرّب بالمعاد الأحمد

وخطب حنا غصن جاكلين فنظم صيدح عام ١٩٥٣ قصيدة « اليوم المشهود »[١٤١] :

ربيتها بين أجفاني وبي جزع   من أن تعثر بين الهدب والجفن
حتى إذا أعبلت واشتد ساعدها   حنّت الى أفق تنأى به عني

ويطل الحفيد الاول فينظم سنة ١٩٥٤ قصيدة « رسالة جد »[١٤٢] ، وفيها يقول بعد أن تحدث عنه وهو يلعب :

بني يا بعض نفسي   وكل همي وبالي
اليك دنياي آلت   بما عليّ ومالي
شيعتها بقصيد   كتبته في الرمال
أهديكه عربياً   ولو تعاجم آلي
عسى يواتيك يوم   تفك فيه مقالي
يوم تلفتُ فيه   الى السنين الخوالي
فلا تراني إلاّ   عبر الرسوم البوالي
يخفاك أني مطل   من وجهك المتلالي
ملامحي تتراءى   فيه وبعض خصالي
يا رب اطلق سراحي   رأت عيوني مثالي

ويناغي الشاعر حفيديه جورج ورياض في قصيدة « مع الحفيدين »[١٤٣]

---

(١٤١) حكاية مغترب ص٤٠٩ ، ديوان صيدح ج١ ص٢١٢ ، ادبنا وادباؤنا ص١١٩ .
(١٤٢) حكاية مغترب ص٤١٢ ، ديوان صيدح ج١ ص٢١٦ .
(١٤٣) حكاية مغترب ص٤١٦ ، ديوان صيدح ج١ ص٢٢٥ ، ديوان النوافل ص٢٨ .

وهي قصيدة « الخال بين الاطفال »[١٤٤] المنشورة في ديوان النوافل عام ١٩٤٧ .

وتتأجج عواطفه في الرثاء ، فقد مات أبوه وهو في القاهرة سنة ١٩١٩م فنظم قصيدة « بقية مدمع »[١٤٥] في جناز الاربعين :

أأبقى يوم بينك في العيون بقية مدمع للأربعين
يجف الدمع في عيني وليست تخف لواعج القلب الحزين

وماتت أمه سنة ١٩٢٨ وهو في كراكاس فنظم قصيدة « نعي الوالدة »[١٤٦] جواباً لاشقائه في القاهرة :

ودعوها شيعوها بتراتيل الخشوع
وعلى الهام ارفعوها واغسلوها بالدموع

ويبدي حسرته لانه لم يحضر تشييعها :

ليتني ما بين ناسي لا بمنفاي السحيق
بين اخواني أواسي أو يواسيني الشقيق

ويسأل اخوته عن موتها ، ويذكر ساعة وداعها عام ١٩٢٥ حينما هاجر الى فرنسة :

آه من ذكرى وداع بين أم وولد
حين صلّت بالتياع تسأل الله المدد
وأنا رَهْن صراع بين وهن وجلد
واجف النفس أراعي عدّة اليتم تعد

---

(١٤٤) ديوان النوافل ص٢٨ .
(١٤٥) حكاية مغترب ص٤٢٠ ، ديوان صيدح ج١ ص١٧٩ ، ديوان النوافل ص٤١ .
(١٤٦) حكاية مغترب ص٤٢٣ ، ديوان صيدح ج١ ص١٨٨ ، ديوان النوافل ص١١٦ .

ما حسبنا الدهـر سـاعي بفـــراق للأبـــد
بعد ما غــال متاعــي غالنــي ما لا يـــرد

وزار دمشق في تشرين الاول عام ١٩٥٠ ، وكان أمله أن يطيل لقاءه بشقيقته ولكنه فجـع بها بعد وصوله بأيـام ، وذكرها في قصيـدة « أم النسور »[١٤٧] التي ألقاها في النادي العربي بدمشق :

أمضي وقلبي في دمشـق رهينة أودعتها قلب الثرى والجنـدل
لغفرت للأم الجراح لو أنها شفعت باختي من قضـاء منزل
في جيرة الشـهداء حلت منزلاً وكأنها أخذت تهيء منزلـي

وفي فصل تباريح من « حكاية مغترب » قصائد رثاء في بعض الاصدقاء والشعراء وهي : « السري الثري » وهو الياس جرجوره حداد لبنـاني عاش في كراكاس عاصمة فنزويلا تاجراً عازبا وتوفي فيها سنة ١٩٤٤ وكان مثال المهاجر الناجح • وقصيدة « الى أدوار خليل » الشاب اللبناني الأصل المولود في فنزويلا وقد نذر مواهبه لخدمة الجالية العربية في كراكاس وقد فاجأته المنيـة في شرخ الشـباب وهو في طريقه الى عملـه سنة ١٩٤٦ • و « الدمعة الحائرة » في رثاء نسيب عريضة شاعر « الارواح الحـائرة » وقد مات سنة ١٩٤٦ • وقصيدة « الامير أمين أرسلان » عميد الجاليـات العربية في الارجنتين وقصيدة « الامير شكيب أرسلان » وقصيدة « حسني عبدالملك » الذي كان عنصراً جليل القدر في « الرابطة الأدبية » التي أنشأها صيدح في بوينس ايرس سنة ١٩٤٩ ، وقد أشـار الى اجتماع الرابطـة كل أربعاء :

تناجيه يوم الاربعـاء عيوننا وقد شرقت بالدمع ملء المحاجر[١٤٨]

---

(١٤٧) حكاية مغترب ص٢٤٥ ، ديوان صيدح ج١ ص١٢٧ ، وينظر ادبنا وادباؤنا ص١١٢ .
(١٤٨) حكاية مغترب ص٣٨٨ .

وقصيدة « ايليا أبو ماضي » التي ألقاها في التأبين الذي أقيم للشاعر في النادي العربي بدمشق سنة ١٩٥٨ ، وهي من غرر صيدح وقد صوّر فيها حالة العربية في المهاجر بعد أن بدأ الأدباء يتساقطون :

من مبلغ الاعراب تفقد شاعراً   أن المهاجر تفقد الاعرابا ؟
دقت نواقيس الغروب وشيعت   جيلاً من الرواد والأعقابا
الضاد كالثكلى تشق جيوبها   والشعر كالمفتون شاب فتابا
واهاً على أدب يزقّ فراخه   حيث الكواسر حوّمت أسرابا
أدب تخدّر بعد طول عذابه   ولو انه صاحٍ لمات عذابا
أبطاله درجوا وفي ساح الوغى   أطيافهم تستدرج الأصحابا
ما أعجل التأريخ في استبقائهم   كتبا وفي استئصالهم كتابا(١٤٩)

ومات الأخطل الصغير سنة ١٩٦٨ ، وهزّ نعيه جورج صيدح وهو في باريس فنظم قصيدة « زفرتان »(١٥٠) ، في الزفرة الاولى يصوّر ألمه لوفاة شاعر الهوى والشباب :

أصبحت لا أشدو ولا أمرح   يا ليتني أُمسي ولا أُصبح
الأخطل الصدّاح من بعده   لا أخطل يبكي ولا صيدح
حسبي منه ذكريات الصبا   تطيّبُ القلب الذي تجرح

وفي الزفرة الثانية يشكو الهم والشيخوخة والعزلة في باريس ، ويتألم من أنه لا يجد له مكانا في وطنه :

أصبحت لا أشدو ولا أمرح   يا ليتني أُمسي ولا أُصبح
أقعدني الهم وسنّ عتت   وعزلة طالت بها أرزح

(١٤٩) حكاية مغترب ص٣٩٤ .
(١٥٠) ديوان صيدح ج١ ص١٥٥ .

إن ضقت بالأشباح أغرقتها   في السين إلاّ انها تسبح
لي مطرح في كل أرض سوى   في أرض قومي ليس لي مطرح
كم أسفح الدمع لذكر الحمى   وذكر عرض في الحمى يسفح
وكم تشوّقت الى مهجر   دنياي في دنياه تستروح
لي موطن عيشي به غربة   وغربة عيشي بها رَحْرَحُ

ولصيدح مداعبات سماها « أزباد »[151] وقد يعد بعضها من الوجدان لانها مطارحات مع أصدقاء جمعتهم المودّة والحب والخير في ديار الغربة ، وقد تفنن صيدح في نظمها فجاءت قصائد جياد ، ولا يقلل من شأنها أنها قيلت في مناسبات أو مواقف المزح والترويح عن النفس من عناء العمل المرهق والكفاح المرير في ديار الغربة .

---

(151) حكاية مغترب ص٤٢٧-٤٤٥ ، وينظر رايه في شعر المناسبات في كتابه ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية ص١١٠ وما بعدها .

٥ - الاضاءة

نظم جورج صيدح الشعر وهو صغير وفي ديوان النوافل قصيدة « الخيبة الأولى »(١٥٢) وقد نظمها في مدرسة الاحداث بدمشق سنة ١٩٠٨ . وفي ديوان حكاية مغترب قصائد ترجع الى سن مبكرة ، فقصيدة « نجمة الليل »(١٥٣) نظمت في دمشق سنة ١٩١٠ ولحنها الموسيقار كميل شامبير ، وسمعت مطبوعة على اسطوانات ولم يذكر اسم ناظمها وهو صيدح . والقصيدة غنائية على صورة الموشح :

نجمة الله أراك في شحوب ونحول
هل أحست وجنتاك في الدجى نفح الشمول
هدأ العاصف آذى غيثه روع السكون
لم يدع إلاّ رذاذا باكياً فوق الغصون
إن يكن دمعك هذا سلمت تلك العيون
حدثيني عن هواك إن للحب شكول
نجمة الله فداك كل واشٍ وعذول

ونظم عام ١٩١٠ وهو في دمشق قصيدة « الصبوح والغبوق »(١٥٤) ، وقصيدة « النائم المغصوب » و « على قمة الجبل »(١٥٥) ، ونظم

---

(١٥٢) ديوان النوافل ص١٧٨ .
(١٥٣) حكاية مغترب ص٨٢ ، ديوان النوافل ص٩ .
(١٥٤) حكاية مغترب ص٢٩١ ، ديوان النوافل ص١١ .
(١٥٥) ديوان النوافل ص١٤ ، ١٥ ، حكاية مغترب ص٥٨ .

قصيدة « داء الشباب »(١٥٦) عام ١٩١١ وهو لا يزال طالبا في مدرسة عينطورة ، وقد تحدث فيها عن مرضه الذي عاقه عن الرحيل الى أخوته وذويه في القاهرة ، وقصيدة « الى جارتي »(١٥٧) عام ١٩١١ وهو في القاهرة . ونظم قصيدة « ذنب الأم »(١٥٨) عام ١٩١١ وهو في بيروت .

وذكر الشاعر أن أول منظوماته تحيته لمدرسة عينطورة ، قال : « كنت يافعا يوم وصلت الى مصر عام ١٩١٢ قادما من لبنان بعد أن أتممت دراستي في كلية عينطورة . وكانت أول منظوماتي قصيدة حنين الى الاحراج التي تحيط بالمدرسة والاطيار التي تحوم في سمائها ، لا الى الاقرباء والعشراء الذين فارقتهم . وهذا الشعور يخامر كل مهاجر ساعة تطأ قدماه أرض المهجر الاميركي فيستوحش ويتحسّر ويتدله ، تلازمه خيالات الربوع البعيدة وتستحثه الى التعبير عن خوالج جديدة ما كان يتوقع أن تعتمل في قلبه لمجرد الانفصال عن جو كان يمله وعن أرض كان زاهداً في سكناها . لقد استيقظت في وجدانه عاطفة الحب للطبيعة في وطنه واتجهت فيما بعد الى حب الطبيعة في سائر الأوطان »(١٥٩) . والقصيدة التي أشار اليها هي « الى مدرستي عينطورة »(١٦٠) وقد جاء في « حكاية مغترب » انها نظمت عام ١٩١٩ في القاهرة ولم يثبت لها تأريخا في ديوان النوافل ولعله يريد أنها أول قصيدة نظمت في القاهرة بعد هجرته عام ١٩١٢ وليس عام ١٩١٩ .

وهذه القصائد تمثل بداية رحلة صيدح في الشعر ، والفرق واضح بينها

---

(١٥٦) حكاية مغترب ص١٩٧ ، ديوان صيدح ج١ ص١٠ ، ديوان النوافل ص٢٤ .
(١٥٧) حكاية مغترب ص٢٩٩ ، ديوان صيدح ج١ ص١٧٥ ، ديوان النوافل ص١٢ .
(١٥٨) حكاية مغترب ص٢٩٤ ، ديوان النوافل ص٢٧ .
(١٥٩) ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية ص٢٠٧ .
(١٦٠) حكاية مغترب ص١٠٩ ، ديوان النوافل ص٤٢ .

وبين قصائده التي قالها في قمة نضجه العاطفي والعقلي بعد أن عكف على القراءة والدرس وصرف جهداً كبيراً في الأدب . يقول البدوي الملثم : « ولنترك شاعرنا صيدحاً في مصر لنلتقي به في المهجر الامريكي وقد غيّرته السنون وأخذ المشيب يدب دبيبه الى رأسه واذا بالشاعر قد أصبح حصيفا بليغا ، فقد انكب على المطالعة والدرس وحفظ شعر الأولين والمحدثين من شعراء سورية ولبنان ومصر والعراق واستمع الى شعر المهجر فوجد أنّه الحنين الى الاوطان وذكر الاهل والخلان والعشيرة والجيران »(١٦١) ويذكر الملثم أن لصيدح مكتبة حافلة بنفائس الكتب العربية(١٦٢) وهي التي كوّنت ثقافته وجوّدت أسلوبه وطورت شعره .

كان صيدح شديد الاهتمام بالأدب ، وفي قصيدته « الجندي المجهول »(١٦٣) يحيي الأديب الذي ظل على حاله الاولى وهو يحمل على كتفه الفاقة وعلى ظهره عبء السنين :

ما ضاع أجرك إنْ صنعت جميلا فاصبر على الحظ القصير طويلا
حظ الأديب الحق من أقوامه حظ الرسول أما أتيت رسولا
حسب الأديب وقد مشى بصليبه ان لا يخر على الصليب ذليلا
إنْ عاش َعاش َعلى الكفاف كنحلة أكلت من العسل المشور قليلا

ثم يتحدث عن الذين ألهتهم التجارة والبيع :

فتحوا المتاجر في المهاجر ليتهم فتحوا قلوبا مثلنا وعقولا
لو تعرف الفصحى مدى خدماتنا ضفَرَت لنا من شعرها اكليلا

---

(١٦١) الناطقون بالضاد في امريكة الجنوبية ج١ ص٤٠٩ .
(١٦٢) الناطقون بالضاد ج١ ص٢٦٤ .
(١٦٣) حكاية مغترب ص٧٩ ، وينظر ادبنا وادباؤنا ص٧٩ .

وتحـدث عن قيمـة الادب فقال في قصيدة « طائرات الشعر »[١٦٤] :

كيف يرضي أدبي طائفـة   عشـقت كل غريب وبعيـد
كلما حيـا بوجـه ناصـع   ضحكت من جهله صبغ الخدود
قيمـة الآداب في تأثيرهـا   في تجليها على كل صعيـد
في تخطيها مدى الدهر الى   سَمَرات الكوخ والقصر المشيد
أين منهـا أدب مسـتحدث   من سراب الفكر في اللفظ الشرود
عـربي الوجه غربيّ اللهـا   أعجمي الروح وحشـي البرود

وهو لا يميل الى الشعر الرمزي الذي أغرم به بعض شعراء لبنان :

يحمـل المجهـر من يقـرأه   ليرى جرثـوم معنى في صـديد
كلما أفلت من صدر الدجى   أنشب الاظفار في ظهر الجـدود
إن سألت الشعب عن محصولـه   كنت كالطالب حقـاً من يهودي

فصيدح ينكر الشعر الموغل في الرمز ، لان الغموض « حيلة الفاشلين الذين يحاولون ستْر هزيمتهم براية الشعر الرمزي أو السريالي »[١٦٥] والشـعر عنده تدفق وانطلاق :

إنما الشـعر انطلاق للذرى   واندفاق نحـو أغـوار وبيـد
ما أفـاد الناس إلاّ راجعـاً   من أعاليه الى سـطح الوجـود
بفـم يحسن تطـريب النهـى   ويد تحسـن تطبيب الكبود
ذاك فـن أزليّ ما استحى   بقـديم أو تبَرّأ من جـديد
إنه البحـر الذي أمواجـه   تتتالى حـرة ضمن الحدود
قل لمن يأنف من تقليـده   أمن التجديد تقليد القـرود

(١٦٤) حكاية مغترب ص٤٩ .
(١٦٥) ادبنا وادباؤنا ص١٧٤ .

وهذا الفهم جعله لا يبتعد عن الشكل المعهود للقصيدة العربيـة لفظاً ومعنى وتصويرا ، ولذلك كان عربي الاسلوب لا تشوبه عجمة ولا رمـز أو ايغال في الغموض ، وهو كما قال الأخطل الصغير في معرض حديثه عن شـعراء الارجنتين العرب : « انكم ربطتمونا بخيط من حرير ، خيـوط دقيقة ، ولكنها أمتن الخيوط وأجملها »[١٦٦] .

وألفاظ صيدح هي ما عُرف في الشعر القديم وقد يغرب فتكون بعيدة عن غـير المختصين باللغة العربية . والامثلـة كثيرة منها لفظـة « بصّ » في قولـه :

يتمشى تحت المصابيح بصّت   تتحراه والضـباب يواري[١٦٧]

وبصّ : تلألأ .

ودردب في قوله :

أو يكن زوج دردب فَرَّ منها   ربّ هبه سلامة في الفرار[١٦٨]

والدردب والدردبين : العجوز الفانية .

والطغوى في قوله :

يحاول الطغوى على الحدود   وقيده الرملي لا الحديد[١٦٩]

والطغوى : الاسم من طغا أي جاوز القدر والحد .

ويلأى في قوله :

بعضهـا لا بدّ يـلأى   في الثرى يصغـي اليكا[١٧٠]

---

(١٦٦) ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية ص٤٦٠ .
(١٦٧) حكاية مفترب ص٢٨ .
(١٦٨) حكاية مفترب ص٢٩ .
(١٦٩) حكاية مفترب ص٤١ .
(١٧٠) حكاية مفترب ص٦١ .

ويلاى : يبطىء ويحتبس .

وكرمى في قوله :

البحر غازلها وفضض موجه   كرمى لها كرمى لعينك يا مها[171]

وكرمى : كرامة لك .

وزقّمه في قوله :

السهد زقّمه لحمي ولقّمه   همي وأسلمه للتيه في السحب[172]

وزقم : لقمه وابتلعه وبتضعيف القاف : أطعمه الزقوم .

وتزوّى في قوله :

أفديه وجهاً تزوّى   بكل وجه تبسم[173]

وتزوّى : تقبض .

والوضم في قوله :

قد غذيتم بلحمها   واختصمتم على الوضم[174]

والوضم : خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم .

والمعتّر في قوله :

فتراقصت آمال كل معتر   وترنحت أعطاف كل مرائي[175]

وقوله :

فقائلة شاخ المعتر واستوى   ولو جربتني جربت عزم جبار[176]

---

(١٧١) حكاية مغترب ص٩٩ .

(١٧٢) حكاية مغترب ص١٠٢ .

(١٧٣) حكاية مغترب ص١٥٣ .

(١٧٤) حكاية مغترب ص١٦٢ ، ديوان صيدح ج١ ص٢١ .

(١٧٥) حكاية مغترب ص٥٢ .

(١٧٦) حكاية مغترب ص١٨٢ ، ديوان صيدح ج١ ص١٣٦ .

والمعتر من الرجال : الغليظ الكثير اللحم ، القوي ويستعملها العامة بمعنى البائس المدقع ، أو السيء الحظ •

والأوداء في قوله :

رسمت عليه خيالكم ومحت　　　ما ترسم الأوداء والاكم•(١٧٧)

والأوداء : جمع الودأ وهو الهلاك ، وودىء : انقطع •

والرحراح في قوله :

آمنت بالادب الكبير بروحه　　　يسع الصغير بصدره الرحراح(١٧٨)

والرحراح : الواسع •

والصحصاح في قوله :

مالوا إليّ بسمعهم وكأنهم　　　قمم محدقة الى الصحصاح(١٧٩)

والصحصاح : ما استوى من الارض وكان أجرد •

والمهبج في قوله :

وأخوض الحياة يحدو سفيني　　　أمل هبّ في الشراع المهبّج(١٨٠)

والمهبّج : الثقيل •

والقرضاب في قوله :

قيثارة المحموم معزف أمة　　　تستل من قيثاره قرضابا(١٨١)

والقرضاب : السيف القطّاع •

---

(١٧٧) حكاية مفترب ص٢٣٥ •
(١٧٨) حكاية مفترب ص٢٧١ ، ديوان صيدح ج١ ص١٤٤ •
(١٧٩) حكاية مفترب ص٢٧١ ، ديوان صيدح ج١ ص١٤٥ •
(١٨٠) حكاية مفترب ص٤٠٢ ، ديوان صيدح ج١ ص١٨٦ ، ديوان النوافل ص٨٣ •
(١٨١) حكاية مفترب ص٣٩٤ •

وهناك ألفـاظ غير شـعرية أو غير موحيـة مثل خضخضوه ودردرت في قولـه :

خَضْخَضُوه فتلوّى وانسكب كسموط دردرت حباتها[182]

فهما على جفوتهما غريبتان ولا سيما الثانية وهي بمعنى لاك .

والحلاقيم في قوله :

تتلظى على الشفاه وترمي في الحلاقيم من لظاها شظيه[183]

وخروم في قوله :

وعلى الأفق الضبابي وشـاح في ثنـاياه خروم للقمـر[184]

ومطلوق وملصوق في قوله :

كان طوع الريح مطلوق السراح صار ملصوقا بجذع أو حجر[185]

ومتغرغرات في قوله :

متغرغرات طيبت أشداقها بالمسك تنضحه الجسوم أمامها[186]

وتقزز في قوله :

تقزز منه عيـون الأقاح وتطبق أجفانها إنْ دنا[187]

والمشـراط في قوله :

غريمنا الفجر يا ليلى ألم تره أدمى جناحا بمشراط من اللّهب[188]

ولفظة « المبضع » أجمل في الشعر وقد استعملها الشاعر فقال :

---

(182) حكاية مغترب ص14 .
(183) حكاية مغترب ص44 .
(184) حكاية مغترب ص69 .
(185) حكاية مغترب ص72 .
(186) حكاية مغترب ص100 .
(187) حكاية مغترب ص75 .
(188) حكاية مغترب ص102 .

رفقاً بها يا مبضع الجـراح شرّحت قلب الوالد الملتاح[189]

وإن استعمل « المشـارط » بصيغة الجمع في القصيـدة نفسـها وكانت أخَفَّ فقال :

ويحي دفعت الى المشارط فلذة كنت الضنين بها على الأرياح

و « المباضع » أجمل منها في هذا الموضع .

وصيدح على الرغم من هذه الالفاظ الغريبة ذو أسلوب واضـح ليس فيه أوَدٌ أو خروج عن الاسلوب العربي الرفيع . كتب ايليا أبو ماضي في السـمير (تموز ١٩٣٥) : « وهذا البلبل الصيدح من أكابر شعراء العربية في المهجر على قلة نظمه ، له قصائد خالدة أشهرها قصيدة « في غابة بولونيا » وعلى رغم الهجر والترك لم تفتقد شـاعريته لمعانها »[190] . وقال عنـه في قصيدته « بين مـد وجزر »[191] التي ألقاها في حفلـة تكريمه عندما زار نيويورك :

لا تسـألوني اليوم عن قيثارتي قيثـارتي خشب بلا أنغـام
يا شـاعراً غنّى فردّ لي الصبا فاذا مواكبـه تسـير أمامي
إنا التقينا في الشباب وفي الهوى في حومتين : الشـعر والالهـام
وسنلتقي وإن افترقنا في غـد في حب لبنان وحب الشـام
وستلتقي روحي وروحك بعدما تفنى الهيـاكل في الاله السامي
أهـلاً بذي الأدب الصراح المصطفى بالفـاتح الروحيّ بالمقـدام
بالشـاعر الغريـد في ألحـانه عبق الربيـع ونضـرة الاكمـام
هو إن ذكرت الشعر من أمـرائه واذا ذكرت المجد فهو عصـامي

وقال له بدوي الجبل : « في شعرك الديباجة الأنيقة المترفة والنغم المرح

(١٨٩) حكاية مغترب ص٤٠٧ ، ديوان صيدح ج١ ص٢٠٦ ، نبضات ص١١ .
(١٩٠) ديوان صيدح ج١ ص٦٦ .
(١٩١) الخمائل ص٢٠٦ .

الطروب والعاطفة الصادقة المرهفة وفي شعرك قبل هذا كله جمال سريرتك وعطر اريحيتك وشمول انسانيتك » .

وقال فؤاد الشايب : « إن شعر صيدح منحوت من جوهر اللغة الصافي، مصوغ بأدق تعابيرها وألفاظها ، منسجم مع سجيتها في المناعة والبساطة معا » . وقال نزار قباني : « وفي المهاجر لم يتحول الموال الى نغمة من نغمات الجاز ، بل ظل موّالاً بخصائصه العربية العميقة »[192] . وهذا صحيح لان الشاعر كان ذا أسلوب عربي لم تنحرف عبارته أو كلماته إلاّ قليلا وان كان يشعر ان لغته ضعيفة كما ذكر في قصيدة « أم النسور »[193] التي ألقاها سنة ١٩٥١ في النادي العربي بدمشق :

إني دخلت على عكاظ تطفلا   لولا قيام الغدر لم أتطفل
طبع التغرب في اللسان غرابة   فاذا رطنت فعادة في المقول
بقيتْ وقد زال الفراق فوارق   بيني وبين الناطقين المثل
فاذا أردت الشعر يجمع بيننا   أرسلته عيّاً ولم استرسل

وكما ذكر في أول رسالة أرسلها الى عيسى الناعوري سنة ١٩٤٩ : « إن في لغته ضعفا يدفعه الى الخجل ، وانه في حاجة الى نقاد يرحمون هذا الضعف ولا يقسون في التشهير » وقال الناعوري : « ولست أدري ما الذي أوحى الى الشاعر بهذا الوهم ، اذ الواقع ان لغته وشاعريته تستحقان التقدير والاعجاب . نعم لقد تنحرف في شعره لفظة عن قواعد سيبويه وضوابط المعجم ، ولكن يشفع لها جمال الانسجام والموسيقى في مكانها كما يشفع لها أنها لا تحتاج الى ترجمان يفسرها »[194] . وهذا صحيح لان

---

(١٩٢) ذكرت هذه الاقوال في غلاف حكاية مغترب .
(١٩٣) حكاية مغترب ص٢٤٥ ، ديوان صيدح ج١ ص١٢٧ ، نبضات ص٢١ .
(١٩٤) ادب المهجر ص٤٥٤–٤٥٥ .

صيدح لم يكن كما وصف نفسه في رسالته وأبياته ، وانما يشهد شعره وكتابه « أدبنا وأدباؤنا » ورسائله انه كان متمكنا من اللغة ذا ذوق رفيع وأسلوب بديع .

ولا يختلف بناء القصيدة في شعر صيدح عن بناء الشعر العربي القديم وان لم يكن فيها وقوف على الاطلال أو وصف للناقة ، ولعله أقرب الى شعراء الاحياء وإن بزّهم في وصف الطبيعة والحياة الجديدة في الامريكتين. ومن وصفه قصيدة « شلال نياغرا »(١٩٥) :

بركان أمواه يثور   تياره فلق الصخور
متمرد متفرد   لا في النهور ولا البحور
شاب الغرور جماله   يا للجميل من الغرور

ولعل أبدع مقطع في هذه القصيدة قوله :

يا ملهم الشعراء ليتك كنت من أهل الشعور
لبنيت صومعتي حيالك لا أزار ولا أزور
وشربت من ثرات موجك ما عصرت من الخمور
وغسلت روحي في عبابك من خباثات البثور

ومن قصائده الوصفية الجميلة « المستحمات »(١٩٦) التي نظمها عام ١٩٤٨ ولعل أجمل ما فيها قوله :

البحر غازلها وفضض موجه   كرمى لها كرمى لعينك يا مها
ألوى عليها لا يمل عناقها   وأطال في ترجيحها فأضامها
ترتاع إن غاصت وغابت أذرع   كنا نراعي في العباب صدامها
واذا بأجنحة الغمائم صفّقت   وارتدّت الامواج تحني هامها

---

(١٩٥) حكاية مغترب ص٦٢ ، ديوان النوافل ص٩٣ .
(١٩٦) حكاية مغترب ص٩٧ ، نبضات ص١٨ .

ولعل وصفه للخمر من أجود شعره الوصفي كما في قصيدة « الكوكتيل على الشاطىء »(١٩٧) وقصيدة « عام جديد »(١٩٨) . وعدّ عيسى الناعوري وصف صيدح لناطحات السحاب « أجود ما وصفت به هذه القباب الشوامخ التي تمتاز بها بلاد الدولار عن سائر البلدان . ومثل هذا الوصف دليل على خيال بعيد جداً يربط بين المحسوس وغير المحسوس برباط ساحر فتان »(١٩٩) . وذكر له هذين البيتين :

كوى تطل على الأكوان أعينها   وأذنها تستقي أخبار باريها
أنوارها تكشف الآفاق معلنةً   عن سلعة ربما الاملاك تشريها

وهما من قصيدة « تكريم في نيويورك »(٢٠٠) التي نظمها عام ١٩٣٩ .

ولم يخرج صيدح عن الوزن والقافية وإن نوّع في القوافي في بعض القصائد فجاءت مخمسات أو موشحات(٢٠١) ولا سيما شعر المرحلة الاولى الذي كان امتداداً لشعر القرن التاسع عشر .

وفي بعض قصائده التزام لروي واحد في الشطر الاول وروي واحد آخر في الشطر الثاني ، ففي قصيدة « المطر »(٢٠٢) قال :

طرقت نافذتي كف الرياح   ورمتني بقلامات المطر

واستمر في تقفية الشطرين كالمطلع الى آخر القصيدة التي بلغت ثمانية وثلاثين بيتاً . وفي قصيدة « الصبوح والغبوق »(٢٠٣) قال :

---

(١٩٧) حكاية مغترب ص١٤ ، ديوان النوافل ص١٦٣ ، ادبنا وادباؤنا ص١٩٦ .
(١٩٨) حكاية مغترب ص٣١ ، نبضات ص٧ .
(١٩٩) ادب المهجر ص١٣٤ .
(٢٠٠) حكاية مغترب ص٢٠٦ ، ديوان صيدح ج١ ص٧١ ، ديوان النوافل ص٩٠ .
(٢٠١) ينظر حكاية مغترب ص١١ ، ١٤ ، ١١٥ ، ٢٩١ ، ٣٠٢ ، ٣١٠ ، ٣٦٣ ، ديوان النوافل ص١٦٢ ، ٧٣ ، ١١ ، ٦٤ ، ديوان صيدح ج١ ص٣٥ .
(٢٠٢) حكاية مغترب ص٦٩ ، ديوان النوافل ص٢٠٣ .
(٢٠٣) حكاية مغترب ص٢٩١ ، ديوان النوافل ص١١ .

هيئي يا درة الخدر الشراب   وانزلي فالروض أبهى منزل

التزم بالباء في الشطر الاول واللام في الشطر الثاني الى آخر القصيدة التي بلغت سبعة وعشرين بيتا .

وقد يجمع في قصيدة واحدة البحر ومجزوءه كما في قصيدة « بين شاعر وقومه »(٢٠٤) قال :

هزأ السـهل بالجبل   قائلا يا أخا الكسل

ثـم قال :

سمع الطود فاشرأب ونادى   قتل السـهل بالجحود تمادى

وقد يجمع بحرين في قصيدة واحدة كما في « وكان الصباح »(٢٠٥) التي نظمها سنة ١٩٢٧ عند وصوله الى كراكاس عاصمة فنزويلا على رغبـة في الاستقرار . قال :

وكان الغـروب كئيبا يجوب شـغاف القلوب بألوانـه

وهذا من المتقارب ، ثم قال في القطعة الاخرى :

ثارت رياح القـدر الجـائره   تفتـك في أوراقه الناضـره

وهذا من السريع . ثم يعود الى المتقارب فيقول :

وكان الصبـاح وكان الأقـاح يزين البطـاح بعقيـانه

وكان صيدح كثير العناية بتنقيح شعره ويتجلى ذلك فيما نشر في كتاب « الناطقون بالضاد في اميركة الجنوبية » للبـدوي الملثم وكتاب « أدبنـا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية » لصيدح و « حكاية مغترب » له . فقـد حذف بعض الأبيات أو غيّر بعض الالفاظ في الديوان ، لزوال المناسـبة أو

---

(٢٠٤) حكاية مغترب ص٦٦ ، ديوان النوافل ص٥ .

(٢٠٥) حكاية مغترب ص١٦٩ ، ديوان صيدح ج١ ص٥٦ ، ديوان النوافل ص١٠٧ .

تغيرها . ومن ذلك قصيدة « بعد الهدنة » فقد حذف منها ثمانية أبيات عند نشرها في « حكاية مغترب » وهي الموجهة الى جريس أبي صباح صاحب جريدة « العالم العربي » في شيلي[٢٠٦] .

وكان يتابع تنقيح شعره بعد الطبع ، ففي « حكاية مغترب » قائمة بتصحيح أهم الاخطاء وكان بعضها تنقيحاً مثل :

يا ليته استأصل من نفسه　　　الفساد يوم استأصل الأجنبي

وأصبح في قائمة التصحيح :

يا ليته استأصل من نفسه　　　الاعفان يوم استأصل الأجنبي

وأصبح البيت بعد ذلك :

يا ليته استأصل من نفسه　　　الشحناء يوم استأصل الأجنبي[٢٠٧]

وبالمقارنة بين ديوان النوافل المطبوع عام ١٩٤٧ و «حكاية مغترب » المطبوع عام ١٩٦٠ يتضح أن الشاعر كان يعمل قلمه في التنقيح عند إعادة نشر القصائد في أكثر من اتجاه :

الاول : انه كان يغير أسماء القصائد فقصيدة « السهل والجبل » أصبحت « بين شاعر وقومه »[٢٠٨] .

الثاني : انه كان يغير بعض الالفاظ أو الأشطر كما في قصيدة « السهل والجبل » أو « بين شاعر وقومه »[٢٠٩] ، ولم يقف عند التغيير وانما حذف مقطعا منها .

---

(٢٠٦) حكاية مغترب ص٢٤٨ ، الناطقون بالضاد ج١ ص٥٢-٥٣ .
(٢٠٧) حكاية مغترب ص١٧٩ ، ديوان صيدح ج١ ص١٢٦ ، ديوان نبضات ص٣١ .
(٢٠٨) ديوان النوافل ص٥ ، حكاية مغترب ص٦٦ .
(٢٠٩) ديوان النوافل ص٥ ، حكاية مغترب ص٦٦ .

الثالث : انه قد يزيد ويغير ويحذف ، ومن ذلك قصيدة « لقاء بيروت »[٢١٠] التي حذف منها أبياتاً وأضاف اليها أبياتاً لم ترد في ديوان النوافل[٢١١] وقصيدة « دمشق الشام » أو « حنين الى دمشق »[٢١٢] فقد حذف منها كثيراً ولا سيما الأبيات التي يخاطب بها أحمد شوقي عندما نظم قصيدته :

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا   مشت على الرسم أحداث وأزمان

الرابع : انه قد يحذف ، فقد حذف مقطعين من قصيدة « السهل والجبل »[٢١٣] .

الخامس : انه قد يغير عنوان القصيدة وبعض الالفاظ وعنوان المناسبة كما في قصيدة «الخال بين الاطفال» التي نشرها في مجلة سركيس مُصَدَّرةً برسم يمثل الشاعر مع ابن اخته ممتطيا جواداً وابنة أخته متأبطة كلبها . ونشرها بعنوان « مع الحفيدين »[٢١٤] وهما ابنا جاكلين : جورج ورياض غصن ، وبين نشر القصيدة أول مرة وهو في الارجنتين وتوجيهها الى حفيديه وهو في بيروت عام ١٩٥٨ زمن بعيد .

وبالمقارنة بين ديوان « نبضات » و « حكاية مغترب » يتضح انه أعمل قلمه في التنقيح في أكثر من اتجاه :

الاول : انه غير أسماء بعض القصائد فقصيدة « لبيك يا مصر » أصبحت « حنين الى مصر »[٢١٥] .

---

(٢١٠) ديوان صيدح ج١ ص١٣٦ ، حكاية مغترب ص١٨٢ .
(٢١١) ديوان النوافل ص١٨ .
(٢١٢) ديوان النوافل ص٦٩ ، حكاية مغترب ص١٢٦ .
(٢١٣) ديوان النوافل ص٥ ، حكاية مغترب ص٦٦ .
(٢١٤) ديوان النوافل ص٢٨ ، حكاية مغترب ص٤١٦ ، ديوان صيدح ج١ ص٢٢٥ .
(٢١٥) نبضات ص١٥ ، حكاية مغترب ص١٤٣ .

الثاني : انه غير بعض الالفاظ والاشطر من ذلك قوله :

وتأسى بالليالي ستـرت دمعه الجـاري على خـد الكرامـه

أصبح :

وتأسى بالليالي ستـرت ما أباح الدمع من سـر الندامه[216]

الثالث : انه قد زاد أو غيّر وحذف ومن ذلك قصيدة « وطني »[217]

الرابع : انه قد حـذف كما في المقطع الاخـير من قصيدة « عـام جديد »[218] .

الخامس : انه قد غيّر عنوان القصيدة وبعض الالفاظ والابيـات وعنوان المناسبة كما في قصيدة « الكوكبان » التي نظمها في بوينس ايرس في تشرين الاول سنة ١٩٤٨ بمناسبة تقديم وزير لبنان أديب نحاس أوراق اعتماده الى بيرون رئيس حكومة الارجنتين . وأخـذ بعضها وغيّر فيهـا وأضاف وأصبحت « قطبان في العليا » ووضع لها عام ١٩٦٠ مطلعا ووجهها بمناسبة اضافة بطريرك العرب مار بولس المعوشي الشاعر القروي أيامـا في قصر البطريركية في بكركي وأدب أصحابه تكريما له[219] . ومثل قصيـدة « هواجس سائح » التي نظمها في جبال كوردوبا في كانون الثاني عام ١٩٤٩، أصبحت « هواجس » وقد نظمت في بيروت سنة ١٩٥٦ صدى المؤتمـر الذي عقده الملـوك والرؤساء العرب في بيروت على أثر العدوان الثـلاثي على مصر[220] .

---

(٢١٦) نبضات ص٥ ، حكاية مغترب ص٨٧ .
(٢١٧) نبضات ص٢٠ ، حكاية مغترب ص١٢٣ .
(٢١٨) نبضات ص٧ ، حكاية مغترب ص٢١ .
(٢١٩) نبضات ص١٧ ، حكاية مغترب ص٢٨٧ .
(٢٢٠) نبضات ص٢١ ، حكاية مغترب ص٣٦١ .

وطبع عام ١٩٧٢ الجزء الاول من ديوانه وأعمل في شعره قلم التنقيح في أكثر من اتجاه :

الاول : انه غيّر أسماء بعض القصائد ، فقصيدة « القلم المداد » أصبحت « مأساة القلم المداد »[٢٢١] ، وقصيدة « في دمشق » أصبحت « عدنا الى الفردوس »[٢٢٢] .

الثاني : انه كان يغيّر بعض الالفاظ والأشطر ، فقوله :

النازلين من الابراج عند ذرى   تشتافها الارض قاصيها ودانيها

أصبح :

النازلين من الابراج عند ذرى   أقصى الشعوب وأدناها يراعيها[٢٢٣]

ومن أوضح ألوان هذا التغيير ما أحدثه فيقصيدة «تكريم في كراكاس»[٢٢٤]

الثالث : انه قد يضيف الى القصيدة كما في « بلاغ » التي سماها « معرض دنيا الفن »[٢٢٥] فقد أضاف في أولها أربعة عشر بيتاً وقال : إنها ألقيت في حفلة تكريمه عند زيارته المعرض العالمي في نيويورك سنة١٩٣٩م .

الرابع : انه قد يزيد ويغيّر كما في قصيدة « القلم المداد » التي أصبحت « مأساة القلم المدّاد »[٢٢٦] وأضاف اليها وأحدثفيها بعضالتغيير.

الخامس : انه قد يحذف بيتاً أو مقطعاً كما في قصيدته التي رثى بها أمه عام ١٩٢٨[٢٢٧] .

---

(٢٢١) حكاية مغترب ص٣٤ ، ديوان صيدح ج١ ص١٦١ .
(٢٢٢) حكاية مغترب ص١٧٦ ، ديوان صيدح ج١ ص١٢٢ .
(٢٢٣) حكاية مغترب ص٢٠٧ ، ديوان صيدح ج١ ص٧٢ .
(٢٢٤) حكاية مغترب ص٢٣٩ ، ديوان صيدح ج١ ص١١٥ .
(٢٢٥) حكاية مغترب ص١٠٥ ، ديوان صيدح ج١ ص٦٥ .
(٢٢٦) حكاية مغترب ص٣٤ ، ديوان صيدح ج١ ص١٦١ .
(٢٢٧) حكاية مغترب ص٤٢٣ ، ديوان صيدح ج١ ص١٨٨ .

السادس : انه قد يقدم ويؤخر كما في قصيدة « تكريم في الارجنتين » أو « تكريم في بوينس ايرس »[228] .

والتنقيح في شعر صيدح كثير جداً ، ولعل سبب ذلك انه عاش عمراً طويلا تطورت فيه شاعريته وانه كان كثير الدواوين مما جعله يعمل قلمه ليصل الى شعر رائع ليكون الصورة الاخيرة لشاعريته . وكان معظم ذلك التنقيح الى الأجود ، وبذلك كان جورج صيدح شاعر الكلمة العذبة والاسلوب الرفيع .

٣٠

جورج كعدي

١ ـ الذات

وصل الى الكويت في الشهر الخامس من عام ١٩٧٥م طرد بريدي باسمي وعليه ختم لاباس ـ لاباز ـ عاصمة جمهورية بوليفيا في أمريكة الجنوبية ، فاستغربت وقلت لنفسي : من أين هذا الطرد ولا أعرف أحداً هناك ؟ وفتحته على حذر فقد انتشرت في تلك الأيام الطرود والرسائل الملغومة ، وما أن مزقت الغلاف حتى رأيت « الديوان الجديد » للشاعر المهجري جورج كعدي وعليه بتأريخ الخامس من تشرين الثاني ١٩٧٤ هذه العبارة : « الى الاستاذ الكبير أحمد مطلوب تقدمة ولاء واحترام ومحبة من الناظم جورج كعدي » . فسررت أيما سرور لانه تكريم يأتيني من عربي هجر أرضه ولم يهجر أمته وظل في غابات بوليفيا يتغنى بالوطن والعروبة . وأرسلت اليه رسالة شكر ومعها قصيدة قصيرة ، وخفت ألاّ تصل الرسالة والقصيدة فنشرتهما في مجلة الأديب البيروتية وها هي :

« الى الشاعر المهجري جورج كعدي :

تسلمت هديتك الثمينة « الديوان الجديد » وسررت به أيما سرور ، وحمدت الله الذي وحّد بين قلوبنا على بعد الدار فأصبحنا بنعمته إخواناه

إن الصحارى الشاسعات والبحار الهادرات والجبال الشاهقات لم تحل في يوم من الأيام بين الاخوة العرب ، وان الذين تركوا ديارهم ظلوا أوفياء لها مخلصين . وقد علمتنا الحياة أن أمة العرب خالدة مهما غفت أو كبت، وما تلك إلاّ غفوة ترقب أو كبوة توثب ، وان ما في عروقنا من دماء عربية ستظل الصوت الهادر في سبيل التحرر والانعتاق . وقد تجلى ذلك في

« الديوان الجديد » الذي عكفتُ عليه وتأملت كلماته ، فاذا هو ايمان بالله وحب للوطن واخلاص للأمة .

إنك أيها الأخ الكريم لمن المجاهدين الابرار والابطال الاحرار الذين سيخلدهم تأريخ هذه الأمة حينما ينصف أبناءها المغتربين ، وان كلماتك ستورق ، وان أبياتك ستزهر ، وإن قصائدك ستثمر باذن الله ، ويومئذ يفرح المؤمنون :

أخي إن نأت بك بوليفيا فأنت هنا الشاعر المُلْهَمُ
كأني أراك وأصغي الى ندائك والشوق قد يُلْهم
وان قصيدك في صدقه لأقوى من الشك إذْ رجّموا
حَنَنْتَ الى الارز حتى هَفَتْ جبال وغنّت لها أنجم
وصُغْتَ ليعرب أسمى هوى يظل – كما صُغْتَه – يبسم
وذلك من شرف باذخ نماك وما المجد إلاّ هُمُ
ظللت على غربة من نوى تغني وداؤك لا يرحم
وتبقى وتبقى أبياً كما عهدناك يا أيها الأكرم
فشعرك أخلد مما بنوا وحبك أصدق بل أعظم[1]

كان ذلك قبل أحد عشر عاماً ومات الشاعر بعد نشر الرسالة والقصيدة في صيف عام ١٩٧٥ ونعته مجلة الأديب البيروتية[2] . ولا أدري إن كان قد قرأهما أو قرأ ما نشر في مجلة الأديب ، لانني لم أتلق خبراً أو رسالةً منه .

إن جورج كعدي من شعراء المهجر الذين تغنوا بالعروبة في ديار

---

(١) مجلة الاديب العدد (٨) آب ١٩٧٥ ، وقد كتبت الرسالة والقصيدة في الكويت بتاريخ ٢٢–٥–١٩٧٥ .

(٢) مجلة الاديب – الجزءان ١١ و١٢ – نوفمبر وديسمبر ١٩٧٥م ص٦٤ .

الغربة وشغلتهم قضايا الأمة العربية فعبروا عنها شعراً عربياً تردد في جنبات المحافل وزهت به صفحات الصحف والمجلات • ولم أجد من اهتم به أو كتب عنه دراسة ، وحينما اتجهت الى أدب المهجر وأخرجت عام ١٩٨٥ كتاب « القروي شاعر العروبة في المهجر » وزرت أمريكة اللاتينية في صيف العام نفسه ، قررت أن أسير في هذا الاتجاه لألقي الضوء على بعض شعراء المهجر الجنوبي الذين تمسكوا بوطنهم ولغتهم ولم تصهرهم البيئة التي كدحوا فيها وعاشوا زمنا طويلا يكافحون من أجل لقمة الخبز ويذودون عن العروبة وقيمها الخالدة وهم مزهوون بها ، فخورون بأمتهم ورسالتها السماوية السمحاء •

وليس في الكتب التي تعرضت لأدباء المهجر إلا أسطر قليلة أو اشارات عابرة الى كعدي قديس العروبة في بوليفيا ، لان تلك الكتب اهتمت بمن اشتهروا أو حامت حولهم الدعاية ولم يكن جورج كعدي واحداً منهم •

ولد الشاعر جورج بن حنا بن شحاده كعدي في بسكنتا المتكئة على صدر صنين في لبنان سنة ١٩١٠ أو ١٩١١ أو ١٩١٢ من أبوين يجهلان القراءة والكتابة[٣] ، ودخل مدرسة القرية وبقي فيها سنتين ، وفي عام١٩٢٥ هاجر الى البرازيل وهو في الرابعة عشرة من عمره طلباً للرزق ، وهناك كدح في النهار وتعلم العربية والانكليزية والبرتغالية والاسبانية والفرنسية والالمانية في المساء ، وبدأ ينظم الشعر وينشر بعضه في مجلات المهجر كالعصبة والشرق والكرمة والاندلس الجديد بتوقيع « شاعر صنين » أو « الشاعر المتألم » أو « البدوي التائه » أو « لاجىء » أو « ابن البادية » أو « عصام »[٤] • ووفقه الله في التجارة ولكنه فقد ثروته فترك البرازيل

---

(٣) ينظر الديوان الجديد ص٥ ، الكعديات ج١ ص٥ ، الناطقون بالضاد ج١ ص٤٤١ ، ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية ص٥٢٢ ، ادب المهجر ص٦١١ ، تاريخ الشعر العربي الحديث ص٣٥٢ .

(٤) ينظر الناطقون بالضاد ج١ ص٤٤٢ .

عام ١٩٣٧ واتجه الى بوليفيا التي لم تكن فيها جالية عربية في ذلك الحين[٥]. وفي لاباز العاصمة سعى بجد فتحسنت حالته المالية واطمأن بعد خوف فعكف على القراءة ونظم الشعر ونشره ، يقول : « فكنت أزاول التجارة نهاراً وأرعى النجوم وأنظم الشعر ليلا »[٦] . وتزوج عام ١٩٤٨ فتاة فلسطينية المولد وأنجبت له ولداً سماه فاروقاً وبنتين ثريا وقد ماتت صغيرة فبكاها أحر البكاء ، ودلال . وأصيب في ديار غربته بالامراض الكثيرة وأجريت له ست وعشرون عملية جراحية ، ووقر سمعه ولم يعد يسمع إلا اذا رفع محدثه صوته أو صرخ عالياً . وتحمل ذلك كله وصدم بوفاة أمه وخاله في حزيران ١٩٥٢ فأصيب باغماءة نقل على أثرها الى المستشفى وأجريت له بعد ذلك عدة عمليات .

وهاجر عام ١٩٥٤ الى شيلي واستقر في عاصمتها سانتياغو[٧] ، وكان أحد مؤسسي الندوة الأدبية فيها[٨] ، غير انه لم يرتح في شيلي وعاد الى لاباز عاصمة بوليفيا وظل يكافح ويسعى في الارض حتى توفاه الله في صيف عام ١٩٧٥[٩] ، ونعته مجلة الأديب البيروتية .

لجورج كعدي شعر كثير نشر بعضه وله :

١ ــ ديوان الكعديات : وهو بناية من الشعر الوطني والوجداني ، صدر جزؤه الاول في بيروت عام ١٩٦٩ في ٣٠٣صفحات من القطع الكبير، وكتب مقدمته كعدي الكعدي . وذكر أحمد قبش ان جزءه الثاني صدر في بيروت عام ١٩٦٩ أيضا في ٢٤٧ صفحة[١٠] ولم أطلع عليه وحاولت العثور

---

(٥) ينظر الناطقون بالضاد ج٢ ص٥٥٨ ، ٦١٨ .
(٦) الديوان الجديد ص٦ .
(٧) ينظر الناطقون بالضاد ج١ ص٤٤٢ .
(٨) ينظر الناطقون بالضاد ج١ ص٤٣٨ .
(٩) كان مقيما في لاباز حينما ارسل الي ديوانه الجديد في آخر عام ١٩٧٤ .
(١٠) تاريخ الشعر العربي الحديث ص٣٥٢ .

على نسخة منه واتصلت بجامعة اليرموك في أربد والجامعة الاردنية في عمان لعلي أحصل على مصورة له ، وكان الجواب : انه غير موجود .

٢ ـ الديوان الجديد : وهو بناية من شعر العروبة والوجدان ، صدر في بيروت عام ١٩٧٣ في ١٦٨ صفحة من القطع المتوسط ، وكتب مقدمته الدكتور صلاح الدين المنجد .

٣ ـ الاحلام : ديوان شعر بالاسبانية صدر في بوليفيا ، ووقف ريعه على لجان اغاثة اللاجئين .

٤ ـ ثريا : وهو مجموعة القصائد التي رثى بها ابنته ثريا وكتب مقدمتها زميله الشاعر زكي قنصل الذي فجع بابنته سعاد فبكاها أحر البكاء ورثاها بقصائد جمعها في كراسة صغيرة عام ١٩٥٣م ، وكأن كعدي يقتفي خطواته بهذا الديوان الصغير .

٢ ـ الوطـن

تلك لمحة عن حياة كمـدي وهي موجزة كل الايجاز ، ولكن روحه العربية كانت أوسع وأرحب مدى ، فقد تغنى لها وهو في ديـار الغربـة يكـدح من أجل الحياة . وكانت الغربة تؤذيه فيحن الى وطنه لبنان الذي فارقه وهو صغير وألقى بنفسه في مجاهل امريكة . وهناك بدأ يتحدث عن هجرته وغربته وآلامها :

بلبل من بلابل الأرز أقصته عن الوكر محرجات جسامُ
فمضى في مناكب الارض يشدو ومن الشـدو لاعج وضـرام
تاركاً في ربوع لبنان قلبا حطمتـه الآلام والأسقام
لا ينـي يرقـب النجـوم الى الصبح كئيباً مضعضعاً لا ينـام
فاذا أقبل النهـار تغنى بقصيـد يهتاج منه الحمـام
فتموج الرؤى على صفحـة الأفق وفي الافق زرقـة وابتسـام
وعلى الأفق هينمـات نفوس أترى في سـمائها تستضام
ربما ربما وإنـيَ أعيـا بجـواب يحلّه العـلّام
هكـذا عيشـنا غموض وأسـرار طـوال يحيطها الإبهـام[11]

ويخاطب الطائر فيقول في قصيدة « يا بناة الحدود »[12] :

أيها الطـائر المغـرد في الروض على منبر الغصـون اللدان
نحن صنوان في اغتراب ووجـد وشـعور مخضوضر مرنان
إن في صوتك الشجيّ حنينا كحنيني الى ربى لبنـان

---

(١١) الديوان الجديد ص٩٤ ، قصيدة « انا والوطن » .
(١٢) الكمديات ج١ ص١٢ .

ويخاطب البدر :

يا بـدر ما لي سـائلا إننا صنوان في حمل الشقا والغموم
هذا أنا في مهجـر تائـه أضعت مالي وخسرت العلوم
وقطّع الدهـر خيوط المنى وحقق الدهـر نوايا الخصوم
وأبعد الشـاعر عـن عشـه وأخرس البلبل هجر أليم
يغـالب الآلام في عزلـة عن عالم الحس وكأس النديم
فهل ترى يا رب يلقى المنى في الموت أم يبقى شقياً يهيم(١٣)

ويصوّر الغربة القاسية والهم الذي ينشره حيناً ويطويه حيناً آخر :

أعيش في وحدة كالموت قاسـية والهم ينشـرني حينا ويطـويني
في بيئـة كل ما فيها يعـذبني كأنما أنا في أسـر الشـياطين
فلا نواعس ألحاظ تحركني ولا فواتن بالايناس تغريني
أحيا بها وثيوب البؤس تنهشني كأنني حَمَل" في فك تنين
فكل شيء أراه كالحـاً شـئماً ما دمت مبتعداً عن طـود صنين
اني أحـوم بروحي فوق قمتـه كحائم الطير في خضر البسـاتين

ويتذكر لبنان :

وإن تذكرت لبناناً فلا عجب إن الحنـين لمـرآه ليكـويني
إن السـعيد الذي يحيـا بأربعه لا مثريـاً يتباهى بالملايين
فهل أعـود اليه طارحاً ألمي وأكحل العين من أضواء صنين(١٤)

وفي قصيدة « غربتي »(١٥) يتحدث عن الغربـة وآلامها ويصور ما يعـانيه العربي في تلك الديار النائية :

---

(١٣) الكمديات ج١ ص٢٩ ، قصيدة « يا بدر » .
(١٤) الديوان الجديد ص٣٢ ، قصيدة « كان لي النفس اطراف السكاكين » .
(١٥) الديوان الجديد ص٨٦ .

ضرب الهم بقلبي الطنبا وأراني في النهار الشهبا
ورماني بالأذى في غربة تركت في غور نفسي ندبا
غربة لله ما أفظعها ذوقتني من بلاها العجبا
وأرتني الهول بحراً صاخباً تدفع الأرزاء فيه النوبا
زمجرت أمواجُهُ لاطمة شط صبري فانثنى مضطربا
ليس أشقى في الورى من شاعر لجّج البؤس به فاغتربا
عن بلاد إن تغب عن ناظري فهي في قلبي جمال وصبا
عن جنان الوحي عن مهد الرؤى عن حمى صنين عن شيخ الرّبى
ضارباً في منكب الارض على صهوة المجد أرجّي الغلبا

ويخاطب الطائر ويسأله عن الاهل والوطن :

يا أيها الطائر فوق الغمام هلاّ ذكرت الأهل في بلدتك
في الوادِ في صنين ملهى الصبا أيام تشدو الشعر في روضتك
الأم والاحباب فيه ثووا وأنت تجني الهم في غربتك
تشكو وما من سامع شاعراً هيهات تنفي الهم في شكوتك
فالجأ الى الغابات عند المسا وأنَسْ الى الازهار في وحدتك
وأذرف دموع اليأس في غربة كل معاني الشوق في دمعتك
واحْمَدْ لأمر الله مستسلماً حتى يمنّ الله في عودتك(١٦)

ويحيا في أرض لا سمير بها إلا الهموم والآلام :

أحيا غريباً بأرض لا سمير بها إلا الهموم وإلا اليأس والوجعا
أطوي لياليّ والآلام تنهشني وأزجر الدمع في جفني إذا همعا
لكن لي همة كالطود شامخة تأبى الهوان وتأبى الحرص والجشعا(١٧)

---

(١٦) ادب المهجر ص٦١٥ .
(١٧) الكعديات ج١ ص٢٠ ، قصيدة « لكن لي همة كالطود شامخة » .

وصارت الغربة داء ، لان الشاعر أصيب فيها بأمراض كثيرة ، وأصبح عرضة للمباضع والعمليات الجراحية ، وما أفظع الغربة حينما تصبح داءً يعيي الاطباء :

أحيا غريباً بقفر لا سمير به — إلاّ الهموم وقد هدَّمْنَ بنياني
داء وغربة نفس لا حدود لها — في بيئة جرعتني كل ذيفان
تشدني لفراشي كل مؤلمة — من الحوادث هدت ركن أركاني
تحت المباضع أبلو كل نازلة — أيوب لم يَبْلُها من دهره الجاني

ولكنه قوي بايمانه العظيم :

لكنني رغم ما ألقاه من عنت — أعيش في غبطة في ظل ايماني
أمري لربي أقضّي العمر محتسباً — فلست أشكو مضاضاتي لانسان
أعيش مبتسماً بالله معتصماً — من كل طاعون شر آثمٍ جان[١٨]

وتظل الشكوى من الغربة تتردد في شعره على الرغم من أنه نعم بالحياة بعد أن استقر في بوليفيا وتحسنت أحواله المالية وذاع صيته بين أدباء المهجر . وفي قصيدته الى « الشاعر حافظ جميل »[١٩] يصوّر حياته في ديار الغربة :

يا أخي يا جميل لو كنت تدري — كيف أشقى بغربتي كيف أألم
نصف قرن في وحشة أتقلى — فوق جمر يزيد همي هم
أتفانى خلف النضار ولكن — لست أجني إلا السراب المجسم
فاذا الجسم بعد طول كفاح — صار من وهنه ركاماً محطم

---

(١٨) الديوان الجديد ص٦٢ ، قصيدة « داء الغربة » .
(١٩) الديوان الجديد ص٥٠ ، وحافظ شاعر من العراق توفي في الرابع من ايار عام ١٩٨٤ وله عدة دواوين مطبوعة .

ويصرخ :

حتام أحيا غريباً تائهاً أبداً ... الليل محتكمي والشهب أخداني[٢٠]

لماذا ؟ لأن الحياة لا تطيب له في الغربة :

أنى تطيب لي الأيام مبتعداً ... عن موطن زينة الأوطان والامم

اني أعيش غريب الوجه مختزلاً ... لا خل يؤنسني في الموقف العرم[٢١]

ولكنه صبر وتحمل آلام الغربة والداء وتحدى الخطوب :

ما ارديني في غربتي واستبدي ... وأثيري عوامل الكون ضدي

وتحدي صبري الجميل فاني ... بت فوق الاحقاد فوق التحدي

فوق تلك الآلام تصدم روحي ... فوق رند الآلام تنهش كبدي

رب داء كان الدواء لمضنى ... عاش ذبيح النوى أليفاً لسهد[٢٢]

ويسأل :

ذا موطني الغالي فكيف هجرته ... متغافلاً عما يخبئه الغد

لماذا الهموم تنوشني في مهجر ... والمال أربح حره وأبدد

واعيش اهب الداء لا متشكياً ... دهري ولست أنوح أو أتوجد

والنفس ترحى في مجاهل غربة ... تبغي لقاء إلهها فتزغرد[٢٣]

وما حصيلة الغربة ؟ انها أحلام :

خمسون عاما وراء المال مهدرة ... كانت حصيلتها أحلام وسنان

اني أحن لأهلي في حمى وطني ... اشتاق صنين والوادي واخوالي

---

(٢٠) الديوان الجديد ص٧٥ .
(٢١) الديوان الجديد ص٨٠ .
(٢٢) الديوان الجديد ص١١ .
(٢٣) الديوان الجديد ص٧٩ .

أهوى البلابل تشدو فوق رابية   فتسكر الروض من شدو وألحان
والأرز زنبقة الدنيا بلا جدل   وسيد الحسن ان الحسن رباني[٢٤]

ثم ماذا ؟

لم نمتع بالعيش فيه طويلاً   فهجرناه طامعين بمال
وهدرنا شبابنا واكتوينا   بآلام تضج بالأهوال
فسعينا ورا الثراء وصلنا   في مجال الجهاد كل مصال
فحصدنا بعد العناء هواءً   وكتبنا على أديم الرمال
فاستنامت آمالنا واضمحلت   في ربى النفس أمنيات غوالي
وحيينا في عيشة تشبه الموت جفافاً   والدرّ في الأوحال
وعدتنا عن الرجوع عوادٍ   ودواهٍ دواهم كالنصال
فاعتصمنا بالصبر وهو جميل   وقنعنا من عودنا بالخيال[٢٥]

ولم يفارق وطنه عن قلى :

لم نفارقه عن قلى وجفاء   انما ضاق عن طموح الكبير
فتشردنا تحت كل سماء   وصمدنا لكل شأن خطير
وبلونا من المصاعب أقصاها   وما انهار عزمنا من قصور
فجبهنا حوادث الدهر جهماء   وفزنا بعد العنا بالقشور
غير ان الحنين للأرز باقٍ   لم تغير منه عوادي الدهور[٢٦]

وكان فراقه حينما ضاق الرزق فيه :

لم نخلفه عن قلى يعلم الله   فلبنان موكن العتبان
انما ضاق رزقنا في حماه   فشددنا الرحال للهجران[٢٧]

---

(٢٤) الديوان الجديد ص٢٤ ، قصيدة « الارز في خطر » .
(٢٥) الديوان الجديد ص١١٨ ، قصيدة « وقنعنا من عودنا بالخيال » .
(٢٦) الديوان الجديد ص١٣٥ ، قصيدة « لم نفارقه عن قلى » .
(٢٧) الكمديات ج١ ص١٣ .

وكانت هجرته اضطرارا :

فانثنت تملأ الفضـاء غناءً وتثـير الحنـين والتذكارا
لبـلاد حملتهـا في فؤادي وربـوع هجرتهن اضطرارا
نحن في غربة نعيش على الكـد ونجني من كدنا الاصفـارا(٢٨)

وكانت من أجل الثراء :

قد هجـرنا الربوع كي نـنـال الثـراء
فاسـتحال الرجوع وحصـدنا الشـقاء
وأضعنا الهدى(٢٩)

وكان يحلم بالعودة :

وان تذكـرت لبناناً فلا عجب ان الحنـين لمـرآه ليكويني

ويسأل : هل أعود اليه وأمتع ناظري بجماله ؟

أتـراني أمضي اليه وشـيكا فألم الزهور من بيلسـانه
وأناجي سـماءه مسـتحماً بضيـاء ينهل من شهبانه
أم سأبقى في غربتيَّ شريداً كهزار قد ضلّ عن بستانه(٣٠)

وكان حزنه يشـتد حينما يحس بأنه سيموت بعيداً عن وطنه :

وأنا الشـاعر الذي فاق أيـوب عـذاباً في سـقمه وأنينـه
بين قـوم لا يفهمون بتاتاً أي معنى لشـعره ولحونه
سوف يقضي عن الديار بعيداً وطيوف الديار ملء جفونه(٣١)

---

(٢٨) الديوان الجديد ص١٣٦ .
(٢٩) الكمديات ج١ ص٢٨٤ .
(٣٠) الديوان الجديد ص٤٧ .
(٣١) الديوان الجديد ص١٠٨ .

ويسـأل :

يا جناحاً حطَّ في أرض السوى   هل ترى ترجع للـدار غدا[٣٢]

ولم ينس أهله ووطنه في الغربة وظل يحنّ اليهم كحنين الطفل الى مرضعته:

إني أحنّ الى لقاهـم مثلما   يهفو الرضيع الى ذراع المرضع
اني أعيش بغربـة لكنني   أبداً اليهم رغم بُعْدٍ مَنْزَعي
لكن تصـدّ عن الرجوع عوامل   شدّت عليّ وصعّبت من مرجعي
إني سأنشط للرجوع الى الحمى   لا مطمـع لي غير هذا المطمـع
لأكحلنّ بمرأى صحبي باصري   طال البعاد على الأديب الموجـع
واعفـرنّ بتربه لي جبهـة   شـمخت على رغم الزمان المفجع
عربية الانساب في قسـماتها   سـر البطولة والابـاء الأرفع
صمدت على مرّ الخطوب فما ونت   يوماً ولم تجبن ولم تتفزع[٣٣]

وهو معهم وان كان جسده بعيدا :

كفاني في منفـاي هماً وحسـرة   تمزق من صدري وتخفض من بأسي
أعيش بجسمي في بـلاد غريبـة   وقلبيَ في لبنان حيث نما غرسي[٣٤]

وفي سـفح صنـين بات أهلـه هانئين ، أما هو فقد عاش في قفـر غريب الوجه مضطرباً كزهرة تحتضر :

في سـفحه بات أهلي هانئين به   وكان لي في بعادي الداء والكدر
على المباضع سالت مهجتي وغدت   ركائز الصبر بعد الدعم تناطـر
كأنني هدف الآلام تضرسـني   وفي نواجذها الأسقام والخطر[٣٥]

---

(٣٢) الديوان الجديد ص٢٧ .
(٣٣) الديوان الجديد ص١١٩ ، قصيدة « تنمى لاعرق امة عربية » .
(٣٤) الكمـديات ج١ ص١١٣ .
(٣٥) الديوان الجديد ص١٤ .

ويظل يحلم بوطنه :

غريب أحن الى موطني وأهوى انعتاقي وفكّ القيود
هناك أرنم في مأمن أغاني حب تجوز الحدود
وتطوي رباع القلى والضلال
هنالك في موطن الشاعر جبال ثلوج بحيرات نار
هناك شموس بلا آخر تمجّ ضياءً كذوب النضار
فدنيا جمال ودنيا جلال ورقص حوار ورقص ظلال
فترجع نفسي لأحلامها(٣٦)

وفي قصيدة « العودة »(٣٧) شوق الى الوطن وحلم بجماله وشكوى من الغربة وندم على ما فات :

أعود الى موطني الأبدع لانهل من حسنه الأروع
وأطلق فكري بأجوائه فأحلم بالارحب الأوسع

ويستمر في الحديث عن وطنه وتصوير طفولته السعيدة في ربوعه :

كذا كنت أحيا نعيم الصبا سعيداً هنيئاً بلا مطمع
الى أن غوتني غواني العلى فغادرت مضطرباً مربعي
فرحت أجدّ وراء الثراء فكنت أغذّ الى مصرعي
وتنهش روحي أفاعي النوى كنهش المتاعب في أضلعي
وهدّم جسمي ركوب الخطوب فسال جراحاً على مبضع
بلوت بمهجتيَ الأقورين وعاشرت كل ثقيل دعي

ويزفّ البشرى الى رفاقه ويبشرهم بالعودة :

(٣٦) الكمديات ج١ ص١١٧ ، قصيدة « فترجع نفسي لاحلامها » .
(٣٧) الكمديات ج١ ص١٧٨ .

غـداً يا رفاق الطريق غـداً أعـود الى زاهـر الأربع
فأحثو ثراهـا على جبهتي وأحـلم في جوها الممتـع
وأكحـل عيني بمرأى الربى وذوب جمال الفضـا الأنصع
وصنـين جبـارَ ذاك الحمى تخـايل في عرشـه الأرفع
جعلت هوى أرضـه كعبـة وهيكل أقداسـه مطمعـي

ويخاطب بلاده :

بـلادي بلاديَ ها أنـذا أعـود الى ريق المرتـع
أعـود لأغرق في غنـوة على رقصة الشـعر في المنجع
لأركع عنـد ثـراك لاني لغـير جـلالك لم أركـع
سأحظى بلقياك وقتا قصـيراً فلا أختشي بعد ذا مصرعـي

وظل لبنـان صـورة حية في شـعره وظلت رباه وأرزه وبحره في خاطـره لا تبرح عينيه ولا تغادر قلبه :

هو في غربـة يعيش ولكـن روحه السـمح في ربى لبنانه
فهو حيناً يرف فوق سـحاب وهو حينا يطوف في وديانـه
معبد الله أرزه في حمـاه وجلال الأقداس فوق رعـانه
ومحيـا صنين يطفح بشـراً ودموع الصبـاح في حوذانه
إن لبنان والسـماء سواء فمن العرش نفحـة في كيانـه
أنا أشـتاقه فتغلي بصـدري حمم الوجـد من لظى نيرانـه
وهو الشوق نفحة من عـذاب ودموع تسـيل من أجفانـه
وحنين الفؤاد يزداد عنفـاً لشميم الخلود من ريحانه(٣٨)

ويهزه الشـوق الى لبنان ويخاطب نسيم الصبا ليبلغ سلامه :

---

(٣٨) الديوان الجديد ص٤٧ ، قصيدة « ان لبنان والسماء سواء » .

يا نسيم الصبا سألتك بلغ طود صنين ما ترى من هيامي
هو مهدي ومنيتي ومرامى وعسى أن يكون فيه حمامي
والروابي وما أحيلى الروابي حيث تمشي مواكب الأحلام
والضياء المشع كلّل أعلا ها أكاليل من سنى بسّام
والنسيم العليل وَشْوَشَ للزهر حديثَ المتيم المستهام
والحساسين تملأ الروض شَدْواً فتثير الحنين في الأنسام(٣٩)

ويتغنى بعيد لبنان ويبدع في وصفه فيقول في قصيدة «عيد لبنان»(٤٠)

عرائس الشعر هذا عيد لبنان أطلّ يحمل بشرى الحق نوراني
عيد مجيد من الأعياد مبتكر كما ابتكرت بشعري وصف بستان

ويصف جمال لبنان وسحره :

إذا النسيم تهادى في خمائله حسبته زفرات الشاعر العاني
والماء يحكي لجينا في جداوله ودفقة الضوء فيه ماء عقيان
وللحساسين فوق الدوح زقزقة كأنما رددت في الروض ألحاني
وللفراشات فوق الزهر رفرفة كما ترف الرؤى في نفس فنان
وللينابيع أنّات محببة تحكي أنين غريب نضو هجران
وما الغريب وإن أثرى بنافعه مال تجمّع من همّ وأحزان
لبنان لبنان لا أنسى جنائنه معلقات على أكتاف وديان
كأنها من سما الفردوس قد هبطت فيهن من عرش ربي كل فتان
أهفو الى قربها شوقاً فيخذلني دهر تفنّن في قهري وخذلاني
فان تبسم فالآمال باسمة وإن تجهم لم يسلس لانسان
حتام أحيا غريباً تائهاً أبداً الليل معتكفي والشهب أخداني

---

(٣٩) الديوان الجديد ص٦٤ ، قصيدة « يا نسيم الصبا » .
(٤٠) الديوان الجديد ص٧٣ .

ولبنان جنة الله ، قال مخاطباً « جبال الالماني »[٤١] :

اسـمعي يا جبال تنهيحـة الشاعر واهـدي معذباً للصواب
من بني الأرز شردّته الليالي عن مغاني الهوى بظل الروابي
إن لبنـان جنة الله في الارض ومهـد الينبـوع والآداب
ما هجـرناه عن قلى يعلـم الله فلبنـان مرتع الأحباب
انما ضاق عن مطامع شـعب جنّد الدهر لاقتحام الصعاب
عربي النجـار مرتفع الأصـل كريـم الاحساب والانساب
أنت والارز يا جبال سـواء خالدات على مدى الاحقـاب

وتظل هذه الصورة تلح عليه :

إن لبنـــان جنـة الله في الارض ومجلى مفاخـر الأجيـال
ريقـات الجمـال تجسم فيه من جنان خضر وشـم جبـال
ووهـاد عميقة الغور تحكي عمق جرحي من باهظ الأثقال
وتلال ينسـاب فيها ضبـاب كانسياب الآلام في أوصـالي
وغياض من دوحـة حالمـات رافعات الجبين صوب الأعالي
ناعسات الجفون مختلجات هائمـات ترف في الآصـال
والسواقي الخضراء تبعث لحناً هزّ في الكرم غافيات الدوالي
وأنا ذاهل الخطى في سـكون كسكون الطيوف في الأطلال
أمتطي جانح الخيـال وأطوي سدرة الوحي في سماء الجمال
وأمامي صنين زاهٍ بحـلم أبديّ الرؤى عديم المثـال
غمرته الشموس من كل ضـوء عبقري السنى مفيض الجلال
تتهـادى الألـوان سـجواء حيناً وأحايـين دفقة الشـلال
منظر سـاحر غريب عجيب هاج في النفس ألف ألف سؤال[٤٢]

(١) الكمديات ج١ ص٢٨ .
(٢) الديوان الجديد ص١١٧ ، قصيدة « وقنعنا من عودنا بالخيال » .

ولبنان معقل عربي :

إن لبنـان معقل عـربي عزّ مجداً وجلّ أصلاً وطابا
هو في مصحف العروبة طغرا قد سـما غاية وطاب كتابا[٤٣]

وكان كل شيء يذكره بلبنان ، وها هو في الريف ينعم بالراحة والهـدوء ويمتع ناظريه بالجمال الساحر فيبصر جبلاً يغمر أعاليه الثلج فيخاطبه :

أنت ذكـرتني عهود شـبابي وليـالي الأحـلام في صنـين
جبل تسـبح الكواكب فيه مثلما تسبح الرؤى في جفوني
ويذر الالوان في كل صـوب تبراً من ضياء فجر مبين
ويدير الكؤوس أترعهـا الله من الخمر كل غال وثمين
فعببنا حتى سـكرنا ورحنا نخلع الشـك في سماء اليقين
يا لطـود عقدت فيه رجـائي ولمرآه قد تمـادى حنيني[٤٤]

وها هو على شواطىء ريودي جانيرو وتهيج الذكرى :

شـواطىء الريو وخلجانها قد هاجت الذكرى فهاج الحنين
واستيقظت بعد سكون الشجا لواعج في الصدر حالت أنـين
وجمـرة في روحه الساعره
أذكرتني لبنـان مهد الصبـا وبسمة الخلد بوادي الدموع
فهل ترى أطوى وتطوى معي مباهج النفس قبيل الرجـوع
الى بـلادي الجنة الساحره[٤٥]

واهتز في عيد لبنان فقال في قصيـدة « لو لامست أطرشا »[٤٦] :

---

(٤٣) الديوان الجديد ص٥٤ .
(٤٤) الديوان الجديد ص١٥٠ ، قصيدة « الريف » .
(٤٥) الكمديات ج١ ص٥١ ، قصيدة « على شواطىء الريو دي جانيرو » .
(٤٦) الكمديات ج١ ص٤٨ .

لبنان عيدك في الأعيـاد رائعة   تأنق الشعر فيها واكتسى خلعا
سمح حبانا كؤوس المجد صافية   فرحنا نشتفها في يومـه متعا

ويخاطبه :

يا مسقط الرأس يا لبنان يا وطنا   رضعت مع حبه الايمان والورعا
قد عزّز اللغة الفصحى بموطنه   وفي المهاجر كم أعلى وكم رفعا
فلا تلمني إذا غاليت مفتخراً   بموطن قد سقاني الشعر والبدعا
منارة العرب ما خارت لهم همم   يوما ولا عرف الخذلان والجزعا
فاشرب على العيد نخب العيد مبتهجا   واهتف معي عاش أرز الرب مرتفعا

ويقع في صيف ١٩٥١ انقلاب عسكري في بوليفيا أسهم فيه نفـر من أبناء العرب هناك وتمكنوا من الحصول على منصب وزارة العدل الذي تقلـده الجنرال انطونيو سلامه ـ وأصل والـده من المتن بلبنان ـ . وأقامت الجالية العربية في لاباز ـ عاصمة بوليفيا ـ على شرف هذا الوزير العربي حفلة كبرى ، وألقى فيها جورج كعدي قصيدة « والحرب تضحية وتعبئة القوى »(٤٧) ، ولم ينس وطنه في هذه المناسبة فقال :

لا تعتبـي ودعيـه في آلامـه   فاليأس قد غطى على أحلامـه
أنا شاعر ملأ الديار حماسة   والروض قد رقصت على أنغامه
ووقفت عمري ذائداً عن موطن   فَكَّتْ عوادي الدهر غرب حسامه
فالغرب من ظلامه ، والدهر من لطـامه ، والويل من حكامـه

ولم ينس فلسطين :

ذهبت فلسطين وأية غمـة   عقدت لسـاني عن بيان مرامه

ويحيي الوزير العربي :

---

(٤٧) الكعديات ج١ ص٢٢٣ .

يا قائد الجيش المجرب في الوغى   لك من فتى صنين طيب سلامه
تنمى لأعرق موطن ، العزّ بين سفوحه ، والمجد في أعلامه
واهنأ بحفلته الزهية ذاكراً   فضل الأُلى سهروا على اعظامه
واقبل تحية شاعر متألم   أعماله وقف على أقوامه

ويزور لبنان ويقيم له عارف النكدي حفلةً تكريماً له ، وينشد قصيدة « شغلت قلبي بحب العرب قاطبة »(٤٨) :

لبنان جئتك من قفر أعيش به   كيما أكحل من مرآك أجفاني
كيما أرى لوحة للحسن فاتنة   بكف صنين قد ماجت بألوان
لبنان جئتك والذكرى تهدهدني   والشوق يحفزني والله يرعاني
لبنان جئتك والآمال ناشطة   كي أستعيد نشاطي بين اخواني
لبنان جئتك والآلام تعصرني   والداء هدّمني والبعد أشقاني
لعل أنسى الذي عانيت من علل   خرساء هدّت فؤاد الشاعر العاني
في مهجر ليس خِلٌ فيه يؤنسني   إلاّ تذكر جيران بلبنان
أنا الغريب الذي مدّ الزمان به   أتيت استشرف الدنيا بأوطاني

ويدعو الى العودة في قصيدة « فهيا نؤوب »(٤٩) :

الحشا حشوه أسى ولهيب   وفؤادي قد صدّعته الخطوب
وضباب الآلام يغمر نفسي   ودموعي مثل العقيق تذوب
إن تذكرت في حمى الأرز عهدي   وشبابي غض وعهدي قشيب
وأمامي الحقول تحفل بالزهر وتنساب من شذاها الطيوب
ما هجرناه عن جفاء ولكن   ساءنا أن يسود فيه الغريب
فاذا نحن تحت كل سماء   وتتالت على الغريب الكروب

---

(٤٨) الديوان الجديد ص١٥٦ .
(٤٩) الكمديات ج١ ص٧٤ .

ودرسنا الشـــقاء حرفاً فحرفاً فحبيب هنـا وثـمّ حبيب
فاجمعوا أمركم كفانا كفاحـا في سـبيل العلى فهيـا نؤوب

لانه حان وقت العودة :

حان أن نطوي الشراع ونقضي باقي العمر في حماه الأمين(٥٠)

---

(٥٠) الكمديات ج١ ص١٢٥ .

٣ ـ العروبة

كانت العروبة أعذب كلمة رددها جورج كمدي في شعره ، وكانت قضايا الأمة العربية تشغله وهو في ديار الغربة :

أنا في الغربة أحيا انما بهوى العرب فؤادي انفردا
أقف العمر على اعلائهم وأغنيهم قوافي خرّدا
أرقص الحرف على رناتها وأناجي في الظلام الصمدا(٥١)

وقد هجر الغناء والحياة الرغيدة من أجل أمته :

مثلما يهجر الفراش الحقولا عندما تذبل الزهور الشذيه
قد هجرت الغناء حيناً لأني لم أجد فاهماً لروحي العليّه
ووقفت الحياة حباً لقومي ودفاعاً عن أمتي العربيه(٥٢)

ويدعو لها بالبقاء :

ربّة الشعر ارحمينا وَصَلّي ربِّ احفظ بلادنا العربيه(٥٣)

وكعدي شديد الاعتزاز بعروبته ، قال الدكتور صلاح الدين المنجد : إن « أجداده جاءوا من حوران ، وهو يفتخر بعروبته أي فخر ، ويقول : « أنا عربي النجار » . واذا تحدث عن العرب واللغة العربية تدفق حماسة والتهب فخرا . واذا سألك عن شخص قال : « هل هو عربي ؟ »(٥٤).

---

(٥١) الديوان الجديد ص٢٧ .
(٥٢) الكمديات ج١ ص١٦ .
(٥٣) الكمديات ج١ ص١٥٥ ، الديوان الجديد ص٤٥ .
(٥٤) الديوان الجديد ص٦ .

وانعكس هذا الحب على شـعره فاذا به يشيد بالامـة العربية ويدافع عنها ويستنهض الهمم ويؤنب المتخاذلين :

أطِلْ في مديح العرب قومي فانهم نجوم سماء المجد أصّلها العـلم
لئن عضها الغرب الخبيث بظلمه وأقسم أن تفنى يدغدغه حلـم
فقد خـاب فألاً فالعروبـة درة تضيء بها الدنيا ويزدهـر الفهم
سترجع أقدار العروبة فاصبروا فعما قليل سوف ينحسر الظلم(٥٥)

والعروبة بنت السماء :

وإن العروبـة بنت السـماء وحصـن من الشرف الأمجد(٥٦)

والعروبة عاطفة ووجدان قبل أن تكو ن عقيدة راسخة :

وهي العروبة وجـدان وعاطفة وتضحيات لها في الحرب والسلم
فعش لها أبداً سـهران منتبهـاً إن نمت عنها فان العلج لم ينم(٥٧)

والعرب أصحاب الفضـل والوفاء وا لسخاء والاباء :

وما العرب لو علـم المرجفـون سوى معشر الفضل منذ القـدم
همْ علّموا الناس معنى الوفـاء ومعنى السخاء ومعنى الشمم(٥٨)

وللأمة والوطن حق علينا ، ولا بدّ من أن نبذل الجهد في خدمتهما والذود عن حياضهما ، يقول كعدي لشاعر الغزل عبدالخالق فريد :

انما للبـلاد حقٌ علينـا فابعث الشعر هادراً كالرعود
فديار العروبـة اليوم ولهـى تتلوى من شـدة المجهود(٥٩)

---

(٥٥) الديوان الجديد ص٤٠ .
(٥٦) الديوان الجديد ص١٤٩ .
(٥٧) الديوان الجديد ص١٦٦ .
(٥٨) الكعديات ج١ ص٧٠ .
(٥٩) الديوان الجديد ص١٥٩ ، وعبدالخالق شاعر من العراق له عدة دواوين مطبوعة .

وهدفه الوحـــدة العربية التي هي أمنيـــة كل عربي مخلص لأمته ورسالتها الخالــدة :

وحدة العرب ليس نبغي سواها فابعث الشاردات فيها عذابا[٦٠]

وقال :

وحدة العرب ليس نبغي سواها فابعث الشعر في غناها شرودا
ليس من يبتغي الوفاق لقوم مثل من يبتغي بها أن يسودا[٦١]

والوحدة العربية هي الأمل :

- هي الوحدة الكبرى التي في ظلالهـا يفيؤنا ذاك اللســان المحبب
تَفَيْنَقَ في لبنان جيل ولو درى لما كان إلاّ للعروبة ينسب[٦٢]

وقال :

آمنت بالوحدة الكبرى وجامعة يسير تحت لواهـا كل عـدناني
فالجنس يجمعنا بالرغـم من فئة تكيد للحق في سِرّ واعلان[٦٣]

ويهاجم بناة الحدود المصطنعة الحريصين على اقامة الكيانات الهزيلة :

يا بناة الحـدود في الوطـن الأسمى وأصل البـلاء والخـذلان
وصمة العـار أنتم لبـلاد بعتموها بالاصفر الرنان[٦٤]

ويقول :

الزعـامات وهي كل بلانا أيقظت معشـراً لئيماً حسـودا
فانثنى ينفث السموم رواغاً ويكيل القلى ويبني الحدودا[٦٥]

---

(٦٠) الديوان الجديد ص٥٤ .
(٦١) الكمديات ج١ ص١٢٧ .
(٦٢) الكمديات ج١ ص٤٧ .
(٦٣) الكمديات ج١ ص١٦٣ .
(٦٤) الكمديات ج١ ص١٣ .
(٦٥) الكمديات ج١ ص١٢٨

ووقف كعدي بوجه دعاة الاقليمية فقال :

أنا من يحارب كل اقليمية عرجاء ذات تصنع وتنطع

لماذا ؟

أنا شاعر متحدر من أمة خلدت على مرّ الرياح الأربع
عربية بنبيّها وكتابه عربية في مجدها المترفع
مدّت على الدنيا ظلال حضارة جبارة ثبتت فلم تتمزّع[٦٦]

وبلاد العرب كلها بلاده ومن أجلها يحيا ومن أجلها يموت :

وبلادي أرض العروبة طراً مزّقتها الاحقاد والاحكام[٦٧]

وكان كثير الفخر بها :

تنمى لأعرق أمة عربية الدهر صدّعها فلم تتصدع
عثرت بها أقدامها لكنما صلبت نحيزتها فلم تتضعضع[٦٨]

ويهتف بحياتها :

غنّ العروبة هاتفاً بحياتها واخشع لربك عند ذكر حماتها[٦٩]

وأمة العرب لن تموت :

لا تقولوا هزيمة القدس عار نبوة السيف هذه لو تعونا
جيّش الغرب ضدنا كل وغد فغدت تقحم الذئاب العرينا
أمة العرب لن تموت وفيها كالحسيني وصحبه المصطفينا[٧٠]
أمة تبتغي الحياة ستحيا رغم آناف معشر خائنينا[٧١]

---

(٦٦) الكعديات ج١ ص١٥٧ ، قصيدة « والشعر يبعثه الشعور ».
(٦٧) الديوان الجديد ص٧١ .
(٦٨) الديوان الجديد ص١٢٠.
(٦٩) الكعديات ج١ ص١٩٧ .
(٧٠) يريد به القائد الشهيد عبدالقادر الحسيني رحمه الله .
(٧١) الكعديات ج١ ص١١٠ ، وينظر ادب المهجر ص٦١٥ .

وحياتها البذل والجهاد لا الندب والبكاء :

فجّر الشعر ثورة حمراءا وأثره زلازلاً هوجاءا
وتعلم من الاسود زئيراً ومن الريح جأرة غلباءا
ففلسطين لا يقيها قصيد ذو رموز يُضحِكُ الثكلاءا
مائع حائل كنفس ذويه عبدوا الغرب ضلةً وعماءا
انما الشعر ما تنزّى عراما وتسامى فزاحم الجوزاءا
فاترك النوح انما النوح ضعف وفلسطين تشتكي البرحاءا
تتغنى باسم العروبة زوراً وعلى عنقها تشدّ الرشاءا
إن معنى العروبة الحق بذل وجهاد يؤدب البخلاء(٧٢)

وهي خير أمة أخرجت للناس :

أمتي خير أمة وبلادي منبت العز من قديم القرون
لمعت في الزمان حيناً وكانت مهبط الوحي مستقر القرون(٧٣)

ويقول :

أمتي خير أمة وبلادي أطلعت سادة غطاريف صيدا(٧٤)

ويفخر بنفسه وبعروبته :

فيا لك من مهجر جاحد مضيّع أصل الفتى اليعربي
تحقر من أصله قد زكا وتدعوه توركو بلا مذهب
وقد فاته أننا أمة فمنها المسيح ومنها النبي
لئن عضها الدهر في نابه ومزّق أشلاءها الأجنبي
فلا بدّ للكرب أن ينجلي ويرجع عهد العلى الطيب(٧٥)

---

(٧٢) الكمديات ج١ ص٥٤ ، ٩٨ ، قصيدة « واترك النوح انما » ، وينظر « القومية والانسانية » ص٣٢٨ ، ٥٩٧ .
(٧٣) الكمديات ج١ ص١٢٢ .
(٧٤) الكمديات ج١ ص٢٦٧ .
(٧٥) الكمديات ج١ ص١٨ .

وهو عربي الهوى من عبد شمس :

يعـربي الفـؤاد من عبد شمس　　اتحـدى بعرق قومي القـرونا
وجدودي قد طاولوا الشمس عزاً　　رددتـه حناجـر المعـوزينا(٧٦)

وأمله بأمته عظيم لانها خير أمة :

لي رجـاء بأمتي مسـتطاب　　لي رجـاء بخالقـي ومعيني
أمتي خـير أمـة وبـلادي　　منبت العز من قديم القرون(٧٧)

وكان شديد الغيرة على اللغة العربية ، ويريد أن يحافظ عليها ، ولذلك « فهو يرى ان شعر المهجر على بعده عن البيئات العربية يعكس القوميـة العربية الحق ، وانه شـعر محصّد الديباجة مشـرق الصياغة يعبر عـن الوجدان والعروبة »(٧٨)

يقول في اللغة العربية :

لغتي وما لغتي سوى لحن العلى　　رقصت بنو الدنيا على أنغامهـا
لغـة الملائك والزمان حروفهـا　　كسـيوف فتيتها ليوث خيامهـا
لبنـان معقلها وحصن فخارهـا　　حلفت نوابغه على إعظامهـا
بدوية كانت فهـذّب روحهـا　　فغدت تميس وتزدهي بقوامهـا
وأعادها حضرية فالشـعر من　　عبّادها ، والفـن من خـدامها(٧٩)

وكان شـديد الالتزام بقضايا الامة العربية ، ويتجلى ذلك في شـعره كله . يقول في قصيدته التي نظمها بمناسبة صدور كتاب « ميخائيل نعيمة بين قارئيه وعارفيه » لكعدي فرهود الكعدي :

---

(٧٦) الكعديات ج١ ص١١٠ .
(٧٧) الكعديات ج١ ص١٢٢ .
(٧٨) الديوان الجديد ص٦ .
(٧٩) الكعديات ج١ ص١٣٤ ، قصيدة « تحية حمص » .

نقدت كبير القـوم فاهتز عرشه وصدّعته فانهار يهوي الى الوهد
له قلـم من أرض عبقـر عوده وفلسفة تدعو الأنام الى الزهـد
وما نحن يا ميشـا بعصر زهادة وعيش انعزال في الشخاريب والجرد
فمن كان فذاً كالنعيميّ نابغـاً يسير الى العلياء في موكب المجد
حـرام عليه أن يضيّـع عمره بأشياء لا تغني وأشياء لا تجدي
فنحن بعصر للجماهـير شـأنها وواقعها يدعـو الأديب الى الجد
فمن لا يجالد عن حياض بـلاده يكن كالذي في ضرها سيّىء القصد
فقم يا أديب العرب وامشق يراعة تهز عروش الظالمين أولي الحقـد
أضعنا فلسـطيناً للهـو رجالنا بكل سخيف من مهازله البُلْد[80]

وكعدي معجب بأبطال العرب فخـور بهم وبما قدموا للأمة ، ويتجلى ذلك في قصيـدته « ذكـرى الخمسين لاستشهاد البطـل الخالد يوسف العظمة »[81] :

قادهـا للفـدا وزير نبيـل يحسب الفخـر في لقاء منونه
كان فخر الفيحـاء ذخر بلاد حفر الله اسـمها في وتينـه
بردى في كيانـه مسـتقر قلبـه في صفائـه كمعينـه
مات في حومة الجهاد شـهيداً ذائـداً عن بـلاده عن خدينه
فسكبت الدموع شـعراً سنياً ونظمت العليـاء في تأبينـه
أدمـع كأسها المحاجـر والسا قي عـذاب يلوح فوق جبينـه

وكان جمال عبدالناصر بطل القومية العربية وباعث نهضة العرب ، وفي قصيدة « عش للعروبة »[82] يحيي جورج كعدي بطل مصر وجمالها :

---

(٨٠) الديوان الجديد ص١٣٢ ، وللقروي مثل هذا الرأي في الكتاب (ينظر اعمال القـروي النثرية ص٢١٥ ، ٢٨٣ ، ٣٧٨) .

(٨١) الديوان الجديد ص١٠٧ .

(٨٢) الكعديات ج١ ص٢٨٥ .

حيّ الكنانة مجدها وجلالها ... وامدح مغاورها وحيّ جمالها
مهد العروبة لن تطأطىء هامها ... وجمال أطلع للوغى أبطالها
بعث العروبة بعد نوم مجهد ... وحمى محارمها وصان كمالها

ومصر هي الأمل :

عش للعروبة إن أردت كرامة ... واخدم مصالحها وغنّ فعالها
واذخر قواك لوقفة عربية ... مصر ستكفل في غد اشعالها
في القدس موعدها وتلك نبوءة ... ستحقق الهمم الرجاح منالها
واستنفر العرب الكرام لوحدة ... ستتم رغم زعانف كادوا لها

والعروبة لن تموت وأبطالها منارها :

إن العروبة لن تموت وقد غدا ... يهدي خطاها روح عبدالناصر[83]

وفي قصيدة « عثرت ولكن لم تمت »[84] يقول :

هذا الذي قبس الفداء عن المسيح الناصري
يقضي لتحيا أمة شمخت بعز مآثر
عربية خلدت على رغم الزمان الساخر
عثرت ولكن لم تمت ستقال عثرة عاثر
وتعود رافعة الجبين تشعّ شعّ منائر
رغم الخيانة والدسائس والبلاء الدامر
تمشي على طرق الجهاد جهاد عبدالناصر
بطل العروبة والنهاوة والبيان الساحر
يفنى الزمان ومجده باق كشمعة زاهر

---

(83) الديوان الجديد ص85 .
(84) الديوان الجديد ص145 .

واحتلت ايران الجزر العربية في أواخر عام ١٩٧١ فقال :

يا رب مــاذا جنى أبناء قحطـان ... حتى تحكم فيهم كل طغيــان
حتى استـباح حماهم كل زعنفة ... من جند اسريل أو من جند ايــران
والعجم أخبث من فيالارض منبشر ... كانوا بليتنــا في كل ميــدان
خانــوا جوامع دين كان يربطنـا ... واللـؤم أظهر لؤماً في عبادان

ويدعو كعدي الى القوة لانها سبيل التحرر :

فالحقّ للقوة الوثقى بلا جـدل ... وكل ما قد خلاهــا لعب صبيــان
أما الســـلام فأقوال وثرثـرة ... فالمجد للسيف لا للخائر الواني(٨٥)

ولولا الخــلاف بين الدول العربية ما وقع ذلك ولا اقتطعت أجزاء من الوطن العربي وقام الكيان الصهيوني في قلب الامة العربية :

خلفنا قد أطمع الغـرب بنا ... فتفرقنـا لحقـد زمــرا
وتفانينا على الحكـم كما ... يتفانى الضوء اما انتشــرا
إن اسرائيل تبغي مَحْوَنا ... فبغـاث الذل فينا استنسرا
فانفروا للحرب في كل مــدى ... انما الدنيــا لمن قد نفرا
اشعلوها تقـذف الدنيا لظى ... وابعثوهــا لهبــاً مسـتعرا
قبلما تفنيكــم أعـداؤكم ... حطموا العلـج وردوا الخجرا(٨٦)

ولو كانت الامة العربية موحدة ما ضاعت فلسطين ولا باعهــــا بنــاة الحدود ، ولو قبس العرب من الاسلام نورهم ما ضاعت فلسطين :

لا تعجبن لنكبــة نزلـت على ... مهد المسيح وشامخات دعامه

---

(٨٥) الديوان الجديد ص١٠٣ ، قصيدة « ايران والجزر العربية » .
(٨٦) الديوان الجديد ص٩٨، قصيدة « حقنا كالشمس في روعته » .

فالسيف في كف الشجاع عصا إذا لم يقبس الايمان من اسـلامه[87]
حضَّ النبي على التكافل أمة كانت كمثل الليث في إقدامه[88]

وتشقيه حالة اللاجئين فينسى همومه وأمراضه وينطلق معبـراً عـن مشاعره ومصوراً الواقع الأليم :

لست أشكو غربة تكوي الحشا ولي الشـعر الذي هزّ الوجودا
إنما يؤلم نفسـي أن ترى لاجئاً من أمتي يحيـا طريدا
أمـة قـد نـام عنها أهلها فغـدت في ذلة تبلو القيودا
حـلّ صهيون كطاعون بها بعد أن شرد أهليها الأسودا
فأوت كـل خيـام واثنت تحصد الامراض والفقر المبيـدا
ولهـونا نحـن عن أناتهـم وتخذنا العيش مخضـلا برودا[89]

وفلسـطين قبلة العرب وهي تناديهم ليفكوا أسرها :

ففلسـطين قبلـة العـرب طراً أمن العـدل أن تغل يداها
قد هززناها في الخطوب فكانت دوحـة يملأ القلوب جناهـا
اسرجوا صهوة الجواد وشـدوا شدة الأسـد إن بلاء دهاهـا[90]

وكان يحيي العروبـة ويرى في رجالها أملاً تعيش عليه فلسطين وقصيدة « عاشت فلسطين »[91] تصوير لذلك :

حيّ العروبة واهتف في نواديها وغنّ حاضرها وافخر بماضيهـا
مجلى المذاويد قد كانت ومابرحت وروح ربـك تجري في تراقيهـا

---

(87) يرى القروي ان الانسانية لن تجد لها مخرجا من مازقها وراحة لروحها وصلاحا لامرها الا بارتمائها في حضن الاسلام . (اعمال القروي النثرية ص٨٠) .

(88) الكمديات ج١ ص٢٢٥ ، وينظر الناطقون بالضاد ج٢ ص٦٢٤ .

(89) الكمديات ج١ ص٣٢ .

(90) الكمديات ج١ ص١٣٦ .

(91) الكمديات ج١ ص٢١٤ .

نامت على سـرر الأدهار حالمـة | واليوم هبّت فحاذر من تَنَزّيها
فلن نبيع فلسطينا ولو حشدوا | أبالس الجن دانيها وقاصيها
روح الجدود تطوف اليوم صارخة | لبوا نداها تباركتم عواليها
فأمـة أنجبت في الكون أحمدها | يوم الكريهة لم ترهب أعاديها
وأمـة ثبت الاسـلام معقلهـا | تُفني الليالي ولا تفنى مباديها
لنا كتـاب ومن آياتـه انبثقت | أنـوار ربك مثل الشمس تحليها

وقضية فلسطين مكيدة للاسلام وتآمر عليه :

هذي المكيـدة للاسـلام بيّنة | مكيدة الحق لا تخفى مراميها
وغزوة الغرب للاسلام مزمعـة | فأضرموها جحيما يصطلي فيها
فان أضعنا فلسـطينا فقد ذهبت | ريح العروبة واندكت رواسيها

ويستنهض الهمم لرد كل هجوم تتعرض له الأمة العربية ، ومن العار أن تبقى الدول العربية راقدة لا تهزها نكبة ولا يثيرها عـدوان ، يقول في قصيدة « ففي كل يوم هجوم جديد »(٩٢) :

فعار على العرب هذا الرقاد | وأن نستضام وأن ننكبـا
وتحكـم أقداسـها زمرة | تَدَرَّبُ في الكون أن تنهبا
فلسـطين والهة تشتكي | من الظلم محتلها الأشـعبا
ومصـر تململ في نكبـة | وقد بلغ السيل فيها الزبى
وفي جولان الشـآم اكتئاب | أثار العروبـة أن تغضبـا
وتخلـع عنها رداء الـونى | وتقحـم في حربها الأصعبا
تردّ البـلاد لاهل البـلاد | وتشـحذ من سيفها ما نبا
تحـرر ما ضاع من أرضنا | ومن حلّ فيها كمثل الوبـا

---

(٩٢) الديوان الجديد ص٣٨ .

ففي كل يوم هجوم جـديد يخرب من أرضنا الأخصبا
ويحرق أقداسـنا سـاخراً ولم يخش ربـاً ولن يرهبا
فيا عرب حتام هـذا المنام لقد آن أن تدركوا المطلبا
عـدوكم دونما رحمـة فلو يستطيع ذرانا هبا
وأحكـم في عنقنـا نيره وأبعد عنا نسيم الصـبا

وفي قصيدتيه « ألا ليتني صخرة عاتية » و « فيا قومي أمات الحسّ فيكم »[٩٣] تأنيب لبني قومه ودعـوة الى ترك الخـلاف ونزع الكسـل والنهوض الى بناء الامة لتأخذ مكانتها من جديد كما كانت في عصـورها الزاهية . وقد شغلت فلسطين الشاعر كعدي ونظم فيها كثيراً من القصـائد وكان الفداء عنده أسمى ما يدعو اليه مناضل حر ، وكانت « فتح » فاتحة عهد جـديد ، وكان تفاؤله بعودة فلسطين عظيما ، لان الحق لا بدّ من ان يرجع الى أهله ، وان الباطل لا بدّ من أن ينقلب على أهله ودعاته :

إن الصهـاين مهما طـال ساعدهم يوماً سنكسـره كسـراً ونبليـه
فالمعتدون استباحوا كل محرمـة والبغـي مهما بغى فالحق ترديـه
فارقب رجوع فلسطين ولو حشدوا أبالس الشـر في برية التيـه
هذي نبوءة حـق لا ارتيـاب بها والشاعر الحق يروي باسم باريه[٩٤]

والعرب ـ مهما طال الليل ـ عازمون على تحرير الارض المغتصبة ، وانها لن تذهب هدراً ، وان التعذيب لن يفل من عزائم العرب وان التقتيل لن يرهبهم لانهم لا يهابون الردى :

عـذبونا قتّلونا قطعـوا نحـن قـوم لا نهاب الخطرا
وانسفوا أقداسنا واحتجزوا كل حرّ فاضل سامي الذرى

---

(٩٣) الديوان الجديد ص١١٣ ، ١١٥ .
(٩٤) الديوان الجديد ص١٦ .

لا تظنوا القدس راحت طَلَفاً ودمـاء العرب راحت هـدرا
نحن قـوم إن دهتنا شـدة روّضوا الخطب وسـدوا الثغرا
نحن أبنـاء المثنى أمـة نسـلتنا الأنبيـا والشـعرا
إن تمـادى العـلج في إعناتها سـوف تطويه وتطوي الأعصرا
فاقحـم الاعداء في كل مدى واسحق الطاغوت والمستعمرا
حقنا كالشـمس في روعتـه أفتخشى الغاصب المسـتهترا
سنوالي الحرب حتى دحـره ونحث العـزم حتى تثـأرا(٩٥)

وفلسطين لن تذهب سدى لانها قطعة من قلوبنا :

ففلسطين قطعـة من حشـانا كرمت عنصرا وطابت نجـارا
مهد عيسى ومسرىأحمد كانت وستبقى على الزمـان منـارا
وأرى القدس في مصاب أليمٍ يملأ الروع علقماً ومـرارا(٩٦)

ولن نستنيم :

فلسـطين لا تحـزني أننا سنبقى سيوفاً بوجه النُّوَب
فلا نسـتنيم الـى نكبـة سترأب من صدعنا ما انشعب
تجدد من عزمنا ما وهى وتحـزم من أمرنا ما صعب
فللشعب مهما اسـتبدّ الطغـاة وجار البغاة سـبيل الغلب(٩٧)

كانت فتح أمل الشـاعر ، وها هو يشـيد بها وبالفداء الذي سـيكون سبيل التحرير :

وسـاعد بـلادك يا صـاحبي بما هـو في حيّـز الممكـن
وسـر في سـبيل الفـداء بعزم فتى صـادق مؤمن(٩٨)

---

(٩٥) الديوان الجديد ص١٧–١٨ .
(٩٦) الديوان الجديد ص٢٢ .
(٩٧) الكعديات ج١ ص١٠١ ، قصيدة « فلسطين » .
(٩٨) الديوان الجديد ص١٠ .

والفداء هو الأمل العظيم :

فلولا الفدائي من أمتي　　وبعض المقاديم ممن شعر
لضاع الرجاء بأقدارنا　　وأهوى البناء الى المنحدر
فوثباً شباب بلادي وحطم　　رؤوس الافاعي وعلجاً غدر
فخير من الذل موت الفتى　　وخير من الرق عيش الحمر
فقدّم لفتح وأشبالها　　قريضاً يحرك حتى الحجر
فقد رفعت رأسنا عالياً　　فحق الثناء وحق الخبر
سنبقى نوالي الجهاد الى أن　　تعود البلاد لقوم غير
فما ضاع حق لنا بيّنٌ　　ولا خاب شعب كريم صبر[99]

ورفع الى أشبال فتح قصيدة « الى كل فدائي نبيل »[100] :

سابق الساعة يا جيش الفدا　　واقحم الهول ولا تخشَ العدا
أنت عنوان الهوى في أمة　　فرعت عزاً وطابت محتدا
عصف الخلف بها فاضطربت　　وقديماً أوثقت كف الردى
أسمح الدهر لها فانطلقت　　تزرع التمدين في كل مدى
تحمل القرآن في كف وفي　　كفها الاخرى حسام وندى
وعلى العدل بَنَتْها دولةٌ　　كان عدل الله في الارض صدى
في سبيل الله باعت أنفساً　　واشترى الجنات فيها الشهدا
أمة في الكون هذا شأنها　　أفتغدو ليهود أعبدا ؟

ويتوالى الحديث عن الفداء وفتح في قصائد « سترجع أقدار العروبة » و « الحب والحرية » و « الشعر من صور الجمال » و « الثورة

---

(٩٩) الديوان الجديد ص٢٠ .
(١٠٠) الديوان الجديد ص٢٦ .

الحمراء ملء برودكم » و « صرخة مغترب » و«عثرت ولكن لم تمت»(١٠١) والشاعر في هذه القصائد يرسم صورة مشرقة للفدائي ، ويدعو فيها الى الفداء الذي يحقق أهداف الامة العربية في القضاء على المعتدين والخونة والعملاء ، وهو في ذلك كله مؤمن كل الايمان بطاقات الامة العربية وقدراتها ومؤمن أشد الايمان بالله الذي سينصر العرب في استرجاع الحق السليب ، ومن يؤمن بالله فقد انتصر • وقد عاش كعدي في ظل ايمانه العميق فانتصر على الحياة واحتمل الأدواء التي ألمت به في غربته وهو يكافح من أجل لقمة العيش والشرف الرفيع •

وكان الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد صانه وشفاه :

فهو من صانني وأبقى حياتي   وشفاني من بعد طول سقامي
فله الحمد مبدىء ومعيد   وعليّ التكفير عن آثامي

وضياع الايمان مبعث كل خصام :

فضياع الايمان في الناس أفضى   لاصطدام القوى وبعث الخصام(١٠٢)

والله مصدر كل خير :

والله مصدر كل خير فائض   فهو اللطيف الأوحديّ السرمد
لولا عنايته وفائق رحمة   ما كنت يوماً في شعوري أجدد
جنّاته كم مرة أدخلتها   ماذا أعد بوصفها وأعدد
ربي هو البحر العميق وانني   نهر على أثباجه أتجدد
والله ملء الكون يبعث نوره   فيضيء أقصى الحالكات ويوقد(١٠٣)

وهو مصدر الجمال :

---

(١٠١) الديوان الجديد ص٤٠ ، ٥٣ ، ٨٤ ، ١٢٤ ، ١٣٨ ، ١٤٥ •
(١٠٢) الديوان الجديد ص٦٥ •
(١٠٣) الديوان الجديد ص٧٩ •

وكأنّ الطبيعةَ الأمّ في عرس وللعرس زهوه المحمومُ
فتمتع بالعرس ما دمت حياً أي شيء على الزمان يدوم
غير رب أوحى الجمال الينا وأرانا مجهوله المعلوم
كل هذا البهاء صنع يديه جلّ ربي فهو اللطيف الكريم[١٠٤]

وكان لآلامه أثر في ايمانه بالله ، قال حسني عبدالملك : « إن شعر الشاعر المتألم صوت النفس المتألمة والشعور العميق ، والشاعر الذي لا يألم لا يعرف الله »[١٠٥] .

وأفضى ايمانه بالله الى ايمانه بالعرب وعدالة قضيتهم ، والى أن يفخر بالاسلام ويعتز بالنبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبأبطال الاسلام ، وكان يقول : « إني اسلامي النزعة ، وبمن تراني أريد أن أفخر ؟ »[١٠٦] وخير ما يمثل رأيه هذا قوله في قصيدة « ذكرى الخمسين لاستشهاد البطل الخالد يوسف العظمة »[١٠٧] :

من بني الشام والشآم افترار في فم المجد شعة من عيونه
جنة من جنان ربك في الارض ومجلى ابتسامه وحنينه
معقل من معاقل الدهر كانت وستبقى على مدار سنينه
قدّست أرضها خطى من رسول عربي في دينه ويقينه
حاملاً في يساره مصحف الحق وسيف الجهاد طوع يمينه
بدوي قد مدّن الارض طراً فاستقاه الهدى على تمدينه
وصحاب تظلّلوا بلواه وحبوه من ودّهم بثمينه
أيقظوا الكون بالفتوح فأضحى راقصاً في سهوله وحزونه

---

(١٠٤) الديوان الجديد ص١٤٣ .
(١٠٥) الكمديات ج١ ص٣٠٢ .
(١٠٦) الديوان الجديد ص٧ .
(١٠٧) الديوان الجديد ص١٠٧ .

والصحارى تشامخت بهداهم واستعزت بعزهم بحصينه
نشروا دينهم بكل محل فتلالا الاسلام فوق جبينه
هذه أمتي وهذي مزايا معشر الفضل في سمو شؤونه

ويرجع الفضل الى القرآن :

الفضل للقرآن منبت مجدها مجلى البطولة في أعز سماتها
شمس الهداية من خلال سطوره لمعت وكل الفضل في لمعاتها
مدّت على الدنيا أشعة هديها فأضاءت الدنيا على ظلماتها(١٠٨)

ويعتز بالأمة التي أنجبت محمداً :

فأمة أنجبت في الكون أحمدها يوم الكريهة لم ترهب أعاديها
وأمة ثبت الاسلام معقلها تفني الليالي ولا تفنى مباديها
لنا كتاب ومن آياته انبثقت أنوار ربك مثل الشمس تحليها
يحاول الغرب أن يطفي أشعتها ضلّ العلوج سنطفيه ونطفيها(١٠٩)

وبالجزيرة العربية التي أمرعت بمحمد عليه السلام :

وصفوا الجزيرة بالجفاف وانما هي بالهدى والعلم أغزر منبع
فبها النبي محمد شغل الدنيا وكتابه للعدل أمنع مرجع(١١٠)

ودفعه حبه للعروبة الى أن يحب أبناء الامة العربية كلهم ، فهو في قصيدة « تحية العراق »(١١١) يقول :

حي العراق وحي أسد رجاله واخشع فديتك عند ذكر رجاله
حرم تحج له النفوس برهبة وتطير بالنجوى الى أطلاله
مهد العروبة والثقافة ملتقى العزّ القديم بروعه وجلاله

(١٠٨) الكمديات ج١ ص١٩٧ ، وينظر القومية والانسانية ص٢٧٢ .
(١٠٩) الكمديات ج١ ص٢١٥ .
(١١٠) الكمديات ج١ ص٢٢٨ .
(١١١) الكمديات ج١ ص٢٤ .

وكان ما يصيب الاقطار العربية يهزه ويدفعه الى الثورة ، فقد ضرب الفرنسيون دمشق وثارت النفوس العربية ووقف الرجال الاحرار مع أبطال سورية ونظم كعدي كثيرا من القصائد التي تحدى بها المستعمر ، واستنهض همم الرجال ، وصوّر تحفز العرب :

بردى يئن وفي الفرات تململ والنيل في شكوى ومرّ عتاب
حال لها يبكي الأبي فينثني فكأن في الاحشاء طعن حراب(١١٢)

ويذكر الآلام التي وحدت الاقطار العربية :

فاذا الشام موجة من لهيب تتلظى وتقذف العلج جمرا
ألم وحّد الحجاز ولبنان فلسطين والعراق ومصرا
فاذا نحن قوة جمعتها وحدة الرأي لا تحاذر شرا(١١٣)

وما أروع اللحن الثائر حينما ينبثق من قلب مؤمن حر لا يرضى لامته هوانا ولا لنفسه ذلاً ولا لوطنه استعبادا . انها النفس العربية الصافية التي لم ترنقها غابات بوليفيا ولم يطفىء ثورتها بُعْدٌ أو انشغال بالحياة في أحلك الظروف وأصعب المواقف . لقد كان جورج كعدي واخوته صورة للعربي الملتزم ولحناً ثائراً ونغماً عذباً وما أجمل صورة الملتزم بقضايا أمته ، وما أبدع اللحن الثائر بوجه الطغاة والمستعمرين والعملاء ، وما أعذب النغم المنساب حناناًورقة وعطفاً في مسارب الحياة .

---

(١١٢) الكعديات ج١ ص١٩٦ .
(١١٣) الكعديات ج١ ص٢١٢ .

٤ ـ الوجدان

شغل جورج كعدي بقضايا وطنه وأمته ولم يكن للغزل نصيب كبير في شعره وان كان يؤمن بأن الحب سر بقاء الحياة :

هو الحب سر بقاء الوجود ... وترياق سم الحياة الزعاف
فبشر بانجيله المصطفى ... ورطب بشعرك كل جفاف
ففي الحب يكمن سر الدهور(١١٤)

ويتضح شعره الوجداني في الحديث عن نفسه وذويه وأبناء جلدته وكأنه لم يكتف بشعر الوطنية والقومية فجاء يعبر عن آلام الآخرين ومشاعرهم بأشعاره فيه الصدق والحنان. كان كعدي كثير الشكوى من عمله في أول الامر ومن الأدواء التي لازمته ، ومن شكواه قصيدة « لكن قومي »(١١٥) التي يصور فيها حاله :

إني أعيش غريب الوجه في بلد ... هيهات يحكي جنان الخلد في الشام
أُذَرْذِرُ الشعر فَرْغا في مرابعه ... وأهدر العمر بين الشيت والخام
خلقت للشعر يحدوني فأبعثه ... خبز الخلود لمنهومات أيامي
والشعر إن ينفجر في صدر نابغة ... أدّى الرسالة من نور وإلهام
لكن قومي لم أنطق لموقفهم ... فلذت بالصمت شأن الشاعر السامي
فالشعر ينظمني لا لست أنظمه ... إني نشرت بساح الوحي أعلامي

---

(١١٤) الديوان الجديد ص٢٤ .

(١١٥) الكعديات ج١ ص٣٩ ، وينظر ادبنا وادباؤنا ص٥٢٢ .

وشكا من التجارة في قصيدة « هي التجارات »[116] ، فبعد أن طوّف في مفاتن الربيع والطيور الصادحة والنسائم الندية والجداول التي تئن والدوح الهامس انتقل الى نفسه فصوّر حاله :

أما أنا فربيعي لا أرتجاع له　　حلّ الخريف فلا خمر ولا جام
فلا طيور على الاغصان شادية　　وفي الطبيعة أحزان وآلام
أما الشتاء فقد يرديه عاصفه　　من بعد ما هدت الأجلاد أسقام
فكل شيء بهذا القفر يزعجه　　فليس فيه سوى الآلام أحلام
وكل شيء بذي الدنيا الى أجل　　والعيش سيان إثراء وإعدام
هنّ التجارات كم أتعبن عاقلتي　　واكرب العيش آلات وأرقام

وعانى كثيراً قبل أن تتحسن حاله ، وفي قصيدة « ألم »[117] شكوى مرة من الحياة ومصاعبها :

حتام أدأب في حياتي　　إني يئست من الجهاد
أنا شاعر هجر المرابع والصحاب أُلي الوداد
متشرد أسعى وراء الرزق مضطرب الفؤاد
كم ليلة قضيتها متألماً من دون زاد
ولكم هجعت على العراء بلا مهاد أو وساد
اكئب بكون لا يطيب ولا يلين لذي رشاد
إني شببت على العذاب وما ليأسي من نفاد

وكان يجد وراء الرزق الذي يهرب منه :

أجدّ وراء الرزق والرزق يهرب　　وأحيا وحيداً لا أخيّ ولا أبّ
وأرعى نجوم الافق حتى تملني　　وتهتاجني ذكرى بلادي فأطرب

---

(116) الديوان الجديد ص٣٦ .

(117) الكمديات ج١ ص٩٧ .

وأشكو لقومي ما بنفسي من الأسى فيخذلني قــوم لهم بت أصحب
وأشكو لربي عاديات مصــائبي الى أن يثير الله هذا التعتب
وأتعس حال في الدنى حال شاعر كوى نفسه السمحاء هذا التغرب[118]

ولم يسعد بالتجـارة ، لانها بلّدت فكره وأماتت احساسه :

هذي التجارة لم أسعد بعشرتها يوماً فكم جففت فكري واحساسي
إن التجـارة تلفيـق ومخدعـة ففي معامعهـا قلّعت أضراسـي
الله لي بين قــوم لا أجانســهم وهل أجانس من يسعى لاتعاسي[119]

وزادت شـكواه من المرض والعمليات الجراحية الكثيرة التي أجريت له ، وتحمل ذلك صابراً . وقد تحدث عن أمراضه عيسى الناعوري الذي كان يراسله فقال : « ولم يسلم شاعرنا الطموح من غزوات المـرض التي أساءت الى صحته كثيراً ، ففي شهر شباط (فبراير) من عام ١٩٥٢ دخـل المستشفى لاجراء عملية الفتق ، فما كاد ينتهي منها حتى أخبره الطبيب أن لديه قرحة في المعدة ، وانه ينبغي اجراء عملية أخرى لاستئصالها منـه ، كما أنذره بوجوب الامتناع عن التدخين ــ وهو مدمن له ــ . وفي عـام ١٩٥١ كانت قد أجريت له عمليتان في الأذن آذتاه كثيرا ، وأثقلتا سـمعه وعملية ثالثة في الانف . ولقد أشار عليه الطبيب بعد ذلك بوجوب الاخلاد الى الراحة الكاملة مدة تقرب من السنة وإلاّ ازداد سوء صحته . ولكن أنىّ له أن يوقف أعماله التجارية كل هذه المدة وليس لديه من يسـتطيع القيام بها سواه ؟ وفي خلال مرضـه عام ١٩٥٢ وعلى قرب عهـده باجراء العملية بلغه نعي والدته وخاله معاً في شـهر حزيران (يونيو) عام ١٩٥٢ فاصيب باغماءة نقل على أثرها من جديد الى المستشفى . وفي عام ١٩٥٨

---

(١١٨) الكمديات ج١ ص٤٦ ، قصيدة « هي الوحدة الكبرى » .
(١١٩) الكمديات ج١ ص١٥١ .

أدخل المستشفى مرة أخرى وأجريت له عمليتان جراحيتان ناجحتان »[١٣٠]. وذكر مثل هذا الدكتور صلاح الدين المنجد في تقديمه للديوان الجديد وقال إنه أجريت له ست وعشرون عملية « ونجا منها معافى قويا لكنه لم ينج من صمم أصابه فأصبح التحدث معه بالورقة والقلم إذا آثرت الصمت وبالصراخ اذا شئت الكلام »[١٢١] . وأشار الشاعر الى مرض أذنيه بقوله :

مرض الأذن كم حملت أذاه   تارة هادئاً وطوراً أثور[١٢٢]

وانعكس ألمه وكثرة ما أصابه من أدواء على شعره فأصبح يردد المباضع والآلام والصبر وأيوب ، ويشكو ما آلت اليه حاله وإن ظل متماسكاً أبياً يكدح ويناضل من أجل أمته ووطنه .

ويتحدث عن العمليات الجراحية التي يجريها كل عام :

كل عام جراحة تلو أخرى   تركتني دريئة لهزال
فتراني كالزعفران اصفراراً   أو كثوب ممزق هلهال
معدة هدها السقام وكبد   تتلوى من باهظ الاثقال
ونزيف من الدما داخلي   هدّ حيلي ورجّ من بلبالي
إبرة إثر إبرة إثر أخرى   لم يعد مغرز بجسميَ خالي
ودواء بعد دواء مرير   مرّ عيشي بعد إذ كان حالي

ويتحدى المرض بثبات ورباطة جاش :

فاهجمي يا عوادي الداء اني   ثابت الجاش رغم وقع النصال
أتلقى النبال أضحك من دهري وأحيا مستأنساً باعتلالي

---

(١٢٠) ادب المهجر ص٦١٢ .
(١٢١) الديوان الجديد ص٦ .
(١٢٢) الكمديات ج١ ص٢٥٠ ، قصيدة « وغدا العيش غصة وشقاء » .

وأنّى له احتماله ؟ إنه الايمان بالله – سبحانه وتعالى – :

شاء لي الداء فانطويت على الداء وسلمت للعليّ مآلي
وألحّت على جناني وأنحت موجعات تهزّ شم الجبال
غير اني أرى شفائي قريباً كل بؤسى وان طغت للزوال
فاشفني يا مهندس الكون كرمى لزغاليل وُكْنَةٍ أطفال(١٢٣)

ويهدي قصيدة « وحي المبضع »(١٢٤) الى الشاعر فيليب لطف الله وفيها يشكو من مباضع الجراح :

أأظل تحت مباضع الجراح ورهين آلام نزلن بساحي
عملية في كل عام هدّمت جسم الأديب الشاعر الصداح
وأحالت الدنيا بعيني ظلمة وجهامة غطت على أفراحي
فشأوت أيوباً بكل بلية وصبرت صبر المؤمن المسماح

ويشكو من مرضه في قصيدته التي أرسلها الى فيليب لطف الله بعد أن تسلم ديوانه « نسمات الجبل » :

يا ملهم الشعر الرقيق تحيةً من شاعر لجت به العدواء
من شاعر متغرب متألم عصفت به الآلام والارزاء
يحيا على أعصابه في بيئة لا صاحب فيها ولا شعراء
يمسي ويصبح والهموم تنوشه ورفاقه الاوصاب والأدواء
فكأنني أيوب عصري مرهق غريت به البرجاء واللأواء
ضيعت سمعي وابتليت بسكر وبسمت للبلوى فكان عزاء
ضاعت على حدّ المباضع صحتي فتألمت لتألمي البأساء

---

(١٢٣) الديوان الجديد ص٦٠ ، قصيدة « من فراش المرض ».
(١٢٤) الديوان الجديد ص٩٠ ، وفيليب صديقه وابن بلدته وكان رئيس جامعة القلم .

خمسون عاما في الجهاد قضيتها   الحظ يسخر والجهاد بلاء
والله غاية شاعر متغرب   بسمت له الغبراء والخضراء[١٢٥]

وأرسل ابان مرضه الى صديقه فيليب لطف‌الله قصيدة « إن نفسي جوعى لكل جميل »[١٢٦] وشكا فيها من مرضه :

فلك التهنئات من خل صدق   حطمت جسمه عوادي الخطوب
سمّرته على السرير طويلاً   كمسيح على الصليب صليب
فكأن السرير قد صار مني   وأنا منه في دواجي الكروب

وما كان لهذه الروح الشاعرة أن تصمت وقد آلمتها الأدواء ومباضع الجراحين . وتحمل الآلام والمصائب وسخر منها ، لان قلبه حديد ، ولانه أقوى من الهموم ــ على الرغم من غربة الوطن وغربة الروح ــ . قال في قصيدة رفعها الى الدكتور أحمد زكي أبي شادي الذي كتب مطرياً شعره :

طارديني في غربتي يا رزايا   واهجمي هجمة لهدّ قوايا
ففؤادي لو تعلمين حديد   صهرت حسّه الرهيف البلايا
هو أقوى من الهموم وأسمى   من حقود تجتاح هذي البرايا
فأنا الشاعر الذي علّم الطير غناءً فجرّته من حشايا
جبهتي تنطح السماء إباءً   همتي تأنف الخنى والدنايا
وعتادي في غربتي قصيد   خالد الذكر كم تحدّى المنايا
أنا أنشدته الرياض فهفت   مصغيات وهزّهن غنايا[١٢٧]

وهذه الأبيات تصور اعتزازه بنفسه وقدرته على مقارعة الخطوب على الرغم من الغربة والادواء والاخفاق في التجارة أحيانا . وقد ترامت عليه الهموم :

---

(١٢٥) الديوان الجديد ص١٢٦ ، قصيدة « ان الحياة قصيدة عصماء » .
(١٢٦) الديوان الجديد ص١٣٠ .
(١٢٧) الكمديات ج١ ص٨ ، قصيدة « فاشهدي يا نجوم » ، وينظر ادب المهجر ص٦١٤ .

ترامت عليّ همـوم الحيـاة   ترامى الصخـور على طفلـة
وشـدّت على الصدر أثقالها   فنغّص في غربتي غبطتـي
على أنني رغم هذي الهمـوم   حميّ الابـاء أخـو همّة
اذا انحلّ حبل اصطباري الحصيد   وهاجمني الداء في وحدتي
ففي القلب نـور يضيء الظلام   وتفري جيوش الأسى عزمتي
فلا أنا أشـكو كمثل الجبـان   وعنـدي خيالـي وأغنيتي
أعيش غريباً وحيداً شريداً   ولكن أرى جنتي وحـدتي(١٢٨)

وكان طموحه عظيما وهمته عالية :

أمـدي بياني بوحي جـديد   ومدي يديك لهذا الشـريد
فقد فرش الناس دربي مـدى   وغلّوا يـدي بدُهم القيود
أنا بلبـل هاض منه الأسـى   جناحاً طليقاً تخطى الحدود
فان الحيـاة بعـرفي غنـاء   غناء يشق طريق الخلود(١٢٩)

وكان ولده فاروق أمنيته لانه وجد فيه شخصه وروحه وهمته وفي قصيدة « الى ولدي الفاروق »(١٣٠) تصوير لأمله العظيم فيه :

أنت يا ابني نسمة عن شـاعر   طالما رَجّتْ قوافيه الحسودا
أنت لون من أمـانيّ التي   بك غنت شعرها السامي المجيدا
أنت حس من دمـائي وصدى   عـالم لقنني الفـن الفريـدا
كنت سراً في فؤادي غامضـاً   وأراك اليـوم لحناً ونشـيدا
تبسـم البسـمة في شـمّاتها   بسمة الله الذي صاغ الوجودا
وتناغينـي بأنغـام على   وقعها قد جزت بالروح الحدودا

---

(١٢٨) الكعديات ج١ ص١٤ .
(١٢٩) ادب المهجر ص٦١٤ .
(١٢٠) الكعديات ج١ ص٣٦ .

ويوصيه بأن ينشأ قويا يدفع الشر عن بني قومه ويسقي أعداءه السم الزعاف ، وان فلسطين التي ضيعها قوم فاقوا العبيد بذلّهم ستعود وطناً حراً أبيا :

أنت يا ابني نبضة من أمة   أطلقت في سالف الدهر الوليدا
فانشأن ْ يا ابني قوياً باسلاً   وابعث الشعر هزيجاً ورعودا
وادفعن بالشر أسياف الأذى   واسق من يشنوك سماً وصديدا
ففلسطين وقد ضيّعها   معشر قد بزّ بالذل العبيدا
سوف تغدو مثلما كانت لنا   وطناً مرتفع الرأس عنيدا

ويقول في قصيدة « الى ولدي فاروق »[131] :

أطلقي أيتها النفس الجناحا   واملأي الدنيا غناءً وصداحا
فأنا اليوم بعيد زاهر   والدجى قد حال في عيني صباحا
شاعر الآلام قد كنت وكم   نكأت في داخل النفس الجراحا
وأراني صرت أشدو جَذِلاً   عندما قد ملأ البيت صياحا

ويوصيه :

عش أبيَّ النفس وامشِ قدُماً   وخذِ الدنيا جهاداً وكفاحا
وادّرع بالصبر إنْ خطب دهى   وانشد الحق شعاراً وسلاحا

وينظم قصيدة « الى ابنتي دلال »[132] تتراقص ألفاظها طرباً وفرحاً :

بريق الطهارة في مقلتك   ونور الخلود على وجنتك
وسحر الطفولة في بسمتك   وزهزهة الفجر في نظرتك
دلال لأنت دلال المنى   ورقص الشعاع بأفق السنى
خلعتُ لذن جئت عبء العنا   ورحت كأني ملكت الدنى

---

(١٣١) التحديات ج١ ص١١٤ .
(١٣٢) التحديات ج١ ص٦٧ .

ولم يتخلص من بث همومه وشكواه :

أبوك أديبٌ رمته الخطوب بأسهمها والمحيط الجديب
ولكنَّ شَمٌّ شذاك الرطيب يزيح عن الصدر صخر الكروب
فكوني لوالدك الشاعر ضياءً بليل الأسى الكافر
يغنّك من شعره الساحر على نغمات الهوى العاطر
قصيداً له ترقص الأنجم

كان جورج كعدي رقيق الاحساس تهزه النسمة الرقيقة وتؤثر فيه الكلمة العذبة وتفرحه البسمة العاطرة . رزق وهو مقيم في بوليفيا بنتاً سماها « ثريا » وسرّ بذلك أيما سرور ، وعبر عن هذا الحدث العظيم بقصيدة « الى ابنتي ثريا »(١٣٣) :

قصيدة روحي ونبض فؤادي لأنت منى الشاعر الوالد
تحاكين أمك لطفاً وحسناً وشعر أبيك الفتى الخالد
وكنت بسري لحناً يجول فأصبحت من شعري الماجد
لك البيت فالهي على رحبه ولا تلقي بالاً الى ناقد
وكوني ثريا كمثل الثريا ارتفاعا بأفق السنى الصاعد
وكوني كأمي عفافاً وحسّاً حنوناً كتسبيحة العابد
وكوني محطّ رجا والد غدا هدف الحاسد الحاقد
رمته الليالي بأحداثها فأصبح في شغل جاهد
ولكن عزاه بهذي الدنى فراخ تزقزق للوالدِ

وما أن بلغت ثريا عامها الثالث حتى ذوت كالزهرة وخضد الموت عودها فبكاها الشاعر بقصائد تثير الشجن ، قال في قصيدة « لم يبق لي أمل بشيء »(١٣٤) :

---

(١٣٣) الكعديات ج١ ص١٠٥ .
(١٣٤) الكعديات ج١ ص٢٠٤ .

لم يبق لي أمل بشيء بعد موتك يا ثريا
قد كنت بهجة والد هزّت قوافيه الثريا
قد كنت عاطرة الرياض تشت مالئة يديا
قد كنت يا ولدي الحنان مجسّماً في أصغريا
قد كنت ملء جوانحي أملاً من الآمال حيا
كيف انطويت كزهرة ملأت حواشي الروض ريا
يتمت والدك الأديب فلم يعد يشتاق شيا
علقت بخاطره الهموم فأصبحت تكويه كيا
فاذا اضطجعت تجيء زاحفةً وهاجمةً عليا
حتى إذا عاتبتها شزرت بمقلتها اليا
عصرت فؤادي عصرة وتدحرجت من مقلتيا

وقال :

عذبيني ما شئت أيتها الدنيا فما العيش غير حسوة طائر
عذبيني وطارديني تباعاً أنت عندي كمثل نسْف الأظافر
هاجميني وألّبي كل همّ من هموم الحياة ضد الشاعر
حضنته الآلام مُذ كان طفلاً وغذته لبان ثدي طاهر
ولد الشاعر النهي ليشقى شقوة الحس بين عُمي البصائر
هو يسعى في الارض كالناس لكن هو في عالم السماوات طائر
حرقته الهموم كالند كيما يملأ الأرض بالشذاءِ العاطر
وتر الوحي في يديه ولكن قلّ من يسمع النشيد الباهر
لا تلوموه أيها الناس إمّا رادَ رَوْضاً وعاش بين الازاهر
فسما الشاعر المعنّى فنون من رياض ومن نجوم زواهر
هو يقرا في مصحف الافق شيئا سطرته يمين طفل عابر
غمرته الاسرار من كل صور فغدا عرضة الشكوك محاذر

يسـأل الافق كيف جاء الى الارض وبعد الممات كيف المصائر
أفنفنى بالمـوت والروح يبلـى أم خلـود وراء هـذي الحفائر
حـيرة بلبلت حيـاتي وشـك ضعضعَ العقل فهو كالنفس حائر(١٣٥)

ويطلب منها أن تحدثه عن المـوت ومصير الانسان فيقول :

حـدثيني يا إبنتي حـدثيني عن مصير الانسان فالقلب حائـر
حـدثيني فبعد للموت أصبحت كثير السؤال أسـوان عاثـر
أضيوف على خوان حيـاة نحن في الارض أم ظـلال عوابر
حـدثيني والهمينـي فاني ضعضعتني الهموم والعقل سادر
حـدثيني فقد تركـت فـؤادي هدف الشك والخطوب الدوائر
أفمن كان يملأ الكـون نوراً وجمـالاً وبهجـة للنواظـر
يتهـاوى فجـاءة من سـماه وطعام الديـدان تغدو المحاجـر
حـدثيني يا ابنتي أفهميني أي معنى للعيش والمـوت حاضر
أفمـوت الانسـان بدء حيـاة أم نهـاياتنا الثرى والمقـابر
حـدثيني فلسـت أدرك شيئا من خبـايا الامور خلف الستائر
أفتفنـى الأرواح مثل جسـوم أم شـعاعا كانت فعادت زواهـر
أم نسـيماً كانت فعادت نسيماً يتفغـم الجـو بالاريج العاطـر
أم تراهـا تقمصت جسـم طفل باسـم الثغر كالمـلاك الطاهـر
حـدثيني فان نفسيَ أضحت بعد فقـديك لا تلـم بخاطـر
حـدثيني فعلّي أعطـي حديثا للبرايـا عمـا وراء الحفـائر(١٣٦)

وظلت ثريـا تثير في نفسه الهم دفيناً ، والشـعر حزينا ، يقول في قصيـدة « من أين جئنا ؟ كيف نمضي ؟ »(١٣٧) :

---

(١٣٥) الناطقون بالضاد ج١ ص٤٤٢ .
(١٣٦) الكمديات ج١ ص١٠٢ ، قصيدة « حدثيني » .
(١٣٧) الكمديات ج١ ص٤٥ .

قد كـدت أكفـر بالوجـود وبالحيـاة وبالبشـر
ماذا جنت بنتي الصغـيرة كي يفاجئها القـدر
زغلولـة العيش الـدفيء رجـاك والدك الأبر
ريحانة القلب الكسـير قضيت في عمر الزهر
من ذا يعزّي والـداً يـذري المدامع كالمطـر
عـزّ العزاء ففي الحشـا لذع كوخـزات الابـر
وعصـاني الشـعر الرقيق وكنت أبلـغ من شـعر
وتضعضعت مني القوى وتَفَجّرَتْ بالنوح الصخـر
سـأظل أبكيهـا الى أن تطفىء الشـمس القمـر
ربـاه قيـل أخـذتها هـذي عقيدة من كفر
ربـاه أنت أجلّ من قتل النفوس بلا وزر
ربـاه أنت الرحمـة المثلى وملجـأ من عثر
ربـاه إنـي حائـر فأزل عن النفس الحـير
ربـاه كاد الحزن يقتلني ويهلكنـي السـهر
ربـاه أنجـدني فقد أصبحت في قلبي سـقر
حطمت عـودي بعـد إذ دَوْزَنْتُ للشـدو الوتـر

والتفت يوما الى سريرها فرآه خلواً منها ، فأنشد :

أضحى سـريرك خاليـا يا قطعة القلب الكسـير
أضحى مقر العنكبوت وكان يخفـق بالسـرور
أضحى نظـير قصيـدة جوفاء خالية الشعور
يـا طالمـا هـدهدته وسكرت من نغم الصرير
وزقزقتك القبل الطـوال وغمضْتُ في دنيا الحبور
وحلمت أحـلامي الحسـان كطلعة الفجر المنير

وقـرأت في بسـماتك الزهـراء أسـرار الأثـير
وشـممت في خديك أشـذاء الطهارة كالبخـور
قد كنت يا ولدي الرجـاء لوالـد خصِب الشـعور
خلّفته وحـداً غريب الوجـه ممتـد الزفـير
يطـوي الجناح على دمـاه وفي الحشـا جمر السـعير
ويزور قبرك مائلـاً حفيه من شـتى الزهور[١٣٨]
منفوش شعر الرأس يمشي حائـراً بين القبـور
رُدَّتِ السماء وحيدة وبقيتُ مضطرب الأمور
أقضي الليالي سـاهراً أرعى النجوم بلا سـمير
علّي أرى ومضـات روحك عند اشـعاع البدور[١٣٩]

ويبصر لعبها ذات يوم حزينة فينظم قصيدة « لعب ثريا اليتيمة »[١٤٠] :

لعب الثريـا أصبحت قيـد المذلـة والهـوان
مطروحـة في زاويات البيت من قَبْلِ الأوان
ذهبت رفيقتها الحبيبة مثل تـاج من دخـان
تركـت أباهـا والهـاً يـذري المدامع كالجمان
اليأس يعصـر روحـه وينوشـه حدث الزمان
والحـزن بيّض شـعره فغـدا كلون الاقحوان
يُمْسِي ويُصبح مطـرق الاجفـان مضطرب الجنـان
ويـؤزّه الألـم الممض وكان رمـز العنفـوان
ويخـونه شـعر الرثـاء وكان نابغـة البيـان
كشـر الزمان لشـاعر وطوى أمانيه الحسان

(١٣٨) وفي جدول الخطا والصواب : حافتيه .
(١٣٩) الكمديات ج١ ص٢٠٥ ، قصيدة « سرير ثريا » .
(١٤٠) الكمديات ج١ ص٦٠ .

لعب الحبيبـة أصبحت   في الرف لاوية العنان
أضحى الغبـار يحفهـا   حف المذلـة بالجبان
كيتيمـة ثكـلاء لا عطف هناك ولا حنـان
الحـزن في أحـداقها   والوجه لون الزعفـران
هي من جمـاد انما   فيهـا وجوم السبرمان
قـومي ثريـا جـدي   عهد الأمومة والامان
رفي بروحك لحظـة   من فوق من غرف الجنان
آسـي بروحك يتمهـا   فاليتـم داعية الهـوان

وظل يبكيها كلما هاجت الذكرى أو رأى شيئاً يذكره بها :

أحقـاً قد نـأت عني ثريـا   وغلت أصبع الجلّى يديـا
وكان البيت تمـلأه ابتهـاجاً   فأضحى من مباهجهـا خليـا
وكانت بسـمة الدنيـا بعيني   فعاد الكـون في نظـري دجيـا
فكم قد داعبت شعري صباحا   وألـوت في تدللهـا عليـا
وكم من قبلة زرعت بخدي   بعثت على صداها الشـعر حيا
وكم قد قدتها للروض صبحاً   لتلعـب فيه هائئة لديـا
فتملأ رحبـه عطراً ونوراً   فيصبـح من مفاتنها زهيا
تُذَرْذِرُ في حواشيه ابتساماً   يحاكي بسـم من بدع الثريا
مـلاك طاهـر كبهـاء فجـر   طـواه الموت مثل البرق طيـا
فشاهت هـذه الدنيـا بعيني   وكنت على الأسى طلق المحيـا
(فجودا أيها العينان جودا)   بدمـع يفجر الصخر العتيـا
فقد أودت نظيركما بريقـاً   وخلّت عيش والدها شـقيا
فَلِمَ جئنا الحياة وأي معنى   لها والحـزن يلذعنا وريـا
فاما أضحكت حيـا قليلاً   تعـود تؤز أحشـاه مليـا

(فيا لك هــرة أكلت بنيها)   فما راعت فقيراً أو ثريـا[١٤١]

وهذه القصائد التي بكى ابنته فيها لون من ألوان الشـعر الذي يصدر عن الأبوة وحنانها ، وكثيرٌ هم الذين نظموا في بنيهم ، فجورج صيـدح تألم وقد رأى ابنته جاكلين بين يدي الجراح :

رفقاً بها يا مبضع الجراح   شرّحت قلب الوالد الملتاح[١٤٢]

واستقبل الياس فرحات ابنته البكـر ليلى بالشعر وودّع أختها سـعاد بالنغم الحزين[١٤٣] ، وفجع زكي قنصل بطفلته البكر سعاد ونظم فيها ديوان شعر صغير ضم ثماني قصائد[١٤٤] . وهذا الشعر يدل على العاطفة الابوية الصادقة ، ويشير الى اهتمام المعاصرين بمثل هذه الجوانب الانسانية التي تمسّ قلب كل ذي شعور فتجعل الشعر ينساب من قلبه حزيناً أو تدفعـه ليتدفق شلالاً أو اعصارا .

وماتت أم جورج كعدي سنة ١٩٥٢ وهو في الغربة فبكاها :

نعى لي أخي أمي فأصبحت واجما   أكفكف من دمعي وأطرق من حزني

وصوّر ألمه ، وهو بعيد لم يقض حق الأمومة ساعة دفنها :

ففي موت أمي وهي عني بعيدةٌ   دليلٌ على ما في الحيـاة من الغبن
وتسأل عني الأهل في حضرة الردى   وتهتف باسمي صانك الله يا ابني
أأحرم مرأى من غـذتني بعطفها   لأقضي حقوق الام في ساعة الدفن

ووصف شمائلها وعونها له في حياته:

---

(١٤١) الناطقون بالضاد ج١ ص٢٤٤ ، ادبنا وادباؤنا ص٥١٢ .
(١٤٢) حكاية مغترب ص٤٠٧ ، ديوان صيدح ج١ ص٢٠٦ ، نبضات ص١١٦
(١٤٣) ادب المهجر ص٢٤٠ ، ٤٩٢ .
(١٤٤) ينظر ادب المهجر ص٢٣٧ ، ٦٠٢ ، القومية والانسانية ص٥٠٦ .

عليها درست الشعر حتى أجدته ... فمن فهمها فهمي ومن لحنها لحني
وعلمني معنى السماح سماحتها ... فلم أطو نفسي في حياتي على ضغن (١٤٥)

ومات أبوه فرثاه :

يا أبي قد بنت عن دار الفنا ... وأنا في حرقة أشكو الظما
أنفت روحك من هيكلها ... فمضت تطرق أبواب السما
عربي الروح قد لقنتني ... حب قومي والإبا والشمما (١٤٦)

ومات عبدالناصر عام ١٩٧٠ فبكاه جورج كمدي بقصيدة صوّر فيها ما أصاب الوطن العربي من حزن وألم شديدين ، وتحدث عما قدّم جمال ليقظة العرب وأشار الى تضحياته الجسام في سبيل الأمة العربية وقضاياها المصيرية :

ناصر كان عودة لبلاد العرب طراً ونفحة من مراحم
كان قلباً على العروبة خفاقاً وبحراً من السنا متلاطم
كان جفناً على العروبة سهراناً وسيفاً على الصهاين صارم
أرخص النفس جاهداً في علاها ... مستهيناً بفادحات المآلم
كان رمز الشموخ حراً أبيا ... عربي الفؤاد يقظان حازم
أيقظ العرب بعد طول جهاد ... صيحة الثأر أيقظت كل نائم
وأثارت نفوسنا بعد يأس ... فمشينا الى الجهاد لهازم
ومشت فتح وهي فتح من الله تذيق الأعداء مرّ العلاقم (١٤٧)

ويمضي الشاعر في حديثه عن البطل الذي هوى كالطود بعد جهاد طويل وبعد أن هدّت الاحداث جسمه :

---

(١٤٥) الكمديات ج١ ص١٨١ ، قصيدة « فما نحن لو فكرت الا رحالنا » .
(١٤٦) الكمديات ج١ ص٢٢١ ، قصيدة « فما عيشة الانسان الا حلما » .
(١٤٧) الديوان الجديد ص١٥٣ ، قصيدة « رثاء جمال عبدالناصر » .

هدمت جسمه الحوادث هَدْماً والخيانات للقلوب هوادم
حاملاً فوق همه همّ شعب نسفت نفسه الخطوب الحواطم
كيف ينسى مواقفاً لك فيه وحديثاً قد هز حتى الرمائم
أنت أنهضته وحركت فيه همماً كن قبل ذاك نوائم
فغدا يرفع الرؤوس وقِدْماً حسبوه في الغرب بعض السوائم
نم هنيئاً يا ناصر العرب إنا سوف نمشي والزهو ملء الحيازم

وماتت روز زوج الشاعر شفيق معلوف فرفع اليه قصيدة « يا رسول الشعر »(١٤٨) :

يا رسول الشعر يا نسر الرؤى أي خطب أي رزء زلزلك
فقدك الإلف الذي غنيته وسقاك الحب حتى أثملك
وأتاك الوحْيُ بِدْعاً معجزاً فغدت كل المغاني منزلك
وتوصلت الى ما تشتهي من قوافٍ حرة تخضع لك

ورثى الشاعر نخلة الحلو بقصيدة « دمعة سخينة »(١٤٩) وتحدث فيها عن صفاته وبث شكواه من الغربة :

أنا ميّتٌ حيٌّ يعيش مغرباً عن أهله وبلاده وخدينه
أحيا وحيداً والهموم تعودني كالطير في قفص أسير شجونه
أنا قد خلقت لكي أغرّدَ حائماً في الأرز عند نبوعه وعيونه
صدمتني أرزاء الحياة وعقني دهر سقاني المرّ من غسلينه

وبكى شاعر صنين رشيد أيوب :

مات أيوب فيا صنين نُحْ والبسي يا أرْضُ بَسْكَنْتا الحداد
واغربي يا شهب واندب يا دجى شاعراً قد عزّ بالشعر وساد

---

(١٤٨) الديوان الجديد ص١١١ .
(١٤٩) الكمديات ج١ ص٣٠ .

وشـكا :

لوعـــة الصحب وما أعظمهـا   لوعـة قـد زلزلت منـي الفـؤاد
قـد تشـابهنا بدنيانـا معاً   وأضعنا العمر في سـوق الكسـاد
أنت أبعـدت وقـد خليتنـي   أتقـلّى فوق جمـر من قتـاد
أنشد الموت وفي نفسي أسى   من أذى الدنيا إذا ما قلّ زاد(١٥٠)

لقد كان معظم شعر جورج كعدي ألماً عبّر عن الواقع وهو يرى الاحداث تقضّ مضجعه وتثير آلامه ، وكان صادقاً في ذلك كل الصدق لانه وهب نفسه للأهل والاحباب ، وقدم روحه فداءً للامة والوطن وهو يكافح في ديار الغربة ويتجرع آلام الامراض التي انتابته ونغّصت حياته •

(١٥٠) الكعديات ج١ ص١٧٢ ، قصيدة « ليلة الشاعر نجوى وسهاد » •

٥ ـ الاضاءة

كان جورج كعدي ككثير من المهاجرين الذين لم يكملوا تعليمهم في لبنان أو الارض التي استقروا فيها وانما ثقفوا أنفسهم بما قرأوا من كتب كانت تصل اليهم من الوطن أو الامريكتين ٠ وشاء بعض هؤلاء المهاجرين أن يكونوا أدباء فنظموا الشعر وكتبوا القصة وحرروا المقالة فكانوا خير رسل للعرب في تلك الديار البعيدة ٠ وكان كعدي قد وصل الى البرازيل وهو في الرابعة عشرة من عمره وليس لديه ثقافة إلا ما تعلمه خلال السنتين اللتين قضاهما في مدرسة قريته ، ولكنه ـ وهو العصامي ـ عكف على الكتب يقرأها ويتأمل ما حوله فبدأ يعبر عنه بشعر استقام بعد سنوات ٠ وكان يرى ـ تواضعا ـ انه « في عالم الشعر كتاج من دخان وقطرة من ندى » ٠ يقول مخاطباً عبدالمسيح حداد : « فانني أيها الأخ على حبي للشعر وجريه على أسلات لساني في كل هنيهة من حياتي فاني أعايش بيئة لا تفهمني ولا أفهمها ولا أطالع إلا لماما ، وكل ذلك يعود الى سعيي وراء اللقمة حتى تهدّمت صحتي وأصبت بأكثر من مرض ٠ والذي أجبرني على العيش بعيداً عن البيئات العربية أن قومنا يريدون من الشاعر كل شيء ولكنهم لا يعطونه إلا كلمات براڤو وعفارم ، كأننا ـ نحن معشر الشعراء وأهل الأدب ـ نعيش من شم النسيم »(١٥١) ٠

وعرف كعدي بكثرة النظم وقول الشعر على البديهة ، ومن ذلك قصيدته التي ارتجلها وأملاها على صاحب مجلة « العقاب » في بوينس

---

(١٥١) الكعديات ج١ ص٨ ٠

ايرس ، قال صاحب العقاب : « دخلنا صومعته أو عشه كما يقول ـ تيمناً بقول العقاب عن عشه ، وقال بعد أن فرك صنديحته وهمهم كالفرس الأصيل ودمدم كالاسد القسور : هاك القلم ، خذه واكتب ما أمليه عليك وهو ابن ساعته قصيدة بكراً ما مسّها إنس ولا جن قبل العقاب . فأخذت القلم وكتبت ما أملاه عليّ فوالله ما ارتج عليه إلا بعجز بيت واحد لان الخادمة دخلت علينا بالقهوة »[١٥٢] . والقصيدة هي :

سلمى وأنت زهرة ... فوّاحة بين الزهور
أخلاقك الغرّ الحسان تضوّعت مثل البخور
وسهام لحظك نافذات بين طيات الصدور
فاذا ابتسمت فشاعر ... أسوان عاد الى الشعور
سلمى عروس الشعر ... يا فخر المجالس والخدور
يا من نميت لأمة ... خلدت على مرّ العصور
إن كنت جاهلة بها ... فسلي الخورنق والسدير
مجد تعلّق بالنجوم ... وشدّ ناصية الدهور
هذي تحية معجب ... بالشعر أكبر من جرير
هيهات يفهم روحه ... نفر تلهى بالقشور
قد كاد يقضي تائهاً ... لولا مغازلة البدور
وسماع ألحان الطيور ... وبهجة الروض النضير
هو شاعر والفن يملأ روحه ناراً ونور
ولأنت أنت قصيدة ... بالفن تنضح والعطور

وعبر عن فطرته الشعرية بقوله :

ألملم أحلامي الشاردات ... فأجري طليقاً على فطرتي

(١٥٢) الكمديات ج١ ص١٠ ، قصيدة « مجد تعلق بالنجوم » .

فما من ثقيل ولا من دخيل	يسدّ الطريق على فكرتي[١٥٣]

وقوله :

فالشعر ينظمني لا لست أنظمه	وقد نشرت بساح الوعي أعلامي[١٥٤]

وقوله :

والشعر ينظمني لا لست أنظمه	رمز الشعور أنا فليخز لوّامي[١٥٥]

وقوله :

وأستلهم الروض عذب القريض	فتأتي سراعاً بنات الفكر
وترقص حولي بخلخالها	كما أرقص الشعر قلبا وسرّ
فأصهر منها الكنوز الغوالي	وأطرب فيها رفاق الكدر
وهل غير سامي الشعور يجيء	بشعر الحياة وسامي الصور[١٥٦]

وكان لا ينقح شعره وربما لو أعاد طبع دواوينه لأجرى فيها قلم التجويد . يقول : « فأنا لا أنقح شعري ولا أصقله »[١٥٧] . ولا يعني ذلك أن شعره كله مطبوع كما ذهب اليه كعدي الكعدي[١٥٨] والدكتور صلاح الدين المنجد[١٥٩] ، لان للطبع حدوداً لا ينبغي للشعر أن يهبط دونها ، وفي شعر كعدي كثير من الشعر الموزون المقفى الذي يفتقر الى الشاعرية والرصانة في التعبير والسلاسة في الاسلوب .

اهتم كعدي بالشعر كثيراً وتحدث عنه في قصائده حديثاً ينمّ على

---

(١٥٣) الكعديات ج١ ص١٤ .
(١٥٤) الكعديات ج١ ص٤١ .
(١٥٥) الكعديات ج١ ص١٧٢ .
(١٥٦) الكعديات ج١ ص٨١ ، قصيدة « فلو سكن الخلد كانت سقر » .
(١٥٧) الكعديات ج١ ص٨ .

ج١ ص٥ .

تذوق له وعناية به ، ولكنه لم يحدد الشعر بدقة وانما اكتفى باشارات ذوقية ، من ذلك قوله :

والشعر من صور الجمال بديعه   وشي الرياض على بساط ناضر
دلّلته وسكبت فيه عواطفي   ورعيته رعيَ الاله لقاصر
وبعثته مثل النسيم مدندنا   أنغام عود أو رنين مزاهر
أو مثل دمدمة العواصف كاسحاً في غمرة الاحداث كل مناور(١٦٠)

وقوله :

وما الشعر إلاّ طريق السماء   نظم من الكلم المنتخل
يهزّ من المرء وجدانه   ويوقد في القلب نار الأمل
ضمير الوجود بأنفاسه   ونفح الألوهة منذ الازل
وعرف الربيع بأنفاسه   وطيف الملاحة ملء المقل
وشمس تسيل بأضوائها   ومدهنة المسك تهمو قبل(١٦١)

والشعر ومضة وحي والهام :

وهل الشعر غير ومضة وحي   خصصتها السماء للأخبار
نكهة من سلافة وشراب   كوثري ونفحة من بهار(١٦٢)

وموهبة تفجرت من قبس الله :

شعر من الوجدان قد فجرته   وقبسته من فضل ربي الواحي
والشعر موهبة المواهب كلها   وتبجس من عالم رحراح
وحي" والهام" يصبّ بداخلي   ويهلّ" هلّ" الوابل السّحاح
والله مصدر كل شعر خالد   وعليه تعويلي بكل مراح(١٦٣)

---

(١٦٠) الديوان الجديد ص٨٤ ، قصيدة « والشعر من صور الجمال » .
(١٦١) الديوان الجديد ص٣٠ ، قصيدة « ضمير الوجود » .
(١٦٢) الديوان الجديد ص٤٨ ، قصيدة « قد شبعنا من النفاق » .
(١٦٣) لديوان الجديد ص٩١ ، قصيدة « وحي المبدع » .

وهو سر بصدر الحر :

والشعر سرّ بصدر الحـر يبعثه طوراً هزيماً وطوراً مثل أنسام(١٦٤)

وكان كمدي يدعو الى التجديد ولكنه تجديد بالفكرة « وليس بهـدم التراث العربي الذي هو منارة تشع فيضيء نورها العالمين »(١٦٥) . وذكر الشعر الجديد ولم يحدده :

فقدّم لقومك شعراً جديداً يجدّدُ من مجدهم ماضيا(١٦٦)

ويريد به الشعر الثوري الملتزم بقضايا الأمـة العربية لا الشعر الذي يبتعد عنها كشعر الرمزيين والسرياليين . وفي أبياته التي خاطب بها ميخائيل نعيمة ما يؤكد ذلك فقد رأى أن هذا الأديب الكبير ترك أمته ونضالها من أجل الحياة الحرة الكريمة وعكف في الشخاريب يستوحي وحـدة الوجود ويستجلي تناسـخ الأرواح(١٦٧) . فالشعر عند كعـدي ثورة واعصار لا تأمل واسـترخاء :

واعقد الرايـة للشـعر الذي حـرّك القـوم وهـزّ الأبـدا
نَسْجُها من حكمة علوية وخيـال هائـم بالمبتـدا
كل شـعر ليس فيه ثـورة ذهبت ألفاظـه الفصحى سدى
فابعث الشـعر كاعصـار ولا تخفض الهام لمن قد سـمدا(١٦٨)

والشعر لا بدّ من أن يكون عربيا في ألفاظه وصياغته لم تدنسه عجمة :

من رحيق الصهبـاء سَلْسَلْتُ شـعراً تتباهى بحفظه الأعـلامُ

---

(١٦٤) الكمديات ج١ ص٥٦ .
(١٦٥) الديوان الجديد ص٧ .
(١٦٦) الديوان الجديد ص٢٨ .
(١٦٧) تنظر في الديوان الجديد ص١٢٢ لقصيدة « الى الاستاذ كمدي لرعود الكمدي » .
(١٦٨) الديوان الجديد ص٢٧ .

عـربي في حبكـه نبويّ لم تدنس ألفاظهُ الاعجـام[169]

وقال في قصيدته « الى زميلي الشـاعر زكي قنصل »[170] بمناسـبة صدور ديوانه « نور ونار » فقال في زكي :

فهو لا يعرف الرطانة في الشـعر ويهوى من القـوافي الـرزانا
فالقريض الجديد يحبو هزيلاً أعجف اللفظ حـائرا خزيـانا
لا اتسـاق يشـدّه لا بيان طحبش الشعر هشّم الاوزانا
إنّ سقما في المرء أهوَنُ شراً قاتل الله في الكـلام الهـوانا
يا زكيُّ الشـعور احمِل عليهم حملةً تكسح الدعيّ الجبانا
إن شـعراً لا وزن فيه لخـير منه نثـر يموِّج الألـوانا
بنت عدنان في شـقاء وويـل من غـواة لا يدركون البيانا
اننا معشـر سنحمي حماهـا ونـردّ الكفـران والعدوانا
لغـة العرب لن تهـون وفينا كزكي يمجـد القـرآنا
حَرَمُ العرب لن يباح وفينا كزكي يحطـم الأوثـانا

وأجابه زكي قنصل بقصيدة « يا ابن صنين »[171] وفيها يقول :

يا بغـاث القريض تجمعنا الـدار ، فرفقاً ببائسـين حـزانى
قد صَبَرْنا على البلاء طويلا وحملنا من سـخفكم ما كفانا
يشـهد الله لم نضق بجـديد ينعش النفس أو يهـز الجنـانا
انما ضاق صـدرنا باحـاجٍ بَلْبَلَتْنا وشوهت دنيـانا
كسد الشـعر منذ أصبح لغواً وخبـا نـوره ، وكان وكانا
يا بغـاث القريض جدّد جـبران ، فهلاّ اقتفيتـمُ جـبرانا ؟
لم يكن شـعره طلاسم هاذٍ بل بيـانا مخضوضلا ريّانا

---

(169) الديوان الجديد ص71 .
(170) الديوان الجديد ص66 .
(171) الديوان الجديد ص68 .

جـاء بالمعجـزات لم يتنكر للتراث الذي تحـدّى الزمانا
ثار لكن على اجترار المعـاني وعلى الجهـل يدعي العرفانا
وعلى النثر يسـتحيل بخوراً وعلى الشعر ينتهي بهـلوانا
كبر الفرق بين ثـورة بـانٍ ودعـيّ يهـدّم البنيـانا

وقال كعدي في قصيدة « الى الشاعر حافظ جميل »[١٧٢] :

يا أخي يا جميل رغـم بعـاد جمعتنا قربى من الحـرف والدم
فاكْرِم الشعر عند ذكراه واشجُب نفراً شوّهوا القريض المعظـم
قد أتـونا من شـعرهم بهـراء بارد اللفظ اعجمي محطـم
لا قـوافٍ تشـدّه لا نظـام لا أنا فاهـم ولا أنت تفهـم
أعجف أجوف هزيل كسـيح فارغ اللفظ ذو كـلام مجمجـم
ذاك شـعر تبلتـع الغـرّ فيه ليس فيه إلا البـلاء المذمـم
إن شـعراً لا وزن فيه لنثـر حـائل اللـون مكفهر مهشـم
برىء الشـعر من رطانات قـوم مسخوا الشعر واستباحوا المحرم
أجمته نفوسـنا واستعانت باله الوجـود : يا رب ارحـم

وكعدي لا يميل الى الرمز والغموض ، يقول عيسى الناعوري : « إن الشـاعر الكعدي قوي في روحه وطموحه وهو يكره الغموض ، ولذلك ينقم على الأدب الرمزي نقمة شديدة ولا يحب أن يرى شيئاً منه منشوراً في الصحف ، ويعتقد أنّ العناية به تسيء الى الصحف التي تنشره ، وهو يحب القوة ويريد أن يكون كل شاعر نيتشـه أو المتنبي في حبه للقـوة والعظمة »[١٧٣] ويؤيد هذا شعر الشاعر نفسه ، يقول في قصيدة « اترك النوح انما »[١٧٤] :

---

(١٧٢) الديوان الجديد ص٥٠ .
(١٧٣) أدب المهجر ص٦١٣ .
(١٧٤) الكعديات ج١ ص٥٤ .

ففلسطين لا يقيها قصيد ذو رموز يضحك الثكلاءا
مائع حائل كنفس ذويه عبدوا الغرب ضلة وعماءا
انما الشعر ما تنزى عُراماً وتسامى فطاول الجوزاءا

ويقول :

غنّيت أبناء قومي كل خالدة موسومة بجلال الوعي والحكم
فاستهزأوا بجلال الوحي عن عمه وفاخرونا بشعر من بني العجم
رمز وسخف وميع لا رباط به كأنه من بقايا ألسن البجم
الشعر يا قوم لو تدرون عاصفة إن زمجرت لفّت الاغوار بالقمم
فاطلع بشعرك كالزلزال مندفعا وانحته من صخرة الايمان والشمم[175]

ويقول في قصيدة « فالبطش يبني الملك »[176] :

خلّ الميوعة للعبيد واكتب بألسنة حديد
واطلع بشعرك كالعواصف والزلازل والرعود
واهزأ بشعر الرمز والأدب المكفن بالجمود
فالشعر عنوان النضال ودكّ زائفة الحدود
والثورة الحمراء نبعثها على خفق البنود
فالبطش يبني الملك لا شعر التغزل بالنهود

ويقول :

قد أصبح الشعر في ذا العصر سَفْسَطَةً فما ترى غير علّاك ونظّام[177]

هذا مفهوم الشعر عند كعدي ، وهو ينطلق من الموروث الشعري الذي قرأه والقصائد التي نظمها شعراء النصف الاول من القرن العشرين وقصائد

---

(175) الكعديات ج١ ص١٩٠ ، قصيدة « فاطلع بشعرك كالزلزال » .
(176) الكعديات ج١ ص٦٤ .
(177) الكعديات ج١ ص١٧٢ .

شعراء المهجر الجنوبي مثل القروي والياس فرحات وجورج صيدح وغيرهم من ذوي الاتجاه الوطني والقومي • وقد دعا الى التجديد ولكنه لم يستطع أن يحلق بعيداً كشعراء التجديد فظل شعره أسير النزعة التراثيــة لا في الوزن والقافية فحسب وانما في الصياغة والتصوير وان كان قد جاء بمعان طريفــة ونوّع في قوافي بعض قصــائده التي جاء بعضها موشــحات أو مخمسات[١٧٨] ، وهو تلــوين عرفه الشــعر العربي القديم والموشــحات الاندلسية والتفنن في شعر المهجر الشمالي •

ويتجلى تأثره بالقدامى والمحــدثين في ديوانيــه بوضوح ، فقصيدته التي مطلعهــا :

تطاول ليلي فلم أهجــد كأني أنــام على موقــد

تذكر بقصيدة امرىء القيس :

تطــاول ليلك بالاثمــد ونام الخلي ولم ترقد[١٧٩]

وبيته :

لم نكن من جناتها علــم الله ، فأنتــم هيــأتم الاســـبابا

يذكر ببيت الحــارث بن عباد :

لم اكن من جناتها علم الله ، واني بحرّها اليــوم صال[١٨٠]

وبيته :

والشعر موهبة السماء لشاعر من طبعه التفريــد والاعطــاء

يذكر ببيت بشارة الخوري :

---

(١٧٨) تنظر في الكمديات ج١ ص٥٠ ، ٥٧ ، ٦٧ ، الديوان الجديد ص١١٢ .
(١٧٩) الديوان الجديد ص١٠٩ ، ديوان امرىء القيس ص١٨٥ .
(١٨٠) الديوان الجديد ص٥٥ ، الاصمعيات ص٧١ .

والصوت موهبة السماء فطائر   يشدو على غصن وآخر ينعب[١٨١]

وقصيدته « صرخة مغترب » التي يقول فيها :

لقد جاوز العلج حدّ المدى   فحيي الفدائيّ حيّ الفدا
وقـدم لفتـح وأشـباله   سلاما لطيفاً كقطر الندى

تشير الى قصيدة علي محمود طه المهندس :

أخي جاوز الظالمون المدى   فحق الجهاد وحق الفدا[١٨٢]

وقوله :

فأما حيـاة تسـرّ الأبي   وأمـا ممـات به منيتي

هو قول الشـهيد عبدالرحيم محمود :

فأما حيـاة تسر الصديق   وأما ممات يغيظ العدى[١٨٣]

وقصيدة « فاثأر لحقك غاضبا » التي يقول في أولها :

لبنـان يا بلد الجمال ومطلع العز الوطيـد

تذكر بقصيدة علي الجارم في بغداد :

بغـداد يا بلـد الرشيد   ومنارة المجـد التليد[١٨٤]

والبيت :

نصحت بني قومي لرأب صدوعهم   « وليس وراء الله للمرء مذهب »

---

(١٨١) الديوان الجديد ص١٢٧ ، شعر الاخطل الصغير ص١٥٤ .

(١٨٢) الديوان الجديد ص١٣٨ ، وتنظر قصيدة علي محمود في الصومعة والشرفة الحمراء ص ٥٨٥ .

(١٨٣) الكمديات ج١ ص١٤ ، ديوان عبدالرحيم محمود ص١٢١ .

(١٨٤) الكمديات ج١ ص٤١ ، ديوان علي الجارم ج٢ ص١٣٩ .

يشير الى بيت النابغة الذبياني بل ضمن الشطر الثاني :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب(١٨٥)

والبيت :

« أولئك أقوامي فجئني بمثلهم » إذا فاخر الحسّاد وانتفخوا عجبا

يذكر ببيت الفرزدق :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع(١٨٦)

والبيت :

عربيـة نفحـاته مضرية « هبطت عليك من المحل الارفع »

يشـير الى بيت ابن سينا :

هبطت اليك من المحل الأرفع حسناء ذات ترفع وتمنع(١٨٧)

وكنايته عن صنين في قوله :

وأبو الربى صنين يبسم ساخراً بطـوارق الحدثان والآماد

وقوله :

وأبو الربى صنين يبسم حالماً ويفيض بالاضـواء والأنـوار

يذكر بقول بشارة الخوري :

وأبو الربى صنين قام كشمعة بيضاء تمعن في السحاب وترتقي(١٨٨)

---

(١٨٥) الكمديات ج١ ص٤٨ ، ديوان النابغة الذبياني ص٢٣ .

(١٨٦) ديوان الكمديات ج١ ص٧٦ ، ديوان الفرزدق ج١ ص٤١٨ .

(١٨٧) ديوان الكمديات ج١ ص١٥٧ .

(١٨٨) الكمديات ج١ ص١٤٧ ، ٢٥٧ ، الهوى والشباب ص١٢٦ .

وقوله :

قرعت مروتي الخطوب فما باليت أمراً ولا شكوت عثارا

يشير الى بيت عبيدالله بن قيس الرقيات :

إن الحــوادث بالمــدينة قد أوجعنني وقرعــن مــروتيه[189]

وجورج كعدي معجب بالقرآن الكريم مقدس له ، ويستشهد به وبأحاديث الرسول العربي في كلامه[190] وانعكس ذلك على شعره ومن ذلك استعماله كلمة « الزرابي » في قوله :

حيث الزرابي جنات مزخرفة فيها الشهيان من حور وولدان[191]

وهي من قوله تعالى : « زرابي مبثوثة »[192] . ولعل قول كعدي :

هناك زرابى مبثوثــة بكل مكان تثير الهيام[193]

أقرب الى الآيــة بل هو نقل حــرفي لقوله تعالى : « زرابي مبثوثة » . وذكرها بصورة أخرى فقال :

الزرابي مبثوثة في حماها والتهاويل والسجايا الفواضل[194]

وقوله :

فله الحمــد مبدىء ومعيد ولي الشعر موفق بسام[195]

وقوله :

---

(189) الديوان الجديد ص١٣٦ ، ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ص٩٨ .
(190) ينظر الديوان الجديد ص٧ .
(191) الديوان الجديد ص٧٦ .
(192) سورة الغاشية ، الآية ١٦ .
(193) الديوان الجديد ص١٠٦ .
(194) الديوان الجديد ص١٢١ .
(195) الديوان الجديد ص٧١ .

وهو الله مبدىء ومعيـد مصدر الخير مبعث الآمال(١٩٦)

وقوله :

فله الحمد مبدىء ومعيـد وعليّ التكفـير عن آثامي(١٩٧)

تشـير الى قوله تعالى : « انه هو يبدىء ويعيد »(١٩٨) .

وقوله :

فاخلع النعل إن وطئت ثراه واخفض الطرف خاشعاً باحترام(١٩٩)

يشير الى قوله تعالى : « فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى »(٢٠٠)

وقوله :

لقد حملت كل زوج بهيـج وحطّت عليها رفوف الحمام(٢٠١)

يشير الى قوله تعالى : « وأنْبَتَتْ من كل زوجٍ بهيج »(٢٠٢)

وقوله لولده فاروق :

واذكرْ أمك صُبْحاً ومسا واخْفِضَنْ من طاعة ثَمَّ جناحا(٢٠٣)

يشير الى قوله تعالى : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة »(٢٠٤)

وقوله :

فاتحا فيه طريقـا جـدداً مرقصاً بالشعر أعصاب الوجود(٢٠٥)

---

(١٩٦) الديوان الجديد ص٦١ .
(١٩٧) الديوان الجديد ص٦٥ .
(١٩٨) سورة البروج ، الآية ١٣ .
(١٩٩) الديوان الجديد ص٦٤ .
(٢٠٠) سورة طه ، الآية ١٢ .
(٢٠١) الديوان الجديد ص١٠٦
(٢٠٢) سورة الحج ، الآية ٥ .
(٢٠٣) الكمديات ج١ ص١١٦ .
(٢٠٤) سورة الاسراء ، الآية ٢٤ .
(٢٠٥) الكمديات ج١ ص١٧٤ .

يشير الى قوله تعالى : « ومن الجبال جُدَدٌ »[٢٠٦]

وقوله :

وغـدونا نهيم في كل وادٍ   واليها تهـزنا ألف ذكرى[٢٠٧]

يشـير الى قوله تعالى : « ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون »[٢٠٨]

وكان كعدي مولعاً بالالفاظ الغريبة ولا سيما في أوائل شعره والأمثلة كثيرة منها : مسبطر في قوله :

وبسطنا جناحنـا مسبطراً   فوق هام النجوم في كيوان[٢٠٩]

واسبطر : امتد واضطجع .

وهمعا في قوله :

أطوي ليالي والآلام تنهشني   وأزجر الدمع في جفني إذا همعا[٢١٠]

وهمعت العين : أسالت الدمع ، وأهمع الدمع : سال .

وارقال في قوله :

فتحوا الممالك طائرين بسرعة   كالنسر يطوي الجو في إرقاله[٢١١]

وأرقل : أسـرع .

والفئام في قوله :

عند ذا أنسى الذي أحمله   من فئام السوء من حاكوا القرودا[٢١٢]

---

(٢٠٦) سورة فاطر ، الآية ٢٧ .
(٢٠٧) الديوان الجديد ص٩٦ .
(٢٠٨) سورة الشعراء ، الآية ٢٢٥ .
(٢٠٩) الكمديات ج١ ص١٣ .
(٢١٠) الكمديات ج١ ص٢٠ .
(٢١١) الكمديات ج١ ص٢٥ .
(٢١٢) الكمديات ج١ ص٢٦ .

وقوله :

ونساؤها لو تعرفون نســاءها   بمناقب أســرت قلوب فئامها(٢١٣)

والفئام : الجماعة من الناس ولا واحد له من لفظه .
ولفظة نقيبة في قوله :

فئة اللئام فؤادها في جيبها   سفلت نقيبتها وســاء فعالها(٢١٤)

والنقيبة النفس .

و « اذرذر » و « فرغ » في قوله :

أُذَرْذِرُ الشعر فَرْغاً في مرابعه   واهدر العمر بين الشيب والخام(٢١٥)

وذرذر : نشر ، الفرغ : الهدر .
وخُنزوانة في قوله :

فقد كان عف النفس ذا خُنزوانة كريم السجايا طيب القلب وافيا(٢١٦)

والخُنزوانة : الكبر .
ولأواء في قوله :

أرباعنا مهدومــة وبلادنا   مظلومة في شــدة لأواء(٢١٧)

وقوله :

فكأنني أيوب عصري مرهق   غريت به البرحاء واللأواء(٢١٨)

واللأواء : الشــدة والمحنة .

---

(٢١٣) الكمديات ج١ ص١٣٢ .
(٢١٤) الكمديات ج١ ص٣٩ .
(٢١٥) الكمديات ج١ ص٤٠ .
(٢١٦) الكمديات ج١ ص٥٨ .
(٢١٧) الكمديات ج١ ص٩١
(٢١٨) الديوان الجديد ص١٢٦ .

والاقورين في قوله :

بلوت بمهجري الأقورين وعاشرت كل ثقيل دعي[٢١٩]

والاقوريات والاقورون : الدواهي العظام .

والطلف في قوله :

لا تظنوا القدس راحت طلفا ودماء العرب راحت هدرا[٢٢٠]

والطلف : العطاء والهين من الشيء .

والفيش في قوله :

كلام كلام كلام كلام ولغو من الفيش ضافي الازر[٢٢١]

والفيش : الافتخار والتكبر .

ويزقو في قوله :

أرفرف كالطير يزقو صباحاً واطلع شمساً على مهجتك[٢٢٢]

وقوله :

وزقاء الطيور ألحان وجد ردّدتها في ضحوة ومساء[٢٢٣]

وزقا الطائر يزقو : صاح .

وتام في قوله :

تامه الحب والجمال ففاضت أغنيات السماء من وجدانه[٢٢٤]

وقوله :

والغيم محبوك العمائم فوقها غنته ألحان الغرام فتامها[٢٢٥]

---

(٢١٩) الكمديات ج١ ص١٧٩ .

(٢٢٠) الديوان الجديد ص١٧ .

(٢٢١) الديوان الجديد ص١٩ .

(٢٢٢) الديوان الجديد ص٣٤ .

(٢٢٣) الكمديات ج١ ص٢٣٦ .

(٢٢٤) الديوان الجديد ص٤٦ .

(٢٢٥) الكمديات ج١ ص١٤٣ ، وتنظر ص٢١٩ ، ٢٩٦ .

وتام الحب : عبّده وذلله ، والتيم : المستعبد .

والزهـار في قوله :

ألّف البغي للعـدو صفوفاً   وانْخَذَلْنا بحقنا الزهّـار[٢٢٦]

والزهار : الكثير التلألؤ ، يقال : « نجم زهّار وقمر نَوّار »

وتبلتع في قوله :

ذاك شـعر تبلتع الغـرّ فيه   ليس فيه إلاّ البلاء المذمم[٢٢٧]

وتبلتع : التوى منطقه .

والعبهري في قوله :

وشتيت الجمال في كل روض   عبهري منمنم بيجـاده[٢٢٨]

والعبهر : النرجس .

وبلّصونا في قوله :

قد بلّصونا فلسطينا وقد بلعوا   سيناء والنقب الغالي بأثمان[٢٢٩]

وقوله :

يبلّص الناس من أموالهم طمعا أن يحكم العرب حكم الظالم الجاني[٢٣٠]

وبلّص فلانا من ماله : أخذه منه .

ورهرهة في قوله :

حياة للمشـقة والعذاب   ودنيا مثل رهرهة السراب[٢٣١]

---

(٢٢٦) الديوان الجديد ص٤٨ .

(٢٢٧) الديوان الجديد ص٥١ .

(٢٢٨) الديوان الجديد ص١٠٠ .

(٢٢٩) الديوان الجديد ص١٠٢

(٢٣٠) الديوان الجديد ص١٥٧ .

(٢٣١) الديوان الجديد ص١١٥ .

ترهره السراب : تتابع ، الرهرهة : حسن بصيص لون البشرة ونحوها .

وهذه الالفاظ وغيرها مما يفسد الشعر الحديث ويقتل إيحـاء اللفظ وجرسه الموسيقي العذب . وفي شعر كمدي ألفاظ بعيدة عن الشـعر مثل « دَوْزَنَ » في قوله :

حطمت عـودي بعدما دوزنت للشدو الوتر(٢٣٢)

ودوزن القانون ونحوه : شدّ ما ارتخى من أوتاره ليجري عليه اللحـن المقصود ، وهي أعجمية يقابلها في العربية : بضّ وبظّ ، أي حرك أوتار العود ليهيئها للضرب .

والمشـراط في قوله :

فصهيون في جسم البرية دمل سيبضعه يوما بمشراطنا العزم(٢٣٣)

فمـاذا أعـدّ لهم شعبنا من الزخم حتى يزيل الخطر(٢٣٤)

والزخم في قوله :

وقوله :

فهذي جماهير الفداء تحركت يرسخها ثأر ويحفزها زخم(٢٣٥)

والزخم : الشدة والقوة ، وهذه ليست من ألفاظ الشعر .

واستعمل « طعام النوم » ويريد به « طعم النوم » في قوله :

الصبر شاخ على جرح يؤرقني فما استذاقت طعام النوم أجفاني(٢٣٦)

وتفولذ في قوله :

---

(٢٣٢) الكمديات ج١ ص٤٥ .
(٢٣٣) الديوان الجديد ص٤١ .
(٢٣٤) الديوان الجديد ص١٩ .
(٢٣٥) الديوان الجديد ص٤١ .
(٢٣٦) الديوان الجديد ص٢٢ .

فقد صدر الحـادثات بصدر تفولذ صبر الهداة الرسل(٢٣٧)

وطحبش في قوله :

لا اتســاق يشـدّه لا بيان　　طحبش الشعر هشّم الأوزانا(٢٣٨)

وتقوقع في قوله :

فتقوقعت بداري مفـرداً　　أنشد الحق وأبغي الرتبا(٢٣٩)

واستعمل « الملاحن » بمعنى الالحان في قوله :

وملاحن الفردوس طيّ قصيدة　　ومن السماء مخلدات فنونه(٢٤٠)

وهو مما شـاع في شعر المحدثين كعلي محمود طه ومحمود حسن اسماعيل ونازك الملائكة .

والشيت في قوله :

أَذْرَذِرُ الشعر فَرْغاً في مرابعه　　وأهدر العمر بين الشيت والخام(٢٤١)

وقوله :

هم قدّسوا الفلس حتى صار تاجرهم　　يبيع أوطانه بالشيت والخام(٢٤٢)

ومثل ذلك كثير وهو مما يبعد القول عن روح الشعر ويجعله كلامـاً موزونا مقفى ليس غير . وقد كثر هذا في شعر كمدي لانه لم ينقحه وانما كان يطلقه عفو الخاطر فوقع في غرابة اللفظ وركة التعبـير وليس دقيقاً ما قاله الدكتور صلاح الدين المنجد من أن « سبكه جيد قوي »(٢٤٣) وانما

---

(٢٣٧) الديوان الجديد ص٣١ .

(٢٣٨) الديوان الجديد ص٦٧ .

(٢٣٩) الديوان الجديد ص٨٧ .

(٢٤٠) الكمديات ج١ ص٣٠ .

(٢٤١) الكمديات ج١ ص٤٠ ، لغة نازك الملائكة ص٦١٥ ، ٦١٨ .

(٢٤٢) الكمديات ج١ ص٥٦ .

(٢٤٣) الديوان الجديد ص٧ .

القريب من الدقة ما قاله عيسى الناعوري : « إن شاعرنا الكعدي من أكثر شعراء المهجر انتاجاً ، واذا كان في بعض شعره الكثير من ضعف الحبكة أحياناً فان في روحه كثيراً من الجمال والقوة والحيوية ، وفي وطنيته المخلصة ما يدعو الى أن نجله ونحبه ونعجب باخلاصه وصدقه »[٢٤٤] . وما قاله أيضا : « ان الشاعر الكعدي لولا شيء من ضعف الحبكة لكان من أكبر شعراء هذا العصر ، ولكن يجب أن نقدره ونحبه فهو يعيش في بلاد لا أثر للعربية فيها »[٢٤٥] . وكان كعدي شديد الاعتزاز بشعره ، يقول :

صُغْتُ القريض على ذكراه جوهرة   وأزهر الروض في تمجيده بدعا
قصائد مُحْصَدات الحبك خالدة   لو لامست أطرشاً في أذنه سمعا[٢٤٦]

ولم يخرج بناء قصيدته عن مألوف الشعر العربي ، وهو ملتزم بالوزن والقافية إلاّ في بعض القصائد القليلة التي نوّع في قوافيها[٢٤٧]

ولم يكن تصويره وابداعه متميزين لانه سار على طريقة الملتزمين بأصول الشعر القديم ، ولم ينتفع كثيراً من مظاهر الطبيعة كالبحار والبحيرات والشلالات والانهار والغابات ، وهي تحيط به من كل جانب وانما مسّها من الخارج ولم يَذُبْ فيها كما ذاب الغربيون أو بعض العرب المتأثرين بهم . وكان وصفه حسيا في أكثر ما نظم في وصف الطبيعة التي كان يتخذ من محاسنها صورة لما يحسّ به من اشراق ولا سيما طبيعة

---

(٢٤٤) أدب المهجر ص٦١٥ .
(٢٤٥) الكعديات ج١ ص٣٠١ .
(٢٤٦) الكعديات ج١ ص٤٨-٤٩ ، قصيدة « لو لامست أطرشا » .
(٢٤٧) ينظر الكعديات ج١ ص٥٠ ، ٦١ ، ٦٥ ، [illegible] ، ٧٩ ، ٨٦ ، ٩٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ وغيرها . الديوان الجديد ص٣٤ ، ١١٣ .

لبنان وسحر هذا البلد الذي يغسل قدميه البحر وتتوجه الجبال والربى.
ومن وصفه ما قاله في قصيدة « الكأس الالهية »(٢٤٨) :

أيها البدر أنت كأس لجين   رفعتها كف الاله القدير
ملأتها من الشعاع خموراً   أسكرتني بوهجها المسحور
فرفعت الصلاة شعراً شذياً   فتهادى موجات وحي ونور
وبنات الدجى يرنمن حولي   أغنيات حملن سر الدهور
فأفاق الفؤاد رغم جروح   ألصقته بالأرض مثل الاسير
يرقص الرقصة الطويلة في   الصدر على اللحن من غناء مثير

ومن وصفه ما قاله في قصيدة « الريف »(٢٤٩) :

أنا في البر قد خلعت شجوني   أنا في الريف هانىء بسكوني
أنا في الريف في جنان غراض   وفيوض من سحرها المكنون
وتفشى الضياء في الروض حتى   لوّن الروض بالزهى والفتون
أنا في جنة من الزهر والعطر   وشدو الطيور فوق الغصون
وخرير المياه يملأ نفسي   بموسيقى من عالم ميمون
عالم تملأ الطيوف مغانيه   ويرقصن في الربى والحزون
والظلال النديات رنّحها الوجد   كصبّ في ليلة من جنون
وزواهي الزهور تضحك للشمس   وللشمس عطف أم حنون
تبعث الدفء والحياة بأرض   رافقتها من مبدأ التكوين

وهذا كلام عذب ، ولو مدّ الله في عمر الشاعر لنقح شعره وخرج بدرر تتلألأ وعقود يزين الدهر بها جيده .

---

(٢٤٨) الكعديات ج١ ص٢٣ ، وينظر أدب المهجر ص٦١٤ .
(٢٤٩) الديوان الجديد ص١٥٠ .

المصـــادر

توفيق بربر :

١ ــ ديوان الرافدين • وزارة الثقافة والاعلام ــ بغداد ١٩٨١م •

٢ ــ ديوان الشلال • وزارة الثقافة والاعلام ــ بغداد ١٩٨١م •

جورج صيدح :

٣ ــ حكاية مغترب في ديوان شعر • بيروت ١٩٦٠م •

٤ ــ ديوان صيدح ــ الجزء الاول ــ بيروت ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م •

٥ ــ ديوان النوافل ــ كراكاس ــ فنزويلا ١٩٤٧م •

٦ ــ نبضات • باريس ١٩٥٣م •

جورج كعدي :

٧ ــ الديوان الجديد • بيروت ١٩٧٣م •

٨ ــ الكعديات ــ الجزء الاول ــ بيروت ١٩٦٩م •

المراجع

١ ـ أدب المهجر . عيسى الناعوري . الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٦٧م .

ـ أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية . جورج صيدح . الطبعة الثانية. بيروت ١٩٥٧م .

٣ ـ الأصمعيات . أبو سعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك الاصمعي. تحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون . الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٦٤م .

٤ ـ أعمال القروي النثرية . رشيد سليم الخوري . بيروت ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م .

٥ ـ تأريخ الشعر العربي الحديث . أحمد قبش . دمشق ١٩٧١م .

٦ ـ الجداول . ايليا أبو ماضي . الطبعة العاشرة . بيروت ١٩٧٥م .

٧ ـ الخمائل . ايليا أبو ماضي . الطبعة العاشرة . بيروت ١٩٧٤م .

٨ ـ ديوان امرىء القيس . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٦٤م .

٩ ـ ديوان عبدالرحيم محمود . بيروت ١٩٧٤م .

١٠ ـ ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات . تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم . بيروت ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م .

١١ ـ ديوان علي الجارم . القاهرة . مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر .

١٢ ـ ديوان الفرزدق ـ دار صادر . بيروت ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م .

١٣ ـ ديوان القروي ـ رشيد سليم الخوري . بيروت ١٩٧٨م .

١٤ ـ ديوان المتنبي ـ شرح أبي البقاء العكبري • القاهرة • الطبعة الثانية ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م •

١٥ ـ ديوان النابغة الذبياني • دار صادر ـ بيروت ١٩٥٣م •

١٦ ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات • أبو بكر محمد بن القاسم الانباري • تحقيق عبدالسلام محمد هارون • الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٦٩م •

١٧ ـ شعر الأخطل الصغير • بشارة الخوري • بيروت ١٩٦١م •

١٨ ـ الشوقيات ـ أحمد شوقي • القاهرة •

١٩ ـ الصومعة والشرفة الحمراء • نازك الملائكة • الطبعة الثانية ـ بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م •

٢٠ ـ القومية والانسانية في شعر المهجر الجنوبي • الدكتورة عزيزة مريدن • القاهرة ١٩٦٦م •

٢١ ـ لغة نازك الملائكة • الدكتور أحمد مطلوب (نشر في الكتاب التذكاري الذي أصدره نخبة من أساتذة الجامعات في الكويت بأسم (نازك الملائكة ـ دراسات في الشعر والشاعرة) • الكويت ١٩٨٥م

٢٢ ـ مجلة الأديب البيروتية ـ البير أديب •

٢٣ ـ الناطقون بالضاد في اميركة الجنوبية • البدوي الملثم (يعقوب عودات) • بيروت ١٩٥٦م •

٢٤ ـ الهوى والشباب • بشارة الخوري (الأخطل الصغير) • دار المعارف ـ ١٩٥٣م •

الموضوعات

٣

جورج كعدي

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

صور عربية من المهجر الجنوبي

هاجر بعض العرب الى الامريكتين يحدوهم الامل في ان يجدوا فيهما حياة خيراً من حياتهم في بلادهم التي استحوذ عليها وعلى خيراتها الاجنبي الغريب، لا يمتلكون من المؤهلات ما يقيهم شر السقوط في عذابات العوز والفاقة...

على أن بعضهم راح يكدّ النفس من اجل ان يتجاوز هذه العقبات، وانكب الآخرون على الخط العربي والثقافة العربية خيطاً يشدهم الى اصولهم العربية التي تحدروا عنها.

وافاد ذوي المواهب الشعرية من ذلك الانكباب وتشبثوا بالشعر باصرار ليستحضروا به عن قرب صورة الوطن البعيد.

من اولئك «توفيق بربر» من البرازيل، و «جورج صيدح» من فنزويلا، و «جورج كعدي» من بوليفيا، وهم من تضمنهم هذا الكتاب.



١٩٨٦

السعر: ثلاثة دنانير